سلسلة الرسائل الجامعية "11"

أسلوب القرآن الكريم في دعوة أهل الكتاب

الدكتور
عبد الرحمن محمد عبد الرحمن

دار اليقين
للنشر والتوزيع

سلسلة الرسائل الجامعية
(٥)

أسلوب القرآن الكريم
في
دعــوة أهل الكتــاب

الدكتور
عبد الرحمن محمد عبد الرحمن

دار اليقين
للنشر والتوزيع



الطبعة الأولى

١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية
١٤٣٢١ / ٢٠٠٨
الترقيم الدولي I.S.B. N.
977-336-284-1

دار اليقين للنشر والتوزيع
المنصورة - شارع عبد السلام عارف
الكردون الخارجي لسوق الجملة بجوار معارض الشريف
ص.ب ٤٥٦ المنصورة ٣٥٥١١
هاتف وفاكس : ٠٥٠٢٢٥٥٢٤١ - جوال : ٠١٠١٥٧٥٨٥٢
البريد الإلكتروني : elyakeen@hotmail.com
المكتبة : مساكن الشناوي - سور مسجد التوحيد - هاتف : ٠٥٠٢٢١١٠٠٣

بسم الله الرحمن الرحيم

قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ
أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا
أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ

صدق الله العظيم

أصل هذا الكتاب رسالة ماجستير تقدم بها المؤلف إلى قسم الدعوة والثقافة الإسلامية بكلية أصول الدين والدعوة، جامعة الأزهر الشريف.

وقد نوقشت يوم ١٨ رجب ١٤١٨هـ الموافق ٢٠ نوفمبر ١٩٩٧م، وأجيزت بتقدير جيد جداً.

وقد تكونت لجنة المناقشة من :

١- **فضيلة الأستاذ الدكتور/ هاشم عبد الظاهر إبراهيم**

أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية، والعميد الأسبق بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بقنا، وأستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية بكلية أصول الدين والدعوة بأسيوط.

٢- **فضيلة الأستاذ الدكتور/ محمود علي عبد الرحمن حماية**

رئيس قسم الدعوة والثقافة الإسلامية بكلية أصول الدين والدعوة بأسيوط.

٣- **فضيلة الأستاذ الدكتور/ جميل منصور الشوادفي**

أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية بكلية أصول الدين والدعوة بطنطا.

الإهــداء

- إلى حبـيبي وشـفـيـعي يوم القيـامـة رسـول الله محـمـد بن عبدالله صلى الله وبارك عليه وعلى آله وصحبه وسلم.
- إلى والديّ الكريمين أطال الله في عمرهما.
- إلى أخي الحـبيب الأسـتـاذ/ إبراهيم وفقـه الله وأعانه في دراسته وأبحاثه العلمية.
- إلى كل إنسان يصبو إلى الهدى.

أهدي ثمرة هذا الجهد المتواضع

عبدالرحمن

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، خلق الإنسان، علمه البيان، وأنزل على خير خلقه وصفوة رسله القرآن، وجعله شفاء للأرواح والأبدان، والصلاة والسلام على النبي العدنان، خير الأنام الذي أرسله الله رحمة لبني الإنسان.

وأشهد أن لاإله إلا الله، وحده لا شريك له، القائل ﴿ **إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ⑨ وَأَنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا** ﴾(١).

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فتح الله به أعينًا عميًا، وآذانًا صمًّا، وقلوبًا غلفًا، فصل اللهم وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه العلماء العاملين، وأتباعه إلى يوم الدين، وبعد :

فإن أفضل ما يشتغل به الإنسان هو العلم؛ لأن الله - سبحانه - يقول مخاطباً رسوله : ﴿ **قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ** ﴾(٢)، ولأن الرسول ﷺ يقول : « **العلماء ورثة الأنبياء والأنبياء لم يورثوا درهمًا ولا ديناراً وإنما ورثوا العلم** »(٣).

وأفضل العلوم قاطبة ما تعلق بكتاب الله العزيز، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه، تنزيل من حكيم حميد؛ لأن القرآن الكريم أتى بخيري الدنيا والآخرة، واشتمل على المنهاج القويم الذي يحفظ الإنسان من الانزلاق في

(١) الإسراء : ٩، ١٠ .

(٢) الزمر : ٩ .

(٣) الحديث رواه أبو داود في سننه (ط دار إحياء التراث العربي) كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم، جـ٣ ص ٣١٧، واللفظ له، ورواه الترمذي في سننه (ط مصطفى البابي الحلبي) كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة جـ٥ ص٤٨، ٤٩ .

المتاهات، ويقومه على الطريق المستقيم.

وإذا كان القرآن الكريم قد اشتمل على المنهاج القويم، ودعا إلى الصراط المستقيم، فإنه دعا أهل الكتاب من اليهود والنصارى إلى اتباع ذلك المنهاج، والسير في ذلك الطريق، متبعًا في ذلك الأساليب المناسبة التي تحرك القلوب والعقول.

وهذا الكتاب وهو «**أسلوب القرآن الكريم في دعوة أهل الكتاب**» يسوق من خلال القرآن الكريم - أهم الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة التي تكشف عن زيف وبطلان ما عليه أهل الكتاب، وتدعوهم إلى الإيمان بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ نبيًّا ورسولاً.

ومما حفزني إلى اختيار هذا الموضوع هدف، وعدة أسباب :

أما الهدف، فهو العيش في رحاب القرآن الكريم تلاوة ودراسة؛ لأن القرآن الكريم هو حبل الله المتين، والنور المبين، والشفاء النافع، عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن تبعه، لا يعوج فيقوم، ولا يزيغ فيستعتب، ولا تنقضي عجائبه، ولا يخلق عن كثرة الرد. فإن تلاوته ومدارسته لهما الأجر الكبير والثواب العظيم عند الله تعالى.

وأما الأسباب فأهمها ما يلي :

أولاً : أن مثل هذه الدراسة لها أهمية كبرى في مجال الدعوة إلى الله عز وجل، حيث إنها تمد الداعية بمنهج أصيل في مجال الدعوة، والقرآن الكريم كله كتاب دعوة، فالأساليب والوسائل التي استعملها القرآن في الدعوة إلى الله - وخاصة في دعوة أهل الكتاب - تعين الداعية على تبليغ دعوته والوصول إلى هدفه.

ثانيًا : إنارة السبيل وإضاءة المصباح أمام من يريد الهداية من أهل الكتاب ويبتغي سبيل الرشاد، ويرجو السداد ويبحث عن الحق المجرد من الهوى والتعصب.

ثالثًا : إن الحديث عن دعوة القرآن الكريم لأهل الكتاب فيه تصحيح مسار الدعوة العالمية التي يزعم النصارى أنها لهم، وليس هذا صحيحًا، فإن الدعوة العالمية هي لنبي القرآن محمد ﷺ وليست لعيسى – عليه السلام –، فقد جاء في إنجيل متى (٢١ :٤٣) (إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطي لأمة تعمل أثماره).

رابعًا : ترديد كثير من أهل الضلال من اليهود والنصرى الكارهين للإسلام ونبيه الساعين لإطفاء نوره بأن محمدًا ليس بنبي ولا يمكن أن يكون ضمن الأنبياء وأن اسمه لم يذكر في الإنجيل، وفي الكتاب رد مؤيد بالأدلة يثبت نبوة نبي الإسلام ﷺ وصدق القرآن الكريم فيما أشار إليه من أن أهل الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم.

خامسًا : إظهار موقف أهل الكتاب – عامة – من دعوة القرآن لهم إلى الدخول في الإسلام، والانضواء تحت لوائه.

هذه هي أهم الأسباب التي دفعتني إلى اختيار هذا الموضوع والذي جاء في مقدمة، وتمهيد، وثلاثة أبواب، وخاتمة.

أما المقدمة : فتناولت فيها الهدف من اختيار الموضوع وأسباب هذا الاختيار، وخطة الكتاب، والمنهج المتبع فيه.

وأما التمهيد : فقد بينت فيه : معنى الأسلوب، ومعنى الدعوة في اللغة والاصطلاح، ثم عرفت بأهل الكتاب.

وجعلت الباب الأول خاصًا بقضية التوحيد، حيث بينت دعوة القرآن أهل الكتاب إلى التوحيد، وقد اشتمل هذا الباب على ثلاثة فصول :

الفصل الأول : تنبيه أهل الكتاب إلى أن الدعوة إلى التوحيد دعوة الأنبياء جميعًا.

الفصل الثاني : الترغيب والترهيب في دعوتهم إلى التوحيد، وفيه مبحثان :

المبحث الأول : أسلوب الترغيب.

المبحث الثاني : أسلوب الترهيب.

والفصل الثالث جاء بعنوان : دعوة القرآن أهل الكتاب إلى ترك العقائد الفاسدة حول التوحيد، وفيه مبحثان :

المبحث الأول : دعوة القرآن اليهود إلى ترك العقائد الفاسدة.

المبحث الثاني : دعوة القرآن النصارى إلى ترك العقائد الفاسدة.

وجاء الباب الثاني يدور حول دعوة القرآن الكريم أهل الكتاب إلى الإيمان بالرسل – عليهم السلام –، وفيه فصلان :

الفصل الأول : دعوة أهل الكتاب إلى الإيمان بالرسل السابقين على محمد ﷺ.

الفصل الثاني : دعوة أهل الكتاب إلى الإيمان بمحمد ﷺ، وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : إقامة القرآن الكريم الأدلة التي تدعوهم إلى الإيمان به ﷺ.

المبحث الثاني : إخبار كتب أهل الكتاب بمحمد ﷺ.

المبحث الثالث : موقف أهل الكتاب من دعوة القرآن لهم إلى الإيمان بمحمد ﷺ.

وتناول الباب الثالث دعوة القرآن الكريم أهل الكتاب عن طريق تذكيرهم بنعم الله تعالى عليهم، وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : تذكير اليهود بنعم الله تعالى عليهم. والغاية منه.

الفصل الثاني : تذكير النصارى بنعم الله تعالى عليهم والغاية منه.

الفصل الثالث : إنصاف القرآن الكريم أهل الكتاب ودعوته إلى التسامح معهم.

وتجيء الخاتمة لتبين أهم النتائج التي توصل إليها الكتاب، مع التنبيه إلى أهم التوصيات التي يرى الكتاب أنها هامة.

ثم أتبعت ذلك بفهارس مفصلة عن الرسالة، وقائمة بأهم المراجع والمصادر.

هذا عن خطة الكتاب، أما المنهج الذي اتبعته فيها، فهو كالتالي :

أولاً : اعتمدت في هذه الدراسة اعتماداً عظيمًا على القرآن الكريم مع الاستعانة بالسنة النبوية المطهرة، ونصوص من كتب أهل الكتاب المقدسة -عندهم- في إضاءة جوانب القضية التي يدور الحديث حولها.

ثانيًا : أذكر معظم الآيات التي تدور حول القضية موضع الحديث، وأتناولها بالشرح مستعينًا بكتب التفسير وغيرها، مركزًا على بيان ما فيها من أساليب توضح تلك القضية.

ثالثًا : ذكرت في مواضع من الكتاب سبب نزول الآية؛ لأن الوقوف على سبب النزول يعين على الفهم، ويوضح حكمة التنزيل.

رابعًا : كررت بعض الآيات في مواضع متفرقة من الكتاب، لتعدد وجوه الاستدلال بها.

خامسًا : قدمت الآيات التي تدور حول اليهود على الآيات التي تدور حول النصارى نظرًا لتقدم زمانهم.

سادسًا : استعنت في هذه الدراسة بمصادر ومراجع، جلها من كتب التراث، وخاصة كتب التفسير، فإن لأصحاب هذه الكتب اجتهادات طيبة تكشف ما

ترمي إليه آيات القرآن الكريم من معان جليلة وأساليب حكيمة.

واستعنت - أيضًا - بكتب مقارنة الأديان في بعض المواضع؛ لأن هذه الكتب ذات صلة قوية بالموضوع محل الدراسة.

كما لم أهمل كتابات الباحثين المحدثين لما فيها من قيمة وفائدة لا يمكن إنكارها.

سابعًا: حينما اعتمدت على تلك المصادر والمراجع، فإنني عندما أنقل نصًا من كتاب ما أضعه بين تنصيص، وعندما أتصرف فيه أكتب في الهامش كلمة انظر.

ثامنًا: ترجمت لبعض الشخصيات في أثناء الكتاب، والتي أظن أنها قد تغيب عن القارئ العادي.

هذا ويعلم الله أنني لم أدخر وسعًا، ولم آل جهداً في خدمة هذا الكتاب، محاولاً أن أجعل منه حجة على أهل الكتاب المعاندين، وهاديًا لمن أراد منهم أن يسلك طريق الحق، طريق الله المستقيم. فإن كنت قد أصبت فذلك من فضل الله - عز وجل - ومنته علي، وإن كانت الأخرى فحسبي أنني بشر، والكمال لله وحده.

هذا والحمد لله أولاً وآخراً، وصل اللهم وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

د. عبد الرحمن محمد محمد عبد الرحمن

التمهيد

تجدر الإشارة قبل الشروع في الحديث عن أساليب القرآن الكريم في دعوته أهل الكتاب أن نعرّف بالأسلوب والدعوة وأهل الكتاب.

أولاً : معنى الأسلوب :

أوردت كتب اللغة أن الأسلوب هو الطريق(١) ، يقال : «سلكت أسلوب فلان طريقته، وكلامه على أساليب حسنة»(٢) ، وأنه «طريقة الكاتب في كتابته، وهو الفن، يقال : أخذنا في أساليب من القول : فنون متنوعة»(٣) .

ومعنى ذلك أن الأسلوب هو الطريقة الحسنة التي يسلكها الفرد في بيان مايريد قوله.

وعلى هذا فأسلوب القرآن هو طريقته في عرض أيّ قضية كانت.

وفي الاصطلاح : «أسلوب الدعوة إلى الله تعالى هو الطريقة أو المذهب الذي يلجأ إليه الداعي إلى الله ليحقق بذلك أهداف الدعوة»(٤) .

فالأسلوب هو استخدام الطرق الموصلة إلى الغاية، وأسلوب الداعية هو استخدامه للطرق الصحيحة في دعوته إلى الله لتحقيق الغاية المنشودة.

وقد استخدم القرآن الكريم أساليب مختلفة في الدعوة إلى الله تعالى، كأساليب الترغيب، والترهيب، وغيرهما، نكشف بمشيئة الله تعالى عن أهمها من خلال الكتاب.

---

(١) الفيروز آبادي : القاموس المحيط (الهيئة العامة المصرية للكتاب) مادة (سلب) جـ١ ص٨٣.

(٢) جار الله الزمخشري : أساس البلاغة، مادة (سلب) ص٢٣٨.

(٣) المعجم الوسيط (الناشر مكتبة الصحوة) مادة (سلب) ص٤٥٧.

(٤) د/علي عبدالحليم محمود : فقه الدعوة إلى الله (دار الوفاء للطباعة والنشر، ط الثانية ١٤١١هـ-١٩٩٠م) جـ١ ص٢١٥.

ثانيًا : معنى الدعوة في اللغة والاصطلاح :

معنى الدعوة في اللغة :

جاء في معاجم اللغة : «أن الدال والعين والحرف المعتل أصل واحد، ومعناه أن تميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك، تقول : دعوت أدعو دعاء»(١) .

وفي اللسان «دعا الرجل دعواً ودعاء : ناداه، والاسم الدعوة، ودعوت فلانًا أي صحت به واستدعيته»(٢) .

وفي المصباح «دعوت الله أدعوه دعاء: ابتهلت إليه بالسؤال ورغبت فيما عنده من الخير، ودعوت زيداً ناديته، وطلبت إقباله، ودعا المؤذن الناس إلى الصلاة فهو داعي الله، والجمع دعاة ودعوان.. والنبي داعي الخلق إلى التوحيد...»(٣) .

وفي القاموس «الدعاء : الرغبة إلى الله تعالى، دعا دعاء ودعوى، والنبي ﷺ داعي الله، ويطلق على المؤذن أيضًا. والدعوة الحلف والدعاء إلى الطعام، وبالكسر الادعاء في النسب»(٤) .

وفي مختار الصحاح «(دعا) الدعوة إلى الطعام بالفتح، ويقال : كنا في دعوة فلان، وهو مصدر، والمراد بهما الدعاء إلى الطعام، والدِعوة بالكسر في النسب، والدَّعوى أيضًا، هذا أكثر كلام العرب»(٥) .

ومن تعريف الدعوة في اللغة نلاحظ أنها تفيد عدة معان؛ منها :

١- المحاولة القولية أو الفعلية والعلمية لإمالة الناس إلى مذهب أو ملة .

---

(١) ابن فارس : معجم مقاييس اللغة (ط البابي الحلبي، الطبعة الثانية ١٣٩٠ هـ- ١٩٧٠م) جـ٢ ص٢٧٩ .

(٢) ابن منظور : لسان العرب (ط دار المعارف) جـ٢ ص ١٣٨٦ مادة (دعا) .

(٣) الرافعي : المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (المكتبة العلمية، بيروت - لبنان) جـ١ ص١٩٤ .

(٤) الفيروز آبادي : القاموس المحيط، جـ٤ ص٣٢٩ .

(٥) مختار الصحاح، ترتيب محمود خاطر (المطبعة الأميرية بالقاهرة، سنة ١٣٤٥هـ- ١٩٣٦م) ص٢٠٥ .

٢- الصيحة والنداء.

٣- الدعوة إلى الشيء، بمعنى الحث على قصده.

٤- الابتهال والسؤال.

٥- الدعاء.

٦- النسب والإلحاق.

٧- ترغيب الناس في اتباع دين الله (١).

ورغم تنوع هذه المعاني وتباينها فإنها معانٍ يحتاج إليها الداعية في دعوته، ويستعين بها في تبليغ تلك الدعوة.

الدعوة في الاصطلاح :

أما المعنى الاصطلاحي للدعوة ففيه عدة تعريفات؛ أهمها :

- أن الدعوة هي : «قيام العلماء المستنيرين في الدين بتعليم الجمهور من يبصرهم بأمور دينهم ودنياهم على قدر الطاقة» (٢).

- أو هي : «حث الناس على الخير والهدى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل» (٣).

- أو هي : «نقل أمة من محيط إلى محيط ... ومن ظنها غير هذا فقد جهل

---

(١) انظر : د/أحمد غلوش : الدعوة الإسلامية، أصولها ووسائلها (ط نهضة مصر، نشر دار الكتاب المصري القاهرة ١٩٧٩م) ص٩، وجمعة أمين عبدالعزيز : الدعوة قواعد وأصول (دار الدعوة للطبع والنشر، الإسكندرية، ط الثانية ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م) ص١٣، ١٤، وآدم عبدالله الآلوري : تاريخ الدعوة إلى الله بين الأمس واليوم (نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط الثالثة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م) ص١٧، ود/محمد طلعت أبوصير : الدعوة الإسلامية ودعاتها (مطبوعات نشر الوعظ الديني للجمعية الشرعية الرئيسية، القاهرة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م) ص٥، ود/محمود على حماية : سبيل الرشد في الدعوة والإرشاد، (ط الأولى ١٤١٢هـ) ص٥.

(٢) أبو بكر ذكري : الدعوة إلى الإسلام (مطبعة المدني، نشر مكتبة العروبة، القاهرة) ص٨.

(٣) الشيخ على محفوظ : هداية المرشدين (ط دار النصر للطباعة، نشر دار الاعتصام) ص١٧.

نفسه ورسالته »[١] .

– أو هي : « دين الله الذي ارتضاه للعالمين؛ تمكينًا لخلافتهم، وتيسيراً لضروراتهم، ووفاء بحقوقهم، ورعاية لشئونهم، وحماية لوحدتهم، وتكريمًا لإنسانيتهم، وإشاعة للحق والعدل فيما بينهم، وهي الضوابط الكاملة للسلوك الإنساني وتقرير الحقوق والواجبات[٢] .

وقد فصل أحد الباحثين في تعريف الدعوة فقال : «إن كلمة الدعوة من الألفاظ المشتركة؛ لأنها تطلق ويراد بها الإسلام كدين، وتطلق كذلك على عملية تبليغ الإسلام ونشره، وهذا الاشتراك في اللفظ يحدده سياق إيراد الكلمة، فتعرف الدعوة كعلم يراد بها نشر الإسلام وتبليغه : أنها العلم الذي تعرف به كافة المحاولات الفنية المتعددة والرامية إلى تبليغ الناس الإسلام بما حوى من عقيدة وشريعة وأخلاق، وتعرف كدين بأنها الخضوع لله والانقياد لتعاليمه بلا قيد أو شرط، أو هي الدين الذي ارتضاه الله للعالمين، وأنزل تعاليمه وحيًا على رسول الله ﷺ، وحفظها في القرآن الكريم، وبينها في السنة النبوية، أو هي النظام العام والقانون الشامل لأمور الحياة ومناهج السلوك للإنسان التي جاء بها محمد ﷺ من ربه وأمره بتبليغها إلى الناس وما يترتب على ذلك من ثواب أو عقاب في الآخرة، وهذه التعريفات غير متعارضة؛ لأنها تتعاون في إعطاء الصورة المتكاملة للدعوة[٣] .

ومن خلال التعريفات السابقة يمكن وضع تعريف جامع لمعنى الدعوة في الاصطلاح، وهي أنها : قيام المتخصصين في الدين من العلماء بمهمة نشر الإسلام المشتمل على الكتاب (القرآن الكريم) وعلى السنة النبوية المطهرة إلى الناس جميعًا

(١) الشيخ البهي الخولي : تذكرة الدعاة (دار القلم، دمشق – بيروت، دار الفلاح، الكويت، ط الخامسة) ص٣٥ .

(٢) د/محمد الراوي : الدعوة الإسلامية دعوة عالمية (الدار القومية للطباعة والنشر) ص١٢ .

(٣) انظر د/أحمد غلوش : الدعوة الإسلامية – أصولها ووسائلها، ص١٠، ١١ .

- مسلمين وغير مسلمين - واستخدام كافة الوسائل والأساليب التي جاءت في القرآن الكريم والسنة النبوية، مع بذل أقصى الجهد والطاقة لنجاح هذه المهمة.

وهذا التعريف تجتمع فيه أركان الدعوة الأربعة، وهي: الداعية، والمدعوون وموضوع الدعوة، والأداة المتمثلة في الأساليب والوسائل التي يستعين بها الداعية في تبليغ الدعوة.

ثالثًا: التعريف بأهل الكتاب:

لا خلاف في أن اليهود والنصارى أهل كتاب، وقد خاطبهم القرآن بقوله: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾.

ويقتضينا الكتاب أن نتعرض - في إيجاز - للتعريف بأهل الكتاب (اليهود والنصارى).

أولاً: اليهود:

(أ) الأسماء التي أطلقت على اليهود:

١- العبرانيون أو العبريون.

٢- الإسرائيليون أو بنو إسرائيل.

٣- اليهود.

٤- الصهيونيون.

هذه هي الأسماء التي أطلقت على اليهود إجمالاً، وإليك التفصيل:

١- العبرانيون أو العبريون:

اختلفت الآراء في سبب تسميتهم بالعبرانيين أو العبريين، فقيل: إنهم سموا بالعبرانيين؛ «لأنهم عبروا نهر الأردن في إحدى تنقلاتهم القديمة، وكانوا يعيشون عيشة البداوة قبل استقرارهم في أرض كنعان»[1].

---

(١) محمد إسماعيل إبراهيم: معجم الألفاظ والأعلام القرآنية (ط دار الفكر العربي، ط الثانية) ص٣٨.

وقيل: نسبة إلى جدهم الأكبر (عبر أو عابر) الذي ورد ذكره في سفر التكوين: وهو «عابر بن شالح بن أرفكشاد بن سام»(١).

وقيل: إنهم سموا بذلك نسبة إلى عبور إبراهيم - عليه السلام - نهر الفرات وغيره من الأنهار. وهذا الرأي أرجح وأشهر؛ لإطلاق اسم العبراني على إبراهيم، عليه السلام، يقول سفر التكوين: «فأتى من نجا وأخبر إبرام العبراني، وكان ساكنًا عند بلوطات ممرا الأموري»(٢).

ولفظ العبرانيين لم يأت مطلقًا في كتاب الله عز وجل، وإنما الذي ورد فيه لفظ بني إسرائيل أو اليهود.

٢- الإسرائيليون أو بنو إسرائيل:

اشتهر اليهود - أيضًا - باسم الإسرائيليين أو بنو إسرائيل، وقد سموا به نسبة إلى أبيهم إسرائيل «وإسرائيل هو لقب لنبي الله يعقوب، وأصله بالعبرية: يسرائيل، ومعناه: المدافع عن الله، وهو تركيب عبراني، ويعقوب هذا هو ابن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام، وبنو إسرائيل هم أبناء يعقوب وذراريهم. والاسم يطلق بصفة عامة على قوم موسى، وهم اليهود أو العبرانيون»(٣).

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «إسرا بالعبرانية هو عبد، وإيل هو الله، وقيل إسرا مشتق من الأسر، وهو القوة، فكان معناه الذي قواه الله، وقيل: سمي بإسرائيل لأنه أسرى ذات ليلة حين هاجر إلى الله تعالى، فيكون الاسم بعضه عبرانيًا، وبعضه موافقًا للعرب»(٤).

---

(١) الكتاب المقدس (دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط) سفر التكوين الإصحاح الحادي عشر: ١٠- ١٥.

(٢) الإصحاح ١٤: ١٣.

(٣) محمد إسماعيل إبراهيم: معجم الألفاظ والأعلام القرآنية ص٣٨.

(٤) الإمام القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (ط دار الغد العربي، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ) جـ١ ص٣٧٢.

وهذا يدل على أن هذه التسمية مرجعها إلى يعقوب عليه السلام.

٣- اليهود :

اختلف في اشتقاق هذا الاسم :

فقيل : من الهود أي التوبة، ومنه قوله تعالى : ﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾(١) .

وقيل : سموا بذلك لتوبتهم عن عبادة العجل . قال القائل :

سوى مربع لم يأت فيه مخافة ∴ ولا رهقاً من عابد متهود

أي تائب.

وقيل : إنما سموا يهوداً؛ لأنهم هادوا، أي مالوا عن الإسلام وعن دين موسى.

وقيل : سموا بذلك لأنهم يتهودون، أي يتحركون عند قراءة التوراة، ويقولون : إن السموات والأرض تحركت حين آتى الله موسى التوراة، واليهود اسم جمع، واحدهم يهودي(٢) .

وفي هذا يقول كاتب مسيحي : «أما لقب اليهود فقد جاء نسبة إلى يهوذا أحد أبناء يعقوب ورأس السبط الذي أصبح معروفًا باسمه»(٣) .

وقد وصفهم القرآن الكريم بقوله : ﴿الَّذِينَ هَادُوا﴾ «ومعناه صاروا يهوداً، ونسبوا إلى يهوذا، وهو أكبر ولد يعقوب – عليه السلام –، فقلبت العرب الذال دالاً؛ لأن الأعجمية إذا عربت غيرت عن لفظها»(٤) .

ويمكن القول : إنهم سموا يهوداً لقولهم : ﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾ ولنسبتهم إلى

(١) الأعراف : ١٥٦ .

(٢) انظر : أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي : مجمع البيان في تفسير القرآن (دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان) جـ١ ص ١٢٥ .

(٣) زكي شنودة : المجتمع اليهودي ص٩ .

(٤) الإمام القرطبي : الجامع لأحكام القرآن، جـ١ ص٤٦٩ .

جدهم يهوذا، فلا تعارض بين القولين، بل يقوي كلٌّ منهما الآخر ويعضده.

٤- الصهيونيون :

يطلق هذا الاسم على اليهود الذين ينتسبون إلى الحركة الصهيونية[١]. ولكن الحقيقة أنه «لا فرق بين الصهيونية واليهودية ... إلا في كون الصهيونية وسيلة لخدمة اليهودية العالمية ... ويفرق كثير من كتَّاب العرب وساستهم بين الصهيونية واليهودية، مع أن اليهود أنفسهم لا يفرقون بين اليهودي والصهيوني»[٢].

وقد نسبت الصهيونية إلى جبل صهيون الذي يقع في جنوب بيت المقدس[٣].

وقد ورد ذكر جبل صهيون في العهد القديم في مواقع منها «أما أنا فقد مسحت ملكي على صهيون جبل قدسي»[٤]، «لأن الرب قد اختار صهيون اشتهاها مسكنًا له»[٥].

وفي شرح معنى الصهيونية تقول دائرة المعارف البريطانية : «إن اليهود يتطلعون إلى افتداء إسرائيل، واجتماع الشعب في فلسطين، واستعادة الدولة اليهودية، وإعادة بناء هيكل سليمان، وإقامة عرش داود في القدس ثانية وعليه

(١) مؤسس الحركة الصهيونية هو تيودور هرتسل، فقد وجد اليهود أمامهم لأول مرة في تاريخ حياتهم دليل عمل للحركة الصهيونية ممثلاً في كتاب «الدولة اليهودية» الذي كتبه تيودور هرتسل، والذي حدد معالم الطريق، ووضع النقاط على الحروف، وطرح المشكلات وقدم لها الحلول، ولم يكن مجرد أفكار متناثرة، كما عبر بعض مفكري الصهاينة الذين سبقوا هرتسل، (انظر : تيودور هرتسل : الدولة اليهودية، ترجمة: محمد يوسف عدس «دار الزهراء ١٤١٤هـ-١٩٩٤م» من المقدمة للدكتور عادل حسن غنيم ص٩.

(٢) عبدالله التل : جذور البلاء (المكتب الإسلامي، بيروت، ط الثالثة ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م) ص١٣٨.

(٣) انظر عبدالله التل : خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية (نشر دار القلم، القاهرة ط الثانية) ص ١٥٨.

(٤) مزامير ٢ : ٦.

(٥) مزامير ١٣٢ : ١٣.

أمير من نسل داود»[١] . وهذا ما يقومون به بالفعل منذ عام ١٩٤٨ وحتى الآن .

والصهيونية قد قامت على مزاعم تراثية تدور كلها حول محور التعصب الديني والتعصب العنصري[٢] .

ويرى اليهود أن موسى كان أول قائد للصهيونية، وأول من شيد صرحها ووطد دعائمها، فهو الذي قاد بني إسرائيل ليدخل بهم فلسطين عقب خروجهم من مصر[٣] .

وبهذا الاعتقاد فإن اسم الصهيونيين يطلق على جل اليهود إن لم يكن كلهم .

(ب) اليهود في بلاد العرب قبل الإسلام :

استقر رأي بعض المحققين من المؤرخين – بعد خلاف طويل – على أن اليهود سكنوا جزيرة العرب إثر الحرب التي شنها الرومان عليهم في بلاد الشام سنة ٧٠م .

وهذا ما رجحه الدكتور جواد علي بقوله :

«أما ما ورد من روايات أهل الأخبار عن هجرة بعض اليهود إلى أطراف يثرب وأعالي الحجاز كان على أثر ظهور الروم على بلاد الشام، وفتكهم بالعبرانيين وتنكيلهم، مما اضطر ذلك بعضهم إلى الفرار إلى تلك الأنحاء البعيدة عن مجالات الروم، فإنه يستند إلى أساس تاريخي صحيح، فالذي نعرفه أن فتح الرومان لفلسطين أدى إلى هجرة عدد كبير من اليهود إلى الخارج، فلا يستبعد أن يكون يهود الحجاز من نسل أولئك المهاجرين»[٤] .

---

(١) دائرة المعارف البريطانية (طبعة ١٩٢٦) جـ٢٧، ٢٨ ص٩٨٦، ٩٨٧، وانظر: عبدالله التل : جذور البلاء ص١٣٨ .

(٢) انظر : د/حسن ظاظا : أبحاث في الفكر اليهودي (دار القلم، دمشق، ط الأولى ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م) ص٩٧ .

(٣) انظر د/أحمد شلبي : اليهودية (مكتبة النهضة، ط السابعة ١٩٨٤م) ص١١٩ .

(٤) تاريخ العرب قبل الإسلام (ط دار العلم للملايين، مكتبة نهضة بغداد) جـ٦ ص٥١٨ .

وقد قرر ذلك – بعد دراسة – بعض الباحثين من العرب وكثير من المتأخرين، فذكروا أنه لم يكن هناك أية علاقة بين اليهود والعرب إلا بعد المراحل القاسية التي أخذ فيها الرومان يقومون برد فعل لما قام به اليهود ضدهم من أساليب الوشاية والتآمر والخداع(١) .

ويذكر الأستاذ عمر فروخ «أن اليهود عندما ثاروا على الرومان، وقضى الرومان على ثورتهم، وأبادوا جموعًا منهم عام ٧٠م، ثم حرموا عليهم الدخول إلى القدس تفرق أكثر الباقين من اليهود في الأرض، فجاء جماعة منهم إلى بلاد العرب لاجئين إلى عدد من المدن ذات الزراعة والتجارة، وقد كثروا خاصة في منطقة تمتد من يثرب إلى خيبر إلى تيماء»(٢) .

وكان اليهود الذين سكنوا يثرب ثلاث قبائل: بني النضير، وبني قينقاع، وبني قريظة، وقد انتشرت اليهودية – أيضًا – في بلاد اليمن في عهد تبع بن حسان وصارت هي الديانة الرسمية لليمن(٣) .

وقد ذكر أن اليهود نشروا بعضًا من تعاليم التوراة وما جاء فيها، وذلك في البلاد التي نزلوها، فساهمت في الثقافة العربية قبل الإسلام.

ثانيًا : التعريف بالنصارى :

(أ) الأسماء التي أطلقت على النصارى :

١- النصارى. ٢- المسيحيون.

هذه أسماء النصارى إجمالاً وإليك التفصيل :

---

(١) انظر : صابر عبدالرحمن طعيمة : اليهود في موكب التاريخ (دار الثقافة العربية للطباعة، ط الأولى) ص٣٦٠.

(٢) تاريخ الجاهلية (دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧٤م) ص٤٨ .

(٣) راجع : ابن هشام : السيرة النبوية، تحقيق: د/محمد خليل هراس (مكتبة زهران، القاهرة) جـ١ ص١٨ وما بعدها.

١- النصارى :

« هم أمة المسيح عيسى ابن مريم – عليهما السلام –، وهو المبعوث حقًّا بعد موسى – عليه السلام – المبشر به في التوراة »(١) .

والنصارى جمع نصراني يقال : رجل نصراني وامرأة نصرانة، والياء في نصراني للمبالغة كالتي في أحمري؛ لأنهم نصروا المسيح، إلا أن المستفيض من كلام العرب في واحد النصارى (نصرائي)(٢) .

وقيل : إنهم سموا بالنصارى نسبة إلى الناصرة القرية التي ظهر فيها المسيح – عليه السلام –.

والناصرة هي : مدينة تقع في الجليل، أي في الجزء الشمالي من فلسطين ومنها اشتق اسم النصارى(٣) .

ولقد جاءت اسم هذه القرية في العهد الجديد « وأتى المسيح وسكن في مدينة يقال لها ناصرة، لكي يتم ما قيل بالأنبياء، وإنه سيدعى ناصريًا »(٤)، « وفي تلك الأيام جاء يسوع من ناصرة الجليل واعتمد من يوحنا في الأردن »(٥) . « وجاء إلى الناصرة حيث كان قد تربى »(٦) .

وقيل : سموا بذلك لتناصرهم فيما بينهم، ويقال لهم أيضًا : أنصار، ﴿ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ ﴾(٧) .

---

(١) الإمام الشهرستاني : الملك والنمل (المكتبة العلمية) جـ٢ ص٢٤٤ .

(٢) جار الله الزمخشري : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (ط البابي الحلبي بمصر، ط الاخيرة) جـ١ ص٢٨٥ .

(٣) د/ بطرس عبدالملك وآخرون : قاموس الكتاب المقدس (دار الكتاب المقدس ١٩٤٧م) مادة الناصرة ص٩٤٦، وانظر : ياقوت الحموي : معجم البلدان (دار بيروت للطباعة والنشر) جـ٥ ص٢٥١ .

(٤) إنجيل متى ٢ : ٢٣ .

(٥) إنجيل مرقس ١ : ٩ .

(٦) إنجيل لوقا ٤ : ١٦ .

(٧) الصف : ١٤ .

وقد بيّن القرآن الكريم أنهم أطلقوا على أنفسهم اسم النصارى؛ وذلك في قوله تعالى : ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾(١) . وقوله سبحانه : ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ﴾(٢) .

ويرجح الرأي الذي يقول : إنهم سموا نصارى نسبة إلى الناصرة، فقد «ظل عيسى يدعى ناصريًا، وظل أتباعه يدعون نصارى طوال أيامه وبعد رفعه بزمن قليل»(٣) .

٢- المسيحيون :

كلمة «مسيحي» مأخوذة من «مسح، مسحًا»، «والمسح : إمرار اليد على الشيء السائل أو المتلطخ لإذهابه، وأن يخلق الله الشيء مباركًا أو ملعونًا، ضدٌّ، . . .، والمسيح عيسى – صلى الله عليه وسلم – لبركته»(٤) . «والمسيح عيسى ابن مريم معرب وأصله بالشين معجمة»(٥) .

ولذلك سمي الذين يتبعون المسيح – عليه السلام – المسيحيين نسبة إليه، ولقب مسيحي «كان من الألقاب المعظمة عند اليهود . . . لقب مسيا الذي تفسيره المسيح، وكان الذي يحمل لقب المسيا تعتبر ذاته مقدسة مصونة»(٦) .

وقد أطلق هذا الاسم على المؤمنين منهم :

---

(١) المائدة : ١٤.

(٢) المائدة : ٨٢.

(٣) آدم عبدالله الالوري : تاريخ الدعوة إلى الله بين الأمس واليوم ص١٠٢ .

(٤) الطاهر أحمد الزاوي الطرابلسي : مختار القاموس (ط الأولى ١٣٨٣ هـ-١٩٦٤م مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه) ص٥٧٤ .

(٥) الرافعي : المصباح المنير ص٥٧٢ .

(٦) د/أحمد حجازي السقا : المسيا المنتظر نبي الإسلام (مطبعة التضامن، نشر مكتبة الثقافة الدينية القاهرة) ص٨٣ .

«فدُعِيَ المؤمنون مسيحيين أول مرة في أنطاكية» ، «ودعى التلاميذ مسيحيين في أنطاكية أولاً» (أعمال الرسل ١١:٢٦) نحو سنة ٤٢ أو ٤٣م .

ويرجح أن ذلك اللقب كان في أول الأمر شتيمة، «ولكن إن كان مسيحيًّا فلا يخجل، بل يمجد الله من هذا القبيل»، (رسالة بطرس الرسول الأولى ٤ : ١٦)، وقال المؤرخ تاسيتس (المولود نحو ٥٤م) : إن تابعي المسيح كانوا أناسًا سفلة عاميين، ولما قال أغريباس لبولس : «بقليل تقنعي أن أكون مسيحيًّا» (سفر الأعمال ٢٦ : ٢٨).

فالراجح أنه أراد إن حسن برهانك يجعلني أرضى بأن أعاب بهذا الاسم.

وقد شاع بمعنيين :

(١) المقر بالديانة المسيحية.

(٢) المؤمن الحقيقي القلب، والمعنى الأخير أحسن من الأول»[١] .

وهذا الاسم أطلق عليهم بعد رفع المسيح – عليه السلام – بزمن قليل.

(ب) وصول المسيحية إلى بلاد العرب :

انتشرت المسيحية بين العرب – أيضًا – وذلك لأن مواطنها كانت تحيط بالعرب من الجنوب والشمال، فالدولة البيزنطية في الشمال والأحباش في الجنوب، وكان من الضروري أن تتسرب المسيحية إليها من الطرق التجارية التي كانت تخترقها من الشمال إلى الجنوب ومن الغرب إلى الشرق، وكانت نجران أهم مراكز المسيحية في بلاد اليمن، وذكر أنها اعتنقت المسيحية حوالي سنة ٥٠٠م[٢] .

ولكن يذكر بعض المؤرخين أن وصول النصرانية إلى بلاد العرب كانت عن طريق رجل من بقايا أهل دين عيسى بن مريم، يقال له : فيمون، نزل بأرض نجران،

---

(١) بطرس عبدالملك وآخرون : قاموس الكتاب المقدس (منشورات مكتبة المشعل في بيروت ط السادسة ١٩٨١م) ص٨٨٩.

(٢) عباس محمود الشريف، يوسف أحمد القوصي : التاريخ العربي الإسلامي (ط ١٩٧٥م، القاهرة) ص٣٣٥، وانظر د/علي حسن الخربوطلي : الإسلام وأهل الذمة(لجنة التعريف بالإسلام يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، الكتاب ٤٩ سنة ١٩٦٩م) ص١٣.

وكان رجلاً صالحًا مجتهداً زاهداً في الدنيا مجاب الدعوة(١) .

وقيل : إن المسيحية دخلت بلاد العرب عن طريق التبشير، وهذا ما رجحه الدكتور جواد علي بقوله : «إن دخول النصرانية إلى جزيرة العرب كان بالتبشير، وبدخول بعض النساك والرهبان إليها للعيش فيها بعيدين عن ملذات الدنيا، فتمكن الرهبان من اكتساب بعض سادات القبائل، فأدخلوهم في دينهم، وعالجوهم من أمراضهم(٢) .

وقد انقسمت النصرانية في ذلك الوقت إلى عدة فرق تسرب منها إلى جزيرة العرب فرقتان : فكانت النسطورية منتشرة في الحيرة، واليعقوبية في غسان وسائر قبائل الشام(٣) .

ومن الملاحظ أن النصرانية لم تكن قوية في المدينة؛ لأنه لم يذكر أهل السير والأخبار شيئًا يستحق الذكر عن النصرانية في المدينة، ولا إلى وقوع أي تصادم بين المسلمين والنصارى.

وقد أشار القرآن الكريم المدني إلى النصارى، ولكنها كانت إشارات عامة في طبيعة المسيح وفي النصرانية نفسها.

ولم تتمكن المسيحية - أو اليهودية - من فرض نفسها على الجزيرة العربية؛ وذلك لأن بني إسرائيل جعلوا دينهم مقصوراً عليهم، وادعوا أنهم شعب الله المختار، الأمر الذي لا يحقق المساواة بين اليهود وغيرهم. والمسيحية تعددت فرقها ومذاهبها وامتلأت بالتعقيدات، ولم يستطع الذهن العربي أن يستسيغ مثل هذه الديانات المعقدة(٤) .

وبعد، فهذه نبذة مختصرة عن أهل الكتاب وضحت لنا أسماءهم التي اشتهروا بها بين الأمم، وزمن وجودهم في جزيرة العرب.

(١) انظر : ابن جرير الطبري : تاريخ الرسل والملوك (دار المعارف بمصر، ط الثانية) جـ٢ ص١٠٨، ١٠٩، وانظر : ابن هشام : السيرة النبوية جـ١ ص٢٧.

(٢) تاريخ العرب قبل الإسلام جـ٦ ص٥٨٧.

(٣) راجع : د/حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام (مكتبة النهضة المصرية، ط التاسعة ١٩٧٩م) جـ١ ص٧٣.

(٤) راجع د/عبدالفتاح عاشور : منهج القرآن في تربية المجتمع (ط دار الجيل، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة) ص٤٢ .

الباب الأول

دعوة القرآن الكريم أهل الكتاب إلى التوحيد

الباب الأول

دعوة القرآن الكريم أهل الكتاب إلى التوحيد

توحيد الله تعالى هو أن يعلم العبد ويعتقد اعتقاداً جازمًا أن الله - سبحانه - واحد أحد، فرد صمد، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، واحد في ذاته، واحد في أسمائه وصفاته، لا إله غيره، موصوف بكل كمال، منزه عن كل نقص ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾(١) .

والقارئ للقرآن الكريم يجد أن الله - عز وجل - قد نبه كثيراً على أهمية عقيدة التوحيد، وإلى وجوب تصحيحها وإخلاصها لله عز وجل، وأنه لا يقبل من العبد عملاً إلا إذا كان مقرونًا بالتوحيد الخالص، قال الله - عز وجل - : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾(٢) ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾(٣).

وقد حاد أهل الكتاب من اليهود والنصارى عن عقيدة التوحيد الخالصة، ولذلك وجههم القرآن إلى ذلك، ودعاهم إلى تصحيح عقيدتهم، متبعًا في ذلك أساليب متعددة يمكن توضيح أهمها في الفصول التالية :

---

(١) الشورى : ١١.

(٢) النساء : ٤٨

(٣) الحج : ٣١ ..

الفصـــل الأول : تنبيه أهل الكتاب إلى أن الدعوة إلى التوحيد دعوة الأنبياء جميعًا.

الفصل الثاني : الترغيب والترهيب في دعوتهم إلى التوحيد.

الفصل الثالث : دعوتهم إلى نبذ العقائد الفاسدة حول التوحيد.

الفصل الأول

تنبيه أهل الكتاب إلى أن الدعوة إلى التوحيد دعوة الأنبياء جميعًا

التوحيد من أبرز خصائص العقيدة الإسلامية التي ارتضاها الله لعباده أجمعين، بل التوحيد لله عز وجل مركوز في الطبيعة البشرية؛ إذ الإنسان مفطور على التوحيد، حيث أخذ الله عليه الميثاق، وذلك منذ خلق الله آدم، على إخلاص التوحيد لله، وعدم الشرك به حيث قال: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴾(١).

بل إن الدعوة إلى التوحيد هي الوظيفة الأساسية التي من أجلها بعث الله الرسل؛ وذلك لما حادت البشرية عنه، وعبدت غير الله.

وأهل الكتاب (اليهود والنصارى) من الأمم التي حادت عن التوحيد بالرغم من أنهم جاءتهم الرسالات السماوية بدعوة الإسلام التي أساسها التوحيد؛ لأن مصدر الرسالات كلها واحد، فمصدرها من عند الله الواحد الأحد، فإنهم حرفوا التوحيد الخالص وحادوا عنه يوم حرفوا الكتب المنزلة إليهم.

وسيتناول البحث في هذا الفصل ثلاثة محاور:

أولاً: إجمال القرآن الكريم لدعوة الرسل إلى التوحيد.

ثانيًا: تفصيل القرآن الكريم لهذه الدعوة.

ثالثًا: وحدة النطق بالإسلام الذي جاء بالتوحيد.

---

(١) الأعراف: ١٧٢.

أولاً : إجمال القرآن الكريم لدعوة الرسل إلى التوحيد :

إن القرآن الكريم بأسلوبه المعجز تارة يجمل الحديث عن دعوة الأنبياء والمرسلين إلى التوحيد، وتارة أخرى يفصل هذه الدعوة فيذكر دعوة كل نبي على حدة.

فالآيات التالية توضح إجمال القرآن الكريم لهذه الدعوة، وتنبه أهل الكتاب إلى الوحدة العضوية والموضوعية لهذا الدين، فالذي جاء به محمد ﷺ ودعا إليه يوافق في أصوله ما جاء به جميع الأنبياء والمرسلين بما فيهم موسى وعيسى – كبار أنبياء أهل الكتاب – عليهم السلام.

قال الله تعالى :

١– ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾(١) .

وفي الآية «استئناف مقرر لما أجمل قبله من كون التوحيد مما نطقت به الكتب الإلهية واجتمعت عليه الرسل»(٢) .

٢– ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾(٣)
أي أن كل نبي بعثه الله تعالى دعا إلى عبادة الله وحده وعدم الإشراك به.

٣– ﴿يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاتَّقُونِ﴾(٤) .

والآية تبين طبيعة الرسالة التي من أجلها أرسل الله الرسل، وهي الإقرار

---

(١) الأنبياء : ٢٥.

(٢) تفسير أبي السعود : المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (مطبعة عبدالرحمن محمد، الناشر دار المصحف، القاهرة) جـ٦ ص٦٣.

(٣) النحل : ٣٦.

(٤) النحل : ٢.

بوحدانية الخالق – سبحانه – وعبادته وحده.

وقد وجه الله – عز وجل – سؤالاً للنبي ﷺ بصيغة الاستفهام يثبت من خلاله وحدة دعوة الرسل إلى التوحيد، فيقول – سبحانه وتعالى – :

٤- ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾(١).

وحول هذا السؤال يكون الجواب : أن التوحيد هو أساس دين الله الواحد منذ أقدم رسول، والقرآن يقرر هذه الحقيقة في هذه الصورة الفريدة، صورة الرسول ﷺ يسأل الرسل قبله عن هذه القضية، وهي صورة طريفة جداً، فهناك أبعاد الزمان والمكان بين الرسول ﷺ والرسل الكرام قبله، ... ولكن هذه الأبعاد تتلاشى أمام الحقيقة الثابتة المطردة، حقيقة وحدة الرسالة المرتكزة كلها على التوحيد، وهي كفيلة حين تبرز أن يتلاشى مع ثبوتها الزمان والمكان وسائر الظواهر المتغيرة ... وعندئذ يسأل الرسول ﷺ إخوانه الأنبياء ... ﴿أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ والجواب كما يقول سيدنا عيسى ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ﴾(٢) : ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾(٣)، (٤).

كذلك يبرز القرآن وحدة دعوة الأنبياء – عليهم السلام – في وحدة المصدر، فالمصدر من عند الله تعالى وحده :

٥- ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ

---

(١) الزخرف : ٤٥.

(٢) المائدة : ١٠٩.

(٣) المائدة : ١١٧.

(٤) انظر : د/هاشم عبدالظاهر إبراهيم : نافذة على الدين، نشأة ومفهوماً (ط الأمانة، القاهرة، ط الأولى ١٤١١هـ-١٩٩١م) ص٢٠٢، ٢٠٣.

وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴾(١) .

والآية تبين «أن الله تعالى أوحى إلى محمد ﷺ كما أوحى إلى نوح أول رسول أرسله الله إلى الأمم ... وإلى النبيين من بعده، فوحيه إليه كوحيه إليهم، أي مثله في جنسه وموضوعه والغرض منه، فهو ليس بدعًا من الرسل ولا أولهم، ولكنه خاتم الرسل المكمل لهدايتهم، وخص بالذكر منهم أشهر أنبياء بني إسرائيل المعروفين عند أهل الكتاب المجاورين له في الحجاز وما حوله»(٢) .

بل إن الله – عز وجل – قد أخذ الميثاق من النبيين على أن يوحدوه ويدعوا إلى توحيده، بل إنه – سبحانه – وصاهم بذلك وشدد عليهم فيه، فيخبر القرآن الكريم عن ذلك فيقول :

٦- ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴾(٣) .

والآية تنص بوضوح أن الله تعالى قد أخذ العهد والميثاق على الأنبياء جميعًا في أن يقيموا دين الله تعالى متعاونين مترابطين متفقين في الدعوة إلى ذلك – وذكر الخمسة من عطف الخاص على العام.

٧- ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾(٤) .

قال الإمام الرازي : «إن الآية تدل على أن الأصول التي دعت إليها جميع

---

(١) النساء : ١٦٣.

(٢) محمد رشيد رضا : الوحي المحمدي (ط شركة الطباعة الفنية المتحدة، الناشر مكتبة القاهرة، ط السادسة سنة ١٣٨٠هـ-١٩١٦م) ص ٢٨.

(٣) الأحزاب : ٧.

(٤) الشورى : ١٣.

الرسالات واحدة، ومن ثم قال : ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ وأما الآيات التي تدل على التباين بين الرسالات فهي خاصة بالفروع التي يختص بها كل دين»(١) .

وقوله : ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ﴾ هو توحيد الله وعبادته وحده والإيمان برسله وكتبه واليوم الآخر.

٨- ﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾(٢) .

قوله : ﴿أُمَّتُكُمْ﴾ «الأمة الملة، وأصلها القوم الذين يجتمعون على دين واحد، ثم اتسع فيها، فأطلقت على ما اجتمعوا عليه من الدين، قال تعالى : ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾(٣) أي على دين وملة»(٤) .

وقيل : الأمة الملة، وهذه إشارة إلى ملة الإسلام، وهي ملة جميع الأنبياء و ﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ حال، أي متوحدة غير متفرقة، والعامل ما دل عليه اسم الإشارة : أي أن ملة الإسلام هي ملتكم التي يجب أن تكونوا عليها لا تنحرفون عنها. يشار إليها ملة واحدة وغير مختلفة ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ أي ربيتكم اختياراً فاعبدوني شكراً وافتقاراً، والخطاب للناس كافة(٥) .

وعليه فالناظر للآيات السابقة يدرك بوضوح أن الدعوة إلى توحيد الله دعوة الأنبياء جميعًا، فرسالات الأنبياء - عليهم السلام - مصدرها واحد - منذ خلق آدم عليه السلام - إلى سيدنا محمد ﷺ، فمصدرها هو الله تعالى، وبناءً على

---

(١) مفاتيح الغيب او التفسير الكبير (ط المطبعة الحسينية المصرية) جـ٧ ص٣٩٧.

(٢) الأنبياء : ٩٢.

(٣) الزخرف : ٢٢، ٢٣.

(٤) الإمام الجمل : الفتوحات الإلهية (ط دار إحياء الكتب العربية وعيسى البابي الحلبي) جـ٣ ص١٤٤.

(٥) الإمام النسفي : تفسير النسفي المسمى، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (دار إحياء الكتب العربية) جـ٣ ص٨٨.

ذلك فأساسها واحد وهو التوحيد.

ومن هذا المنطلق نجد أن دعوة القرآن قد جاءت بأسلوب لم تأت به أي دعوة أخرى، فأثبتت الوحدة بين الأنبياء جميعًا، وأنكرت كل قول أو فعل يريد النيل من هذه الوحدة، وكان ذلك تنبيهًا لأهل الكتاب إلى اتباع ما جاء في كتبهم عن هذا الدين دون تحريف منهم أو تبديل، فإنكارهم لدعوة محمد ﷺ إنكار لدعوة جميع الأنبياء – عليهم السلام – .

ثانيًا : تفصيل القرآن الكريم لدعوة الرسل إلى التوحيد :

من أساليب الدعوة في القرآن أسلوب القص، وأهداف هذا الأسلوب يتصل في الأغلب بالجانب الإيماني، فكان من أهداف القصة في القرآن الكريم بيان وحدة الدين الذي دعا إليه جميع الأنبياء والمرسلين وكذلك وحدة المصدر، وأنه كله من عند الله، ولهذا تكررت الدعوة إلى العقيدة الأساسية – الإيمان بإله واحد لا شريك له – في قصص كثير من الأنبياء – عليهم السلام – .

فنبه القرآن الكريم أهل الكتاب إلى هذه الوحدة ودعاهم إلى السير على منهاج الأنبياء واقتفاء أثرهم واتباع كل ما جاء عنهم.

وفي حديث القرآن عن الأنبياء عظة وعبرة ودعوة إلى التفكير السليم قال تعالى : ﴿**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾(١) وقوله – سبحانه – : ﴿**فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾(٢).

فدعوة القرآن الكريم – على هذا النحو – «تمثل دعوة من أنبل الدعوات وأكثرها سماحة، وهي بعدُ دعوة إلى وحدة الدين المنزل من رب العالمين، سواء نزل

---

(١) يوسف : ١١١.

(٢) الأعراف : ١٧٦.

على موسى أو عيسى أو محمد – عليهم السلام – وهي تتلاءم مع كون الإسلام المنزل على رسول الله هو آخر الأديان المنزلة من السماء؛ ومع كونه دعوة عالمية تسعى لجعل الناس أمة واحدة تستظل برحمة الله وتهتدي بهديه»(١) .

وقد فصل القرآن الكريم دعوة الرسل إلى التوحيد في كثير من سوره، نذكر منها نماذج، ونبدأ بدعوة نوح – عليه السلام – باعتباره أبا البشر الثاني، وأول أولي العزم من الرسل .

١- دعوة نوح – عليه السلام – :

ترتكز دعوة سيدنا نوح – عليه السلام – على أصول ثلاثة :

(أ) توحيد الله عز وجل، ونبذ عبادة الأصنام والأوثان .

(ب) تقوى الله عز وجل بفعل الأوامر واجتناب النواهي .

(جـ) طاعة رسول الدعوة في كل ما يبلغه عن ربه .

ويوضح الله تعالى هذه الأصول في قوله :

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾(٢) .

وقوله : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴾(٣) .

ونجد أن هذه الأصول هي دعوة كل رسول جاء من بعد نوح وبدونها لا تقوم حياة سوية مستقيمة .

وقد اتسمت دعوته – عليه السلام – باللطف واللين، فجاء في القرآن : ﴿ قَالَ

---

(١) انظر : د/عبدالقادر حاتم : الإعلام في القرآن (دار قتيبة للطباعة والنشر، دمشق) ص٣٤٩ .

(٢) هود : ٢٥، ٢٦ .

(٣) نوح : ١، ٢، ٣ .

يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴾(١) .

فتكشف الآية عن أن نوحًا قد بيَّن للملأ أن الالتزام بالعقيدة أمر لا يخضع للقوة، بل على العكس من ذلك؛ فهو يخضع للفهم والإقناع، ومن هنا ظهر أمامهم مبدأ التسامح الديني(٢) .

فنوح – عليه السلام – في القرآن هو الداعية الأول إلى التوحيد، الذاب عن دين الله – سبحانه – فقد لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا يدعوهم إلى التوحيد، ويظهر لهم الهدى والخير.

لم يذكر العهد القديم حرفًا واحداً عن توحيد نوح أو دعوته، وإنما ذكر في الإصحاحات السادس والسابع والثامن والتاسع من سفر التكوين تطور حياة نوح وبعض أعماله ممزوجة بأهواء الإسرائيليين، ولم ينس بنو إسرائيل أن يؤذوا نوحًا – عليه السلام–(٣) بالافتراء عليه، واتهامه بما لا يليق بمكانة الرسل وعصمتهم – على ما سنوضح – إن شاء الله تعالى.

فنوح – عليه السلام – وهو أول رسول أرسله الله جاء بالتوحيد، وذلك واضح وضوح الشمس في وسط النهار، فهلاّ يفكر أهل الكتاب في ذلك بدلاً من أن يتبعوا أهواءهم ويحيدوا عن جادة الصواب.

---

(١) هود : ٢٨.

(٢) انظر : د/زاهية الدجاني : أحسن القصص بين إعجاز القرآن الكريم وتحريف التوراة، (بيروت – لبنان، ط دار التقريب العلمي بين المذاهب الإسلامية ١٤١٢هـ-١٩٩٣م) ص٣٠.

(٣) من مقال للأستاذ محمد القاضي : موضوعه (يوم عاشوراء بين الفقه والتاريخ) نشر بمجلة منار الإسلام الإماراتية، العدد الأول، السنة ٢٠، ص٢٣.

٢- دعوة هود - عليه السلام - :

دعا هود - عليه السلام - قومه إلى التوحيد - شأن جميع الرسل - وأنكر على قومه عبادة غير الله تعالى :

يقول الله تعالى : ﴿ **وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ** ﴾(١) .

ومعنى ﴿ **أَفَلَا تَتَّقُونَ** ﴾ أي « أفلا تتقون » ما يسخط الله تعالى من الشرك والمعاصي، وهو إنكار من نبي الله هود أن يكون من قومه شرك وعصيان بعد أن كان من عقاب الله تعالى لقوم نوح، وقال في سورة هود - أيضًا - ﴿ **أَفَلَا تَعْقِلُونَ** ﴾ أي أليس عندكم من العقل ما يحول بينكم وبين عصيان الله تعالى والفسوق عن أمره؟ وغاير (القرآن) بين الأسلوبين لتنويع الفائدة ودفع الملل عن القارئ، كما هي سنة القرآن في القصص(٢) .

وقد تبرأ منهم لإصرارهم على عبادة غير الله : ﴿ **قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ** ﴾(٣) .

ونهاهم - عليه السلام - عن افتراء الكذب على الله واتخاذ الأوثان شركاء له، فقال سبحانه : ﴿ **إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ** ﴾(٤) . بهذا الشرك الواضح.

ورغبهم - إن تركوا ما هم عليه من شرك وضلال - في مغفرة ذنوبهم وازدياد قوتهم، قال : ﴿ **وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ** ﴾(٥) .

---

(١) الأعراف : ٦٥.

(٢) انظر : محمد أحمد العدوي : دعوة الرسل إلى الله، (طبع ونشر مكتبة ابن تيمية، القاهرة) ص١٩.

(٣) هود : ٥٤.

(٤) هود : ٥٠.

(٥) هود : ٥٢.

فهو قد سلك - كما هو واضح - طرقًا متعددة في دعوته قومه إلى توحيد الله - عز وجل - .

٣- دعوة صالح - عليه السلام - :

أرسل صالح - عليه السلام - إلى قومه ثمود، فدعاهم إلى عبادة الله وحده، فقال لقومه كما جاء في القرآن الكريم : ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾(١) .

«نفس الكلمة التي يقولها كل نبي .. لا تتبدل ولا تتغير، كما أن الحق لا يتغير ولا يتبدل...»(٢) .

لقد نبههم - عليه السلام - أن الأحق بالعبادة هو خالقهم ومنشئهم من العدم، ومستخلفهم في الأرض يبنون ويزرعون، وينتفعون بكل ما فيها، فصاحب هذه النعم أولى بالعبادة من غيره، قال القرآن : ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾(٣) .

وطالبهم بتقوى الله عز وجل : ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ (١٤١) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلا تَتَّقُونَ (١٤٢) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٤٣) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٤٤) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(٤) .

فدعوة سيدنا صالح - عليه السلام - إلى الوحدانية جاءت في مجملها مستخدمة أسلوب الترغيب والحث على معرفة حقوق الله وتوحيده، مذكرًا إياهم بنعم الله عليهم مما يستوجب إفراد الله بالعبادة وطاعته لا الكفر والجحود.

---

(١) هود : ٦١، الأعراف : ٧٣.

(٢) أحمد بهجت : أنبياء الله (ط دار الشروق، القاهرة، ط الرابعة عشر ١٤٠٧هـ) ص٦٧.

(٣) هود : ٦١.

(٤) الشعراء : ١٤١ - ١٤٥.

٤- دعوة شعيب – عليه السلام – :

أورد القرآن الكريم دعوة شعيب – عليه السلام – في عدد من السور، منها قوله تعالى : ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾(١) .

وقال سبحانه – : ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾(٢) .

وقال تعالى : ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾(٣) .

فها هو شعيب – عليه السلام – يدعو إلى التوحيد، ويصبر عليه، إذن فهي دعوة لا تتغير ولا تتبدل؛ لأنها أساس العقيدة، فمن المستحيل أن يقوم بناء بدون أساس.

والآيات السابقة تدور كلها حول دعوة شعيب قومه إلى التوحيد الخالص، وإفراد الله تعالى بالعبادة، ونهيهم عن المفاسد والظلم، بنقص الكيل والميزان، وتخويفهم بيوم البعث، الذي يحاسب الناس فيه على أعمالهم(٤) .

وشعيب – عليه السلام – في دعوته قومه إلى التوحيد أولاً، ثم دعوته إلى أن يصلحوا ما انحرفوا فيه في حياتهم ثانيًا، إنما يتبع في ذلك سنن الأنبياء قبله؛ لأن

---

(١) الأعراف : ٨٥.

(٢) هود : ٨٤.

(٣) العنكبوت : ٣٦ .

(٤) انظر : د/عبدالعزيز الدردير : التفسير الموضوعي لآيات التوحيد في القرآن الكريم (مطبعة رفاعي، القاهرة، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م) ص١٢٠.

توحيد الله هو أساس كل صلاح، فلن يصلح عمل أي إنسان إلا بصلاح توحيده.

٥- دعوة إبراهيم - عليه السلام - :

أورد القرآن الكريم أن إبراهيم - عليه السلام - قد استخدم في إثبات الوحدانية لله تعالى عدة طرق هامة : فإنه - أولاً - بدأ دعوته بأبيه؛ لأنه كان ممن قد أشرب قلبه عبادة الأصنام، فهو أولى بالدعوة قبل غيره.

وقد ذكر القرآن الكريم ما كان بين إبراهيم - عليه السلام - وبين أبيه من المحاورة والمجادلة، وكيف دعاه إلى الحق بألطف عبارة وأحسن إشارة، بين له بطلان ما هو عليه من عبادة الأوثان التي لا تسمع دعاء عابدها ولا تبصر مكانه، فكيف تغن عنه شيئًا أو تفعل به خيراً من رزق أو نصر(١) .

فقد تدرج - عليه السلام - معه في الدعوة بأسلوب لطيف مراعٍ لحق الأبوة، قال الله تعالى : ﴿ **وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا (٤١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا (٤٢) يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (٤٣) يَا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا (٤٤) يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا (٤٥) قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا (٤٦) قَالَ سَلامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا** ﴾(٢) .

ثم واجه عبدة الكواكب، بأسلوب حكيم يقوم على استخدام العقل والحس والمشاهدة، مبينًا أن الأجرام المشاهدة من الكواكب لا تصلح أن تكون إلهًا؛ لأنها

---

(١) انظر : الحافظ ابن كثير : البداية والنهاية، تحقيق : أحمد عبدالوهاب فتيح (دار الحديث، القاهرة ١٤١٤هـ-١٩٩٣م) جـ١ ص١٤٥، ١٤٦.

(٢) مريم : ٤١-٤٧.

من مخلوقات الله الواحد.

قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ (٧٥) فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ (٧٦) فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (٧٧) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾(١).

وسلك - عليه السلام - مع قومه في إبطال عبادة الأصنام طرقًا منها:

(أ) الطريق النظري الذي يقوم على الإقناع العقلي، فقال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ (٥١) إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ (٥٢) قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ (٥٣) قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ (٥٤) قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللاَّعِبِينَ (٥٥) قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴾(٢).

(ب) الطريق العملي الذي يقوم على الحس والمشاهدة - وذلك بعد إعراضهم عن دعوته بالطريقة النظرية - يقول تعالى: ﴿ وَتَاللَّهِ لأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ (٥٧) فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلاَّ كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلايَضُرُّكُمْ (٦٦) أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾(٣).

ثم عقب - عليه السلام - بمحاولة النمروذ - الملك الطاغية - الذي ادعى الألوهية افتراءً وكذبًا، وأقام الحجة عليه بعجزه عن أن يكون إلهًا، قال تعالى:

(١) الأنعام: ٧٥-٧٨.

(٢) الأنبياء: ٥١-٥٦، وانظر: آيات سورة الشعراء من ٦٩-٨٢.

(٣) الأنبياء: ٥٧-٦٧، وآيات سورة الصافات أيضًا: ٩١-٩٨.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾(١) .

وبعد إعراض الأكثرين عن دعوته أعلن عقيدته التي يؤمن بها، ولن يتخلى عنها، بقوله: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾(٢) .

ومن هنا قال القرآن عنه : ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾(٣) .

فهذه دعوته – عليه السلام – وهذا موقفه من الأصنام والكواكب وعبادها، بل ومن كل المعبودات دون الله، فليتنبه أهل الكتاب – الذين يزعمون أنهم أولى الناس بإبراهيم، وأنه على ملتهم، يتنبهون إلى موقفه – عليه السلام – من الشرك والمشركين، وإلى حجته على قومه، والتي لم يجدوا لها دفعًا سوى البطش والطغيان.

٦- دعوة يوسف – عليه السلام – :

يوسف هو : يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم – عليهم السلام –، ولا عجب أن يكون – عليه السلام – داعية إلى التوحيد؛ لأنه سليل الأنبياء – عليهم السلام – ونبي من أنبياء الله تعالى .

دعا – عليه السلام – إلى عبادة إله واحد لا شريك له، وحذر من اتخاذ الأرباب والأنداد، وذلك في خطابه مع صاحبيه في السجن، قال تعالى : ﴿إِنِّي

---

(١) البقرة : ٢٥٨.

(٢) الأنعام : ٧٩.

(٣) النحل : ١٢٠.

تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (٣٧) وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ ذَلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ (٣٨) يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٣٩) مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾(١) .

لقد وجه – عليه السلام – نظرهم إلى الاستدلال القيم على أن الواحد الأحد خير من أرباب متفرقين، يتيه العقل فيهم، وأنهم لا حقائق لهم تتعلق بالألوهية . . .، فذكر التوحيد يجيء في أثناء السجن بسبب فرية نسائية افترينها عليه، ويجيء في وسط قصة نسوة المدينة، إنه يكون طريقًا فيكون له تأثير أقوى وأشد(٢) .

فهذه دعوته – عليه السلام – فيها من الحجة الناصعة، والدليل الواضح ما يبطل اعتقاد من يتخذ أندادًا وأربابًا من دون الله الواحد الأحد .

٧- دعوة موسى – عليه السلام – :

وبعقيدة التوحيد أرسل الله موسى – عليه السلام – من نسل يعقوب، وعليها دارت المعركة، وأنجى الله المؤمنين . . الموحدين . . وأغرق المتجبرين الذين عبَّدوا الناس لهم من دون الله، واعتدوا على ألوهية الله – سبحانه – وقد عرفوها من قبل في رسالة يوسف – عليه السلام – وبقي من هؤلاء المؤمنين من يدين بها إلى أيام موسى – عليه السلام – كما جاء في دفاع أحد كبار الملأ من آل فرعون عن موسى

---

(١) يوسف : ٣٧-٤٠ .

(٢) انظر : الإمام محمد أبو زهرة : المعجزة الكبرى (القرآن) (ط دار غريب، القاهرة نشر دار الفكر العربي) ص ١٩٠ .

حين تآمر الملأ على قتله(١) قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾(٢) .

لقد نصب فرعون نفسه إلهًا على الناس، وفرض ذلك بالقوة والسلطان، ومع ذلك فإن دعوة موسى – عليه السلام – لفرعون كان يغلب عليها جانب الرقة واللين، قال القرآن : ﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾(٣) .

إجابة تلخص أكمل وأجل آثار الألوهية الخالقة المدبرة لهذا الوجود : وهبة الوجود لكل موجود، وهبة خلقه على الصورة التي خلق بها، وهبة هدايته للوظيفة التي خلق لها(٤) .

ولكن الملأ من قوم فرعون يعدون الدعوة إلى التوحيد إفسادًا في الأرض، قال تعالى : ﴿ وَقَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ ﴾(٥) .

« فالإفساد في الأرض من وجهة نظرهم – هو الدعوة إلى ربوبية الله وحده؛ حيث يترتب عليها تلقائيًا بطلان شرعية حكم فرعون ونظامه كله؛ إذ إن هذا النظام قائم على أساس . . ربوبية فرعون لقومه . . ومن ثم قرنوا الإفساد في الأرض بترك موسى وقومه لآلهة فرعون التي يعبدها هو وقومه »(٦) .

(١) سيد قطب : مقومات التصور الإسلامي، (القاهرة : دار الشروق، ط الأولى ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م) ص٩٣.

(٢) غافر : ٢٨.

(٣) طه : ٤٩، ٥٠.

(٤) انظر : د/عبدالله شحاته : أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط الثانية ١٩٨١م) ص ٢٣٠.

(٥) الأعراف : ١٢٧.

(٦) الأستاذ سيد قطب : في ظلال القرآن (دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط السابعة، ١٣٩١هـ-١٩٧١م) م٣ ج٧ ص٦١٠، ٦١١.

ثم دعا موسى – عليه السلام – بعد ذلك بني إسرائيل – قومه – إلى التوحيد، وأنكر عليهم عبادة غير الله وطلبهم منه أن يجعل لهم إلهًا من الأصنام، وعبادتهم للعجل من دون الله، ويصور القرآن في سورتي الأعراف وطه هذا الإنكار – على ما سنوضحه بالتفصيل – فيما يلي من البحث إن شاء الله تعالى .

فهذه هي دعوة موسى – عليه السلام – دعوة إلى التوحيد الخالص لله – عز وجل – وإنكار جميع المعبودات التي تعبد من دون الله، فمن العجب بعد ذلك جحد أهل الكتاب لدعوة القرآن لهم، وقد نبههم إلى دعوة واحد من أعظم أنبيائهم وهو موسى – عليه السلام – .

٨- دعوة إلياس – عليه السلام – :

ذكر أكثر المفسرين أن إلياس – عليه السلام – نبي من أنبياء بني إسرائيل، دعاهم إلى عبادة الله وحده، ونبذ عبادة الأصنام(١) .

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (١٢٣) إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلا تَتَّقُونَ (١٢٤) أَتَدْعُونَ بَعْلاً وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ (١٢٥) اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ﴾(٢) والهمزة في قوله : ﴿أَتَدْعُونَ﴾ للاستفهام الإنكاري، فقد شدد عليهم في الإنكار لعبادتهم صنمًا، كان يسمى «بَعْلاً» وقد ذكره القرآن على لسان إلياس – عليه السلام – في قوله : ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلاً وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾ .

وقد صارع – عليه السلام – قومه من أجل عقيدة التوحيد، وأعلن أن المستحق للعبادة والتقديس هو الله وحده ربهم ورب الناس جميعًا.

٩- دعوة عيسى – عليه السلام – :

إن دعوة المسيح عيسى بن مريم – هي الامتداد الطبيعي لرسالة موسى –

---

(١) انظر للإمام القرطبي : الجامع لأحكام القرآن (ط دار الغد العربي) جـ٨ ص٥٧٥ .

(٢) الصافات : ١٢٣، ١٢٦ .

عليه السلام - وهي رسالة التوحيد الخالص لله - عز وجل - ونصوص الإنجيل(١) - رغم ثبوت التحريف - تشهد على ذلك.

وجاء القرآن الكريم يؤكد على ذلك وينص عليه، فذكر أن الرسالة التي جاء بها المسيح - عليه السلام - رسالة التوحيد، فقال القرآن على لسان المسيح : ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾(٢)، وقوله : ﴿ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ ﴾(٣).

ويكشف القرآن الكريم عن حوار لم يقع بعد، يوضح عقيدة عيسى - عليه السلام - وأنه ما جاء إلا بالتوحيد، ودعا إليه، وأنه بريء من كل ما قيل عنه، من أنه ابن الله أو الله أو ثالث ثلاثة.

فقال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ (١١٦) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾(٤).

فهذا عن الرسالة التي جاء بها المسيح، دعوة إلى التوحيد الخالص لله - عز وجل -.

---

(١) جاء في إنجيل مرقس (١٢ : ٢٩) قول المسيح : «إن كل الوصايا هي اسمع يا إسرائيل : الرب إلهنا رب واحد» وفي يوحنا (١٧ : ٣) «وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته» وفي متى (١٩ : ١٧) «فقال له : لماذا تدعوني صالحًا ؟ ليس أحد صالحًا إلا واحد وهو الله».

(٢) مريم : ٣٦.

(٣) المائدة : ٧٢.

(٤) المائدة : ١١٦، ١١٧.

إذاً فعقيدة التوحيد والدعوة إليها هي وظيفة الرسل في المقام الأول، فإذا ادعى قوم أنهم على دين سماوي، وأن بأيديهم كتاباً منزلاً من عند الله، ثم كان لهم في الله ما يدخل اللبس والإيهام في ذاته، أو التعدد والشرك في وحدانيته - فالتهمة قائمة على هؤلاء القوم أنهم بدلوا وغيروا في دين الله، وما أُنزل على رسوله(١) .

وعليه، فالقرآن الكريم - عندما يثبت دعوات الرسل السابقين - على هذا النحو - إنما يقدم للبشر جميعاً الحقيقة التي أفسدتها أهواء الناس وغيرتها، وكان القرآن الكريم يخاطب كل من أشرك بالله تعالى بقوله : هذه هي دعوة الأنبياء والرسل، ودعوة إلى التوحيد الخالص لله عز وجل، فيخاطب الذين يدّعون أنهم أتباع موسى - عليه السلام - هذه هي دعوته ورسالته، ويخاطب الذين يدّعون أنهم أتباع عيسى - عليه السلام - هذه هي دعوته وطريقته، فلا تطروه ولا تظلموه، وإذا كنتم - جميعاً - تريدون النجاة والخلاص الحقيقي فعليكم باعتناق الإسلام.

ثالثًا : وحدة النطق بالإسلام (الذي جاء بالتوحيد) :

الإسلام يطلق على الانقياد والطاعة، قال صاحب القاموس : «أسلم انقاد وصار مسلماً، والإسلام مصدر، وهو يأتي بمعنى خضع واستسلم، وبمعنى أدى، يقال : أسلمت الشيء إلى فلان إذا أديته، ويقال: أسلم وسلم بالتحريك بمعنى الخالص من الشيء»(٢) .

وهناك علاقة وثيقة بين الإسلام والدين، «فتسمية دين الحق إسلامًا يناسب كل معنى من معاني الكلمة في اللغة، ويؤيده قول الله تعالى : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا

(١) انظر : عبد الكريم الخطيب : المسيح في القرآن، والتوراة، والإنجيل (ط مطبعة التأليف، دار الكتب الحديثة، ط الأولى ١٣٨٥هـ-١٩٦٥م) ص٢٨٠.

(٢) الفيروزآبادي : القاموس المحيط (ط البابي الحلبي) جـ١ ص١٣١، ١٣٢، وانظر : د/أحمد محمود مبارك : أولو العزم ومناهجهم في الدعوة إلى الله ص٥٨.

(٣) النساء : ١٢٥.

(٤) محمد رشيد رضا : مختصر تفسير المنار (المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، ط الأولى ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م) جـ١ ص٣٠٤.

مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾(٣) »(٤) .

وقد تقرر أن الدعوة التي جاء بها الرسل جميعًا هي : توحيد الله – عز وجل – وإفراده بالعبادة، وهذه هي بعينها دعوة الإسلام، إذن فالإسلام دين الأنبياء جميعًا وملتهم، وقد أقروا به، ونطقت ألسنتهم باسمه، ودَعوا إليه، فتأكيداً لما سبق من اتفاقهم على هدف واحد؛ وهو الدعوة إلى وحدانية الخالق – سبحانه – نبين تصريح القرآن بوحدة النطق بالإسلام عند الأنبياء جميعًا عليهم السلام.

١ – ما جاء في شأن نوح – عليه السلام – :

قال تعالى : **﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾**(١) .

والمعنى : « وأنا ممتثل ما أمرت به من الإسلام لله – عز وجل –، والإسلام دين الأنبياء جميعًا من أولهم إلى آخرهم، وإن تنوعت شرائعهم وتعددت مناهلهم »(٢) .

٢ – ما جاء في شأن إبراهيم – على السلام – :

قال الله تعالى : **﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (١٣٠) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٣١) وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾**(٣) .

فالقرآن ينص على أن إبراهيم – عليه السلام – قد أخذ العهد والميثاق على

(١) يونس : ٧٢.

(٢) مختصر تفسير ابن كثير، اختصار وتحقيق : محمد على الصابوني (دار التراث العربي للطباعة والنشر، القاهرة ١٤٠٧هـ–١٩٨٧م) جـ٢ ص٢٠٢.

(٣) البقرة : ١٣٠–١٣٢.

أولاده في وصيته بأن يتمسكوا بالإسلام من بعده، وأن لا يشركوا بالله شيئًا.

« ويبين القرآن هنا حقيقة الاقتداء والانتماء إلى إبراهيم، وذلك من خلال منهج إبراهيم في علاقته بربه : ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(١).

جدل أهل الكتاب في إبراهيم - عليه السلام - ورد القرآن عليهم :

قص علينا القرآن الكريم حجاج اليهود والنصارى في إبراهيم - عليه السلام - كلٌّ يزعم أنه على دينه، قال الله تعالى : ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإِنجِيلُ إِلاَّ مِنْ بَعْدِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ (٦٥) هَا أَنتُمْ هَؤُلاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ (٦٦) مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٦٧) إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾(٢).

روي في سبب النزول : « قال أحبار يهود ونصارى نجران، حين اجتمعوا عند رسول الله ﷺ فتنازعوا، فقالت الأحبار : ما كان إبراهيم إلا يهوديًّا، وقالت النصارى من أهل نجران : ما كان إبراهيم إلا نصرانيًّا فأنزل الله عز وجل فيهم : ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإِنجِيلُ إِلاَّ مِنْ بَعْدِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾(٣).

وقوله تعالى : ﴿لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ إنكار وتعجب من منازعتهم ومجادلتهم في إبراهيم، وادعاء كل منهم أنه على دينه. « وقوله : ﴿وَمَا أُنزِلَتِ

(١) صابر عبدالرحمن طعيمة : بنو إسرائيل بين نبأ القرآن الكريم وخبر العهد القديم (عالم الكتب، بيروت - لبنان ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م) ص١٩.

(٢) آل عمران : ٦٥-٦٨.

(٣) ابن هشام : السيرة النبوية جـ٢ ص١٥٧.

﴿التَّوْرَاةُ وَالإِنجِيلُ إِلاَّ مِنْ بَعْدِهِ﴾ الظرف الأول متعلق بما بعده وكذا الثاني، و« ما » استفهامية، والغرض الإنكار والتعجب ... ﴿وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ﴾ على موسى – عليه السلام – ﴿وَالإِنجِيلُ﴾ على عيسى – على السلام – ﴿إِلاَّ مِنْ بَعْدِهِ﴾، قيل: كان بينه وبين موسى – عليه السلام – خمسمائة وخمس وستون سنة، وقيل : سبعمائة، وقيل : ألف سنة، وبين موسى وعيسى – عليهما السلام – ألف وتسعمائة وخمس وعشرون سنة، وقيل : ألفا سنة »(١) .

« وهذه الآية أبين حجة على اليهود والنصارى؛ إذ التوراة والإنجيل أنزلا من بعده، وليس فيها اسم لواحد من الأديان، واسم الإسلام في كل كتاب »(٢) .

وقوله : ﴿أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ استفهام يدعوهم إلى أن يقدروا نعمة العقل التي ميز الله بها الإنسان عن غيره، فليس من اللائق بكم وأنتم أصحاب كتاب سماوي أن ترددوا ما تسمعون دون تعقل منكم، فما فائدة العقل إذا ألقى الكلام على عواهنه دون دليل أو برهان يؤيده؟ وقوله – سبحانه – : ﴿هَا أَنتُمْ هَؤُلاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ﴾ من أمر عيسى – عليه السلام – ﴿فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ﴾ من أمر إبراهيم – عليه السلام –، والاستفهام للتعجب ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ « وفي الآية نفي العلم عنهم في شأن إبراهيم – عليه السلام – ثم صرح بما نطق به البرهان المقرر : ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا﴾ كما قالت اليهود ﴿وَلا نَصْرَانِيًّا﴾ كما قالت النصارى : ﴿وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا﴾ أي مائلاً عن العقائد الزائفة ﴿مُّسْلِمًا﴾ أي منقاداً لطاعة الحق، أو موحداً؛ لأن الإسلام يرد بمعنى التوحيد أيضاً »(٣) .

---

(١) الإمام الألوسي : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (بيروت – لبنان، دار إحياء التراث العربي، ط الرابعة ١٤٠٥هـ–١٩٨٥م) جـ٣ ص١٩٤ .

(٢) الزجاج : معاني القرآن وإعرابه، تحقيق : د/عبدالجليل عبده شلبي (عالم الكتب – بيروت، ط الأولى ١٤٠٨هـ–١٩٨٨م) جـ١ ص٤٢٦، ٤٢٧ .

(٣) الإمام الألوسي : روح المعاني، جـ٣ ص١٩٥ .

﴿ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ أي لم يكن من عبدة الأصنام من العرب، أو من اليهود الذين قالوا : عزير ابن الله، أو من النصارى الذين قالوا : المسيح ابن الله.
وقوله : ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أخبر الله تعالى إخباراً مؤكداً أن أولى الناس بإبراهيم الخليل هم القوم الذين اتبعوه على ملة الحنيفية، وهنا يدخل من اتبع الحنيفية في الفترات، وهذا النبي محمد ﷺ، لأنه بعث بالحنيفية السمحة(١) .

وقال القرآن الكريم في رده على زعمهم - أيضًا - :

﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾(٢) .

وفي الآية : « توبيخ من الله تعالى على كلامهم في معرض الاستفهام على سبيل الإنكار والغرض منه الزجر والتوبيخ، وأن الله يقرر في نفوسهم أنهم يعلمون أنهم كانوا كاذبين فيما يقولون »(٣) .

وقوله في آخر الآية : ﴿ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ تكررت هذه الجملة في مواطن من القرآن الكريم، « ولا تأتي الجملة إلا عقب ارتكاب معصية؛ فتجيء متضمنة وعيداً ومعلمة أن الله لا يترك أمرهم، بل هو محصل لأعمالهم، مجاز عليها »(٤) .

وبذلك تكون - الآيات السابقة - قد أبطلت زعم أهل الكتاب في أن إبراهيم

---

(١) انظر : محمد القاضي : يوم عاشوراء بين الفقه والتاريخ (من مقال نشر في مجلة منار الإسلام) ص٢١ .
(٢) البقرة : ١٤٠ .
(٣) الإمام الرازي : مفاتيح الغيب (ط دار الغد العربي، القاهرة) جـ٢ ص٤٥٩ .
(٤) أبي حيان : التفسير الكبير المسمى بالبحر المحيط، (مكتبة ومطابع النصر الحديثة، الرياض) جـ١ ص٢٦٨ .

– عليه السلام – على ملتهم، وأثبتت بالدليل القاطع أن إبراهيم لم يكن يهوديًا ولا نصرانيًا ولكن كان حنيفًا مسلمًا، والأنبياء جميعًا كانوا كذلك.

٣- ما جاء في شأن يعقوب – عليه السلام – :

يقول الله تعالى : ﴿ **أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ** ﴾(١) .

ووصية يعقوب – عليه السلام – حجة على أهل الكتاب – وخاصة اليهود – بأنه – عليه السلام – أوصى في حالة احتضاره بنيه بعباده الله وحده لا شريك له، فيسألهم قبل وفاته ﴿ **مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي** ﴾ فيقرون بأنهم ما يعبدون إلا إلهه وإله آبائه إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهًا واحداً.

« والنص القرآني قاطع في أنهم بعثوا على الإسلام .. إن خرجوا عنه خرجوا من رحمة الله .. وإن ظلوا فيه أدركتهم الرحمة »(٢) .

٤- ما جاء في شأن لوط – عليه السلام – :

قال الله تعالى : ﴿ **فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٣٥) فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ** ﴾(٣) .

فكان بيت لوط هو البيت المسلم، فهو من المسلمين.

٥- وفي شأن يوسف – عليه السلام – :

قال تعالى : ﴿ **رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ**

---

(١) البقرة : ١٣٣.

(٢) أحمد بهجت : أنبياء الله، ص١١٧.

(٣) الذاريات : ٣٥، ٣٦ .

السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾(١) .

وهذا إعلان منه – عليه السلام – لإسلامه التزامًا بوصية آبائه يعقوب وإبراهيم إلى بنيهم .

٦- وفي شأن سليمان – عليه السلام – :

قال سبحانه : ﴿ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴾(٢) .

فهو يعلن عن ملته التي يؤمن بها، وهي الإسلام، وكذلك أعلنتها بلقيس في يقين وقالت : ﴿ وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾(٣) .

٧- وفي شأن موسى – عليه السلام – :

يقول الله تعالى : ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴾(٤) .

فها هو – عليه السلام – يوصي بإقامة دين الإسلام، فهل يتبعه من يدّعون أنهم أتباعه وينفذون وصيته ؟ .

والإسلام دين موسى من بنى إسرائيل، حتى فرعون عدو موسى اللدود أقر بالإسلام عندما أدركه الغرق، قال تعالى : ﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَٰهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾(٥) .

---

(١) يوسف : ١٠١.

(٢) النمل : ٤٢.

(٣) النمل : ٤٤.

(٤) يونس : ٨٤.

(٥) يونس : ٩٠.

والإسلام دين السحرة الذين آمنوا بدعوة موسى – عليه السلام – قال تعالى : ﴿قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾(١) .

وكذلك جميع أنبياء بني إسرائيل أسلموا لله رب العالمين، قال تعالى : ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا﴾(٢) .

٨- وجاء في شأن عيسى – عليه السلام – :

حيث يقول الله تعالى : ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾(٣) . فهو يدعوهم إلى الإسلام. وقد أوحى الله تعالى به إليه : ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾(٤) .

والإسلام دين المهتدين من الجن : ﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾(٥) .

وهو دين من تمسك بالحق من أهل الكتاب – قبل بعثة النبي ﷺ – : ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾(٦) .

ثم نأتي إلى خاتم الرسل ﷺ فهو أول المسلمين : ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾(٧) .

---

(١) الأعراف : ١٢٥، ١٢٦.

(٢) المائدة : ٤٤ .

(٣) آل عمران : ٥٢ .

(٤) المائدة : ١١١ .

(٥) الجن : ١٤ .

(٦) القصص : ٥٢، ٥٣ .

(٧) الزمر : ١٢ .

ثم يقرر القرآن في وضوح أن الإسلام دين أهل السماوات والأرض : ﴿ **أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ** ﴾(١) .

فيبدو – واضحًا وجليًا – « أن دين الإسلام غير محدد بعصر ولا جيل ولا بمكان ولا بأمة ولا بشعب ولا بطبقة، إنه دين شامل يخاطب كل الأمم، وكل الأجناس وكل الشعوب، وكل الطبقات »(٢) .

فضلاً عن هذا كله، فهو الدين الذي ارتضاه الله تعالى لخلقه : ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا** ﴾(٣) .

وهو الدين الحق بشهادته – سبحانه – : ﴿ **وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾(٤) .

« فدين الأنبياء والمرسلين دين واحد، وإن كان لكل من التوراة والإنجيل شرعة ومنهاجًا »(٥) .

وتصور السنة النبوية – في أحاديث صحيحة – وحدة الدين والرسالة بين الأنبياء جميعًا، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : « **أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الأولى والآخرة**، قالوا : كيف يارسول الله ؟ قال : **الأنبياء إخوة من علات**(٦) **أمهاتهم شتى ودينهم واحد، فليس بيننا نبي** »(٧) .

---

(١) آل عمران : ٨٣.

(٢) د/يوسف القرضاوي : الخصائص العامة للإسلام (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط الثانية ١٤٠٤هـ-١٩٨٣م) ص١٠٧.

(٣) المائدة : ٣.

(٤) آل عمران : ٨٥.

(٥) شيخ الإسلام ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، (مؤسسة محمد علي صبيح المدني، القاهرة) جـ١ ص٥.

(٦) أولاد العلات : بفتح العين المهملة وتشديد اللام هم الأخوة لأب من أمهات شتى (صحيح مسلم بشرح النووي) (دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٣٤٩هـ-١٩٣٠م) جـ١٥ ص١١٩.

(٧) صحيح مسلم بشرح النووي، باب فضائل عيسى – عليه السلام – جـ١٥ ص١١٩.

وليس أبلغ ولا أروع من تصوير النبي ﷺ لوحدة الدين : فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال : « **إنما مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتًا فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون حوله ويعجبون له، ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة، قال : فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين**»[١] .

فالإسلام دين شامل للبشرية جمعاء، وهذا ما أكده واعترف به أساطين الفكر الغربي : « فلقد كان صادقًا أوجست كونت – رائد الفلسفة الوضعية عندما قال : إذا كان لابد من دين للبشرية فلن يكون هذا الدين إلا الإسلام، وحينما سئل لماذا؟ قال : لأن الإسلام هو الدين الوحيد الذي يملك مستويات متعددة للخطاب العقلي، فهو قادر على أن يتحدى أكبر العقول ويخاطبها، وهو قادر على أن يخاطب الإنسان البسيط بكل مداركه المحدودة »[٢] .

هذا هو الدين الذي ندعو أهل الكتاب إلى اعتناقه والدخول فيه؛ لأن فيه صلاحهم، وفيه بلوغ أقصى ما يقدرون له من الكمال، ولأنه الدين الذي يعد للحياة الفاضلة عدتها، ولابد لهم من أن يتيقنوا أنه : « لما لم يكن هناك غير إله واحد، كذلك لا يكون هناك غير دين واحد يدعى إليه الناس كافة »[٣] ، وذلك الدين هو الإسلام.

---

(١) صحيح البخاري (ط دار مطابع الشعب ٧٨ / ١٣٧٩هـ) (كتاب بدء الخلق) جـ٤ ص١٢٥ .

(٢) أحمد عز الدين : الإسلام والحضارة البديلة (مقال نشر في مجلة منار الإسلام عدد محرم ١٤١٥هـ-١٩٩٤م) ص٩٠ .

(٣) سير توماس أرنولد : الدعوة إلى الإسلام. بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية، ترجمة د/حسن إبراهيم حسن، د/عبدالحميد عابدين (مكتبة النهضة المصرية، القاهرة) ص٤٨ .

الفصل الثاني
الترغيب والترهيب في دعوتهم إلى التوحيد

سلك القرآن الكريم لإثبات حقيقة التوحيد كل المسالك والأساليب للوصول بها إلى نفس كل إنسان، وجعلها أصلاً من أصول الاعتقاد الذي لا يقبل الله بدونه عبادة ولا عملاً.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾(١).

فبعد أن نبه القرآن الكريم أهل الكتاب وغيرهم إلى أن دعوة التوحيد هي دعوة الأنبياء جميعًا، وأن دينهم الذي بعثوا من أجل الدعوة إليه دين واحد هو الإسلام، وكان هذا أسلوب من القرآن في حثهم على اعتناق عقيدة التوحيد، وترك الشرك والكفر، استخدم القرآن - كذلك في الدعوة إلى نفس الهدف - أسلوب الترغيب؛ لأن الإسلام بطبيعته يرفض الإكراه في الاعتقاد، فقد جاء القرآن بقوله: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾(٢). وقوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾(٣). وقوله: ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾(٤).

وأسلوب الترغيب يصل إلى نفس الإنسان من خلال ما ركب فيها من رجاء،

---

(١) النساء: ٤٨، ١١٦.

(٢) البقرة: ٢٥٦.

(٣) يونس: ٩٩.

(٤) القصص: ٥٦.

كما استخدم معهم أسلوب الترهيب الذي يصل إلى نفس الإنسان – أيضًا – من خلال ما ركب فيها من خوف.

«والخوف والرجاء بقوتهما وتشابكهما واختلاطهما بالكيان البشري كله في أعماقه، يوجهان في الواقع اتجاه الإنسان في الحياة، ويحددان أهدافه وسلوكه ومشاعره وأفكاره. فعلى قدر ما يخاف، ونوع ما يخاف، وعلى قدر ما يرجو ونوع ما يرجو يتخذ لنفسه منهج حياته، ويوفق بين سلوكه وبين ما يخاف ويرجو»(١).

واستخدام القرآن لهذين الأسلوبين هو منتهى الحكمة في طريقة عرض الدعوة إلى الله؛ لأنهما يتوافقان مع طبيعة النفس البشرية.

وسنتناول في هذا الفصل مبحثين :

المبحث الأول : أسلوب الترغيب .

المبحث الثاني : أسلوب الترهيب .

---

(١) محمد قطب : دراسات في النفس الإنسانية (دار الشروق ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م) ص٧٦، ٧٧ .

المبحث الأول

أسلوب الترغيب

الترغيب في اللغة : من رغَّب في الشيء بالتشديد، «أي جعله يرغبه وأعطاه ما رغب فيه»(١) .

والرغيبة الأمر المرغوب فيه والعطاء الكثير(٢) .

وواضح من التعريف اللغوي لكلمة الترغيب أنها تفيد معنيين :

الأول : التحبيب في أمر ما.

الثاني : إعطاء الثواب عليه.

وفي هذا دفع للمرغَّب إلى الحرص على المرغب فيه وحثٌّ له على السعي في طلبه .

ومن هنا كان استخدام القرآن الكريم للترغيب أسلوباً في حض أهل الكتاب على الإيمان بالله عز وجل وتوحيده التوحيد الخالص.

وقد سلك القرآن الكريم في ترغيب أهل الكتاب في التوحيد الخالص عدة مسالك أهمها ما يلي :

أولاً : ترغيبهم عن طريق استثارة فطرهم وعقولهم :

أرشد القرآن الكريم إلى أن توحيد الله تعالى هو الفطرة التي فطر الناس عليها، فإنه – سبحانه – فطر جميع خلقه على معرفته والإقرار بوحدانيته وربوبيته، فالتوحيد مركب في الطبيعة البشرية؛ إذ الإنسان مفطور على توحيد الله – عز

---

(١) انظر: المعجم الوسيط، مادة (رغب) ص٣٦٩.

(٢) الفيروز آبادي : القاموس المحيط (ط الهيئة المصرية العامة للكتاب) مادة (رغب) جـ١ ص٧٤.

وجل - .

وقد أثبت القرآن فطرية التوحيد، وساق الدليل على وحدانيته - سبحانه - وربوبيته على جميع خلقه.

وذلك من خلال الآيات البارزة التالية :

١- يقول الله تعالى : ﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ**﴾(١).

٢- ويقول سبحانه : ﴿**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ**﴾(٢).

ولا شك أن في الآيتين تنبيهاً لأهل الكتاب ولغيرهم إلى أن التوحيد أودعه الله في فطرهم، وركبه في عقولهم. وهذا تذكير لهم بفطرية التوحيد، وترغيب لهم في العودة إلى ما خلقوا مجبولين عليه من التوحيد والإقرار بالربوبية لله وحده.

وقوله تعالى في الآية الأولى : ﴿**فِطْرَةَ اللَّهِ**﴾ إضافة الفطرة إلى الله تعالى إضافة تشريف وتوكيد لتمامها وكمالها، وتمام الدين المعبر بها عنه وكماله. ثم هي الفطرة التي فُطر الناس عليها ... والتعبير في الآية بلفظ (الناس) على الجمع أصرح وأوضح في الدلالة على أن الإسلام (الذي جاء بالتوحيد) قد أنزله الله طبق فطرة الإنسان فرداً وجنساً، قبائل وشعوباً، أفراداً وجماعات، فلو كان التعبير : فطرة الله التي فطر الإنسان عليها. لكان هناك محل للتساؤل عن المقصود بالإنسان، أهو آدم أم نسله ؟ هل أداة التعريف في (الإنسان) للعهد أم للجنس ؟ وهل الإسلام دين الفرد أو دين الجماعة ؟ أما التعبير في الآية بلفظ الجمع فقد منع هذا

---

(١) الروم : ٣٠.

(٢) الأعراف : ١٧٢.

التساؤل..؛ إذ قد أفاد أن الناس على اختلاف أجناسهم وبيئاتهم يجدون تمام تحقيق فطرتهم في دين الله، دين الإسلام(١) .

والآية تجعل الإسلام نفس الفطرة وليس دين الفطرة فقط، وهذا الوصف ليس فيه مبالغة، بل هو وصف دقيق من فاطر الفطرة - سبحانه - .

وكون الإسلام والفطرة شيئًا واحداً صرح به بعض من العلماء، واستدلوا على ذلك بنصب ﴿ فِطْرَةَ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ بتقدير (الزموا) أي الزموا فطرة الله، بضمير خطاب الجماعة، مستدلاً بقوله تعالى في أول الآية بعدها : ﴿ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ ... ﴾ على الجمع، ثم قال : « والفطرة الخلقة، ألا ترى قوله : ﴿ لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾ والمعنى أنه خلقهم قابلين للتوحيد ودين الإسلام غير نائين ولا منكرين له، لكونه مجاوبًا للعقل، مساوقًا للنظر الصحيح، حتى لو تركوا لما اختاروا عليه دينًا آخر، مَنْ غوى منهم فبإغواء شياطين الإنس والجن. وقالوا في تفسير ﴿ لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾ أي لا ينبغي أن تبدل تلك الفطرة أو تغير »(٢) .

والإمام ابن كثير يقول عن الآية : « يقول الله تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ ﴾ واستمر على الدين الذي شرعه الله لك من الحنيفية ملة إبراهيم التي هداك الله لها وكملها لك غاية الكمال، وأنت مع ذلك لازم فطرتك التي فطر الله الخلق عليها، فإنه تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده وأنه لا إله غيره »(٣) .

وكأن القرآن الكريم - في هذه الآية - يخاطب الناس جميعًا - وخاصة من أشرك منهم كاليهود والنصارى الذي نسبوا لله تعالى ما لا يليق به - ويقول لهم :

---

(١) انظر : محمد أحمد الغمراوي : الإسلام في عصر العلم (دار الإنسان، القاهرة، ط الثانية ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م) ص٢٩.

(٢) المرجع السابق، ص٣٣.

(٣) انظر : مختصر تفسير ابن كثير، جـ٣ ص٥٣، ٥٤.

كيف تتجرءون وتغيرون فطرة الله التي فطر جميع خلقه عليها بتغيرها عندهم، يؤكد ذلك قول النبي ﷺ : «**ما من مولود إلا ويولد على الفطرة : فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة، بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء**»، ثم قال أبو هريرة : اقرءوا إن شئتم ﴿**فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ**﴾(١) .

فالآية السابقة تثبت أن الإسلام - دين الله - والفطرة السليمة شيء واحد، فليتنبه أهل الكتاب لهذا كله، وليفيئوا عن ضلالهم وشركهم إلى توحيد ربهم (الفطرة التي فطرهم عليها).

وفي الآية الثانية وهي قوله - سبحانه - : ﴿**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا**..﴾ بيَّن القرآن الكريم أصالة الفطرة وعمومها لكل أفراد النوع الإنساني؛ فصورها القرآن في صورة ميثاق قديم أخذه الله على الإنسانية أن تعبده وتوحده.

وفي الآية : «ذكر الله - سبحانه - الحجة العظيمة والآية الكبيرة التي تعم الأمم كلها...؛ ذلك أن الأمم جميعها قد نصبت لها الدلائل وقامت لها الحجج وظهرت لها بوارق الحق في آفاق السماء ومناكب الأرض وفي الأنفس ... فالعجائب الكامنة والبدائع الواضحة في هذه العوالم العلوية والسفلية هي العهود والمواثيق التي أخذها الله على الناس أن يؤمنوا بالله وأن يعدلوا في أحكامهم ويصدقوا في أقوالهم»(٢) .

فالآية تذكر أهل الكتاب - وغيرهم - أنهم اعترفوا بواحدانية الله وربوبيته - وهم في عالم الذر أي عالم الأرواح، «وبقى أن يعترفوا بعبوديتهم لله وهم أجساد

(١) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب ما جاء في تفسير سورة الروم جـ٦ ص١٤٣. (دار مطابع الشعب)، وصحيح مسلم بشرح النووي، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة جـ١٦ ص٢٠٧.

(٢) الشيخ طنطاوي جوهري : الجواهر في تفسير القرآن الكريم (مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، ط الثانية سنة ١٣٠٥هـ) جـ٤ ص٢٤٣، ٢٤٤.

على الأرض، إن الاعتراف الثاني تابع للاعتراف القديم، إن الاعتراف بالربوبية يقود مباشرة للاعتراف بالعبودية(١) . وإفرادها لله تعالى - سبحانه - .

قال الشيخ القاسمي : «والمقصود من الآية السابقة الاحتجاج على المشركين - سواء أكانوا يهوداً أو نصارى أو غيرهم - بمعرفتهم ربوبيته تعالى معرفة فطرية لازمة لهم لزوم الإقرار منهم والشهادة»(٢) .

فهذا ترغيب لأهل الكتاب بأنهم مهيئون للتوحيد منذ أن خلقهم الله عز وجل وذلك بشهادتهم على أنفسهم، واعترافهم بوحدانية الله تعالى، فكيف بعد ذلك ينحرفون عنه، وقد اعترفوا به من قبل. وقد أبطل الله تعالى الحجج والأعذار، فلا يعذر أحد بكفره ولا بشركه؛ لأن وحدانيته - سبحانه - فطرية ضرورية عند كل إنسان، حتى من خُلق مجنونًا فإنه يلهج بذكر الله تعالى .

وإذا كانت الفطرة السليمة - إذا خلت من المؤثرات - تصل إلى وجود الله ووحدانيته، فكذلك العقل السليم يصل إلى الله تعالى ويقر بوحدانيته؛ ومن هنا دعا القرآن أهل الكتاب وغيرهم إلى «استقلال الفكر وإطلاقه من أسر التقليد بغير تدبر، وحث الإنسان على التماس الحقيقة معتمداً على قدرته العقلية، وما أودعه الله فيه من فطرة سليمة، فجعل أساس الإيمان النظر في خلق السماوات والأرض، والتأمل في حقائق الوجود(٣) . وهناك أمثلة كثيرة في القرآن تدل على ذلك منها :

قول الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(١) .

---

(١) أحمد بهجت : الله في العقيدة الإسلامية، القاهرة : (ط المختار الإسلامي ١٩٧٩م) ص ١٤٢ .

(٢) الشيخ جمال الدين القاسمي : محاسن التاويل ( ) م٤ جـ٧ ص٢٨٩٧ .

(٣) حسن فتح الباب : التسامح الديني والتحرر الفكري في الإسلام (بحث نشر في مجلة الوعي الإسلامي الكويتية، العدد ١٢٥، السنة ١١) ص٨٨ .

وفي الآية : «خطاب عام لجميع الناس أن يعبدوا ربهم، أي يخضعوا له وحده بالعبادة؛ إذ لا رب لهم غيره، فهو الذي خلقهم وخلق آباءهم الأولين . . قوله : ﴿ فلا تجعلوا لله أندادًا ﴾ أي نظراء من خلقه تساوونهم به في استحقاق العبادة وأنتم تعلمون أنها لم تخلق شيئًا»(٢) .

ويقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾(٣) .

وقوله : ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾(٤) .

وقوله : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً ﴾(٥) .

فمن هذه الآيات – ومثيلاتها – نجد أن دعوة القرآن إلى النظر دعوة شاملة لا تقتصر على جانب من جوانب الكون أو ناحية من نواحي الحياة، فكل ما خلق الله تعالى يمكن أن يكون موضوعًا للتأمل والتفكير المنظم(٦) . فالقرآن الكريم أتى «ليطلق الأجهزة النفسية للتفكير والتدبر والتذكر والتأمل، وكلها مترادفات تحث على النظر العقلي، وتتضمن توجيهات منهجية للاستدلال وتقديم البراهين»(١) .

---

(١) البقرة : ٢١، ٢٢.

(٢) انظر : د/خليل هراس : دعوة التوحيد أصولها – الأدوار التي مرت بها – مشاهير دعاتها (ط دار الكتب العلمية) ص٣٠.

(٣) الجاثية : ٣–٥.

(٤) العنكبوت : ٢٠.

(٥) الفرقان : ٤٥.

(٦) انظر : د/محمد الأنور السنهوتي : مدخل نقدي لدراسة علم الكلام (دار الثقافة العربية، القاهرة، مطبعة العمرانية للأوفست ١٤١٠هـ–١٩٩٠م) ص١١٢.

فليتدبر أهل الكتاب وينظروا إلى ما أحاطهم الله به من مخلوقات تدل دلالة قاطعة على وجود إله واحد لا شريك له. وهذا أسلوب من أساليب الدعوة القرآنية له تأثير عقلي ووجداني على الإنسان، «فهو يوجه الحس الإنساني إلى جمال الحركة اللطيفة في بعض مشاهد الكون، كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ...﴾ وإلى هذا المستوى المرفرف يتجه المنهج القرآني بالحس الإنساني في تصوره لحقيقة الكون من حوله»(٢).

ومن هنا كانت حملة القرآن شديدة على الذين لا يستعملون عقولهم ومداركهم وما وهب الله لهم من طاقات وقدرات ذهنية، بل يعطلون منافذ التفكير والمعرفة في أنفسهم ضاربين في بيداء الضلال، منقادين وراء سراب التقليد، فالذين لا يستفيدون من عقولهم أقرب إلى الحيوانات منهم إلى الإنسان(٣).

قال الله تعالى في شأن هؤلاء: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾(٤).

فمن الواضح أن بيان القرآن لفطرية التوحيد عند الناس جميعًا، ودعوته لهم إلى التفكر والتأمل في الكون حولهم ترغيب لهم وحمل لهم على الاعتراف بوحدانية الله – سبحانه – وربوبيته، ولعل أهل الكتاب يتنبهوا لذلك ويرجعون عن شركهم وضلالهم.

ثانيًا: دعوتهم إلى كلمة سواء:

من أساليب الترغيب التي استعملها القرآن الكريم في دعوة أهل الكتاب إلى

(١) د/ محمد الأنور السنهوتي: مدخل نقدي لدراسة علم الكلام، ص١١٦.

(٢) سيد قطب: مقومات التصور الإسلامي (دار الشروق ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م) ص٣٣٩، ٣٤٠.

(٣) د/ محمد الأنور السنهوتي: مدخل نقدي لدراسة علم الكلام، ص ١١٣.

(٤) البقرة: ١٧١.

التوحيد : الأسلوب الهادئ اللين الحكيم، فقد دعاهم القرآن الكريم إلى كلمة سواء، «هذه الكلمة السواء المدعوون إليها هي من صميم الدعوة التي حملها إليهم كل من النبيين الكريمين : موسى وعيسى - عليهما السلام - والذي جاء القرآن الكريم مصدقًا لها»(١). قال الله تعالى : ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾(٢) .

والآية - عامة - تدعو أهل الكتاب إلى ترك الجدال جانبًا؛ طلبًا للعدل والإنصاف.

وفي قوله تعالى : ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ يستخدم القرآن أسلوب الأمر الموجه للنبي ﷺ لكي يدعو أهل الكتاب إلى كلمة التوحيد، وأسلوب النداء الموحى بالتودد والعطف، مما يجعل المنادى يستجيب ويرغب فيما يدعى إليه.

وفي وصف القرآن لهم بـ «أهل الكتاب» تكريم وتشريف لهم فـ «هذا الاسم من أحسن الأسماء وأكمل الألقاب حيث جعلهم أهلاً لكتاب الله، ونظيره ما يقال لحافظ القرآن ياحامل كتاب الله..، فإن هذا اللقب يدل على أن قائله أراد المبالغة في تعظيم المخاطب وفي تطييب قلبه، وذلك إنما يقال عند عدول الإنسان مع خصمه عن طريقة اللجاج والنزاع إلى طريقة طلب الإنصاف»(٣) .

وقوله : ﴿تَعَالَوْا﴾ تعيين لما يدعوهم إليه ولفت أنظارهم للاستماع إليه، «وإن لم يكن انتقالاً من مكان إلى مكان؛ لأن أصل اللفظ مأخوذ من التعالي وهو الارتفاع من موضوع هابط إلى مكان عال ثم كثر استعماله حتى صار دالاً على

---

(١) عبدالكريم الخطيب : المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل (دار التأليف، القاهرة، نشر دار الكتب الحديثة، ط الأولى، سنة ١٣٨٥هـ-١٩٦٥م) ص٢٢.

(٢) آل عمران : ٦٤.

(٣) الإمام الرازي : مفاتيح الغيب (ط دار الغد العربي) جـ٤ ص٢٦٤.

طلب التوجه حيث يدعى إليه»[١] .

وقوله - سبحانه - : ﴿تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا﴾ بيان لهدف دعوتهم، وهو الاستماع إلى كلمة التقت عليها أصول رسالات السماء، ودعت إليها، فهي كلمة ذات إنصاف وعدل تستوي فيها التوراة الصحيحة، ويستوي فيها الإنجيل الصحيح والقرآن، ليس فيها - أي في الكلمة - تحامل من أحد على صاحبه، فكلمة (السواء) العدل والنصف . يقال قد دعاك إلى السواء فاقبل منه، قال زهير :

أروني خطةً لا ضيمَ فيها .·. يسوى بيننا فيها السَّوَاءُ[٢]

﴿أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ﴾ أي أن الكل يقر بوحدانية الله تعالى ويفرد له العبادة ولا يجعل له شريكًا، وهذه هي الكلمة .

وقوله : ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ ينهاهم عن اتخاذ الأحبار والرهبان أربابًا من دون الله . فاليهود عبدت عزيرًا، والنصارى عبدت المسيح، واتخذوا الأحبار والرهبان أربابًا من دون الله، « يحرمون عليهم ويحلون لهم، فيأخذون بتحريمهم وتحليلهم. ولا يلتفتون : هل ذلك التحريم والتحليل من عند الله تعالى أم لا ؟»[٣] .

قال عدي بن حاتم : أتيت النبي ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب . فقال : **ياعدي اطرح عنك هذا الوثن**، وسمعته يقرأ في سورة براءة : ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾[١] قال : **أما أنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئًا استحلوه، وإذا حرموا عليهم شيئًا حرموه**»[٢] .

---

(١) الإمام الرازي : مفاتيح الغيب، جـ٤ ص ٢٦٤ .

(٢) انظر : محمد على الصابوني : صفوة التفاسير (مكتبة الغزالي، دمشق) جـ١ ص٢٠٧ .

(٣) الإمام ابن القيم الجوزية : إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (دار الكتب العلمية) جـ٢ ص٣١٣، ٣١٤ .

وقوله : ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ إرشاد من القرآن للمسلمين إلى ما يجب أن يقولوه لأهل الكتاب إن أعرضوا عن كلمة الحق، والمعنى : فإن أعرضوا عما دعوتهم إليه من الكلمة السواء التي أمرتك بدعائهم فلم يجيبوك إليها، فقولوا أيها المؤمنون: أنتم شهداء يا معشر أهل الكتاب بأننا موحدون مسلمون مقرون لله تعالى بالوحدانية ومخلصون له العبادة(٣) .

وبذلك تكون – الآية الكريمة – قد اشتملت على أسمى الأساليب المرغبة الحكيمة في دعوة أهل الكتاب إلى توحيد الله تعالى، هذه الدعوة التي جاءت بها جميع الكتب المنزلة من السماء.

ومن هنا اتخذ النبي ﷺ الآية السابقة منهجًا في دعوته ملوك أهل الكتاب ورؤساءهم ترغيبًا لهم في اتباعه، وترك ما هم عليه من شرك وضلال.

ثالثًا : وعدهم – إن آمنوا بالله تعالى – بالأجر الكبير ودخول الجنة :

من المسلم به أن المعرفة وحدها لا تكفي في سوق الإنسان إلى الاعتقاد الصحيح، بل لابد من وجود عوامل أخرى معها تحفز على الالتزام بهذا الاعتقاد، وبما تستدعيه المعرفة من البحث عن الخير والفلاح.

من هذه العوامل أو الوسائل : الثواب والعقاب، فهما اللذان يدفعان الإنسان إلى البحث عن الخير والنفع، والابتعاد عن الشر والضر.

ومن هنا؛ فإن القرآن الكريم وعد أهل الكتاب – إن أقروا بالوحدانية لله تعالى وأخلصوا له العبادة – بالثواب الجزيل، وتكفير السيئات، ودخول الجنة؛ ترغيبًا لهم

---

(١) التوبة : ٣١.

(٢) أخرجه الإمام الترمزي في سننه، (تحقيق محمد احمد شاكر ط الثانية ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م) كتاب التفسير (باب سورة التوبة) جـ٥ ص٢٧٨.

(٣) ابن جرير الطبري : جامع البيان عن تأويل القرآن (دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان) جـ٣ ص٢١٥، وانظر : محمد على الصابوني : صفوة التفاسير جـ١ ص٢٠٨.

في المسارعة إلى الإيمان والطاعة.

وهذا ما تنص عليه الآيات التالية:

١- قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(١).

٢- وقوله – سبحانه –: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾(٢).

٣- وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾(٣).

فالآية الأولى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا ...﴾

روي في سبب نزولها، أنها «نزلت في أصحاب سلمان الفارسي، لما قدم سلمان على رسول الله ﷺ جعل يخبر عن عبادة أصحابه واجتهادهم، وقال: يا رسول الله كانوا يصلون ويصومون ويؤمنون بك ويشهدون أنك تبعث نبيًّا، فلما فرغ سلمان من ثنائه عليهم. قال رسول الله ﷺ: «**يا سلمان هم من أهل النار**، فأنزل الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا .. وتلا إلى قوله .. وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(١).

(١) البقرة: ٦٢.

(٢) آل عمران: ١١٠.

(٣) المائدة: ٦٥، ٦٦.

فكان إيمان اليهود التمسك بالتوارة وسنة موسى – عليه السلام – حتى جاء عيسى، فلما جاء عيسى كان من تمسك بالتوراة وأخذ بسنة موسى فلم يدعها ولم يتبع عيسى كان هالكًا، وإيمان النصارى أن من تمسك بالإنجيل منهم وشرائع عيسى كان مؤمنًا مقبولاً منه حتى جاء محمد ﷺ فمن لم يتبع محمداً ﷺ منهم ويدع ما كان عليه من سنة عيسى والإنجيل كان هالكًا[٢] .

وعليه، فلا يُقبل من أهل الكتاب عبادة ولا عمل – بعد بعثة النبي ﷺ إلا إذا آمنوا به ورضوا بالإسلام دينًا .

والآية تبين أن أركان الدين الأساسية التي بعث الله تعالى بها جميع رسله وناط بها سعادة البشر هي الثلاثة المبينة، والركن الأول الأعظم من هذه الأركان – وهو الإيمان بالله تعالى – قد ضل فيه جميع الأمم والأقوام، حتى أقربهم عهداً بهداية الرسل، فاليهود على حفظهم لأصل عقيدة التوحيد، قد غلب عليهم التشبيه ... فجعلوا الله كالإنسان يتعب ويندم على ما فعل ... والنصارى جددوا من عهد قسطنطين الوثنيات القديمة، واتخذوا المسيح ربًّا وإلهًا وعبدوا القديسين وصورهم[٣] .

فترغبهم الآية في العودة إلى التوحيد الخالص وطاعته – سبحانه – وترغب غيرهم كذلك – فلهم الأجر الكبير والثواب العظيم في الآخرة، إن أنابوا إلى الله ورجعوا إليه .

قوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ هم أتباع محمد ﷺ ﴿ وَالَّذِينَ هَادُوا ﴾ هم اليهود أتباع موسى – عليه السلام – ﴿ وَالنَّصَارَىٰ ﴾ أتباع عيسى المسيح – عليه السلام

---

(١) الإمام الواحدي النيسابوري : أسباب النزول (مطبعة البابي الحلبي، ط الأولى ١٤١١هـ-١٩٩٠م) ص١٣ .

(٢) انظر : مختصر تفسير ابن كثير، جـ١ ص٧١ .

(٣) انظر : محمد رشيد رضا : الوحي المحمدي، ص ١٢٦، ١٢٧ .

- ﴿ وَالصَّابِئِينَ ﴾ « جمع صابئ وهو المستحدث سوى دينه دينًا، كالمرتد من أهل الإسلام عن دينه، وكل خارج من دين كان عليه إلى آخر غيره تسميه العرب صابئًا »(١) . وقيل، الصابئون هم عباد الملائكة.

وقوله : ﴿ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ بيان من القرآن « في هذه الفرق الأربعة أنهم إذا آمنوا بالله (بتوحيده وربوبيته) فلهم الثواب في الآخرة، ليعرف أن جميع أرباب الضلال إذا رجعوا عن ضلالهم وآمنوا بالدين الحق فإن الله - سبحانه - يقبل إيمانهم وطاعتهم ولا يردهم عن حضرته أبدًا »(٢) .

وقوله : ﴿ فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ أي أن ثوابهم حاصل عند ربهم لا ينقص منه مثقال ذرة، وبين صفة الأجر الحاصل عند ربهم بقوله : ﴿ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ وذلك موجب للنعيم الدائم لهم.

والذي يتضح من الآية الكريمة أنها تدل على « أن الإيمان هو التصديق والاعتقاد بالقلب؛ لأنه تعالى قال : ﴿ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ ﴾، ثم عطف عليه بقوله : ﴿ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾ »(٣) .

ومثل هذه الآية قال الله تعالى في سورة المائدة : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾(٤) .

أما الآية الثانية وهي قوله تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ... ﴾ يمدح الله عز وجل الأمة المحمدية ويصفها بانها خير الأمم، روي عن أبي هريرة - رضي الله

(١) ابن جرير الطبري : جامع البيان، جـ١ ص٢٥٢.

(٢) فخر الدين الرازي : مفاتيح الغيب، جـ٢ ص١٤٨.

(٣) الطبرسي : مجمع البيان في تفسير القرآن (بيروت، دار إحياء التراث) جـ١ ص١٢٧.

(٤) المائدة : ٦٩.

عنه – : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ قال : خير الناس للناس، يأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام(١) . أي يحثون الناس على اتباع الخير فهم أنفع الناس للناس.

وليس أدل على الترغيب الموجود في هذه الآية من قول الفخر الرازي عند تفسيره لها قال : «ولو آمن أهل الكتاب بهذا الدين الذي لأجله حصلت صفة الخيرية لأتباع محمد ﷺ لحصلت هذه الخيرية أيضًا لهم، فالمقصود من هذا الكلام ترغيب أهل الكتاب في هذا الدين»(٢) .

ولكن كثيرًا من أهل الكتاب آثر ما يعتقده من الباطل على اتباع ملة الإسلام؛ حبًا للرياسة والعلو في الأرض، ولو أنهم اتبعوا الإسلام لحصلت لهم الرياسة في الدنيا، ونالوا الثواب الكبير في الآخرة.

فقد قال الله : ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾(٣) .

وقد كشف القرآن عن حقيقة الإيمان الذي عليه أهل الكتاب فقال : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ ...﴾(٤) . أي أنهم إذا دعوا إلى الإيمان بالله إيمانًا حقيقيًا بعيدًا عن المماحكات والسفسطات، وعن الألغاز والطلاسم التي تعمي على الناس السبيل إلى الطريق المستقيم، أبوا؛ ولذلك قال الله تعالى مشيرًا إلى إيمان أهل الكتاب : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾(١) إنه إيمان مشوب بالشك، ومختلط بالضلال.. فلا يعد ولا

---

(١) صحيح البخاري : كتاب التفسير، جـ٦ ص٤٧، وانظر ابن كثير : تفسير القرآن العظيم (كتاب الشعب) جـ٢ ص٧٧.

(٢) الفخر الرازي : مفاتيح الغيب، جـ٤ ص٣٩٥، ٣٩٦.

(٣) البقرة : ١٣٧.

(٤) البقرة : ١٣.

يحسب في الإيمان بحال من الأحوال»(٢) .

وأما عن النص الثالث وهو قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ. . . ﴾ فيرغب الله تعالى أهل الكتاب بالفوز بسعادات الدنيا والآخرة - إن آمنوا بالله تعالى إيمانًا صادقًا - وهذا وعد منه - سبحانه - والله لا يخلف وعده.

قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا ﴾ الإيمان المطلوب منهم هو توحيد الله، وعدم نسبة الشرك إليه، هذا الإيمان يشترط فيه أن يكون صادقًا؛ ولذا أضاف القرآن إلى قوله : ﴿ آمَنُوا ﴾ لفظ ﴿ وَاتَّقَوْا ﴾ مع أن الإيمان وحده سبب في تكفير السيئات ودخول الجنة، لكن لابد أن يكون إيمانهم لغرض التقوى والطاعة، لا لغرض آخر كالذي يدخل في الدين ويؤمن نفاقًا قاصداً التشكيك فيه.

وقوله : ﴿ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ هذا وعد الله تعالى لأهل الكتاب معلق بشرط الإيمان والتقوى، فإنهم إن آمنوا بالله تعالى إيمانًا مجدداً خالصًا محا عنهم السيئات التي ارتكبوها، ليس هذا فحسب، بل ويدخلهم جنات النعيم، وبذلك يكونون قد جمعوا سعادات الآخرة، فقد رفع العقاب وحصل الثواب.

ثم رغبهم القرآن - كذلك - في قوله : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴾ .

ودعوة القرآن لهم إلى إقامة التوراة والإنجيل بيان للحالة التي وصل إليها أهل الكتاب «فقد وهت صلتهم برسلهم وتبخر الوحي الإلهي من بين أيديهم، في

---

(١) البقرة: ٨ .

(٢) انظر : عبدالكريم الخطيب : التفسير القرآني للقرآن (طبع ونشر دار الفكر العربي) جـ١ ص٥٥٢ .

مسالكهم ومعاملاتهم، وإذا كان اليهود لا يقومون بتوراة موسى، والنصارى لا يقومون بإنجيل عيسى فبم يقومون ؟ وإلى أي شيء يدعون؟(١). فرغبهم القرآن بالعودة إلى ما تدعوهم إليه كتبهم.

وقد عبر القرآن الكريم عن سعة الرزق النازل عليهم من السماء في نزول القطر والخارج من الأرض كالنباتات وغيرها - إن عملوا بما في التوراة والإنجيل - بقوله : ﴿ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ﴾ وهذا مبالغة في سعة الرزق الذي يحصل عليه أهل الكتاب، وليس المعنى أن هناك فوقًا وتحتًا، ففي قوله : ﴿ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ﴾ «طباق : وهو من المحسنات البديعية»(٢) ، يبين قدرة الله تعالى في إغداق الرزق على من يشاء من عباده.

ثم أرشد القرآن إلى أن من أهل الكتاب أمة عادلة مستقيمة. قبلت دعوة الإسلام؛ لعلمها أنه الدين الحق الذي يدعو إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة فقال : ﴿ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴾ فبئس ما يعملون.

رابعًا : مجادلتهم بالتي هي أحسن :

أصل مادة المجادلة :

وأصل مادة المجادلة : جدل و«جادله، خاصمه (مجادلة) و(جدالاً) والاسم (الجدل) وهو شدة الخصومة»(٣) .

« وجادل مجادلة وجدالاً إذا خاصم بما يشغل عن ظهور الحق ووضوح الصواب، هذا أصله، ثم استعمل على لسان حملة الشرع في مقابلة الأدلة؛ لظهور أرجحها وهو محمود إن كان للوقوف على الحق وإلا فمذموم»(١) .

(١) الشيخ محمد الغزالي : المحاور الخمسة للقرآن الكريم (ط دار الوفاء، القاهرة، نشر دار الصحوة، ط الرابعة ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م) ص١١٥.

(٢) محمد علي الصابوني : صفوة التفاسير، جـ٣ ص ٣٥٣.

(٣) انظر : مختار الصحاح، ترتيب محمود خاطر (دار الفكر، بيروت) مادة (جدل) ص٩٦.

ومادة الجدل في القرآن تدور حول المدافعة بالقول من أجل الدفاع عن العقيدة والشريعة والأخلاق إن كانت من قبل الله، أو من أجل الباطل إن كانت من قبل المكابرين، وكل آية تحدد اتجاه جدلها(٢) .

فالجدل في القرآن هو الحوار الهادف إلى إيضاح الحق واستظهاره وإلزام الخصم الحجة عن طريق المجادلة بالحسنى؛ ولذلك قيد القرآن الكريم الجدل بالحسنى عند خطاب الله لرسوله ﷺ وجعله وسيلة من وسائل الدعوة(٣) ، فقال تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾(٤) .

والمراد بالمجادلة بالتي هي أحسن : أي بالطريقة التي هي أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير فظاظة . أو بما يوقظ القلوب، ويعظ النفوس، ويجلو العقول »(٥) .

فهذا الأسلوب هو الذي يقدر كرامة الإنسان وحريته وعقله، ويحقق له الاستجابة الذاتية دون أي إرهاب فكري(٦) .

ولقد استخدم القرآن الكريم هذا الجدل مع كافة المعارضين إلا أنه أرشد المسلمين - وخاصة الداعين إلى الله تعالى - إلى أسلوب خاص في مجادلة أهل الكتاب ودعوتهم، يغلب على هذا الأسلوب جانب اللين والحسنى . وهذا ما ترشد

---

(١) المقري الفيومي : المصباح المنير في الشرح الكبير، تحقيق د/عبدالعظيم الشناوي (ط دار المعارف، سنة ١٩٧٧م) مادة (جدل) ص٩٣، وانظر الأصفهاني : المفردات في غريب القرآن (مطبعة الحلبي) مادة (جدل) .

(٢) انظر د/أحمد غلوش : الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها، (دار الكتاب المصري، القاهرة، ط نهضة مصر ١٩٧٩م) ص ٣٨١ .

(٣) انظر : هذا هو الإسلام (ط مطابع وزارة الأوقاف، الإدارة العامة لبحوث الدعوة) ص ٤٤ .

(٤) النحل : ١٢٥ .

(٥) الإمام النسفي : مدارك التنزيل وحقائق التأويل (مطبعة المدني، القاهرة ١٩٦٦م) جـ٢ ص٢٧٦ .

(٦) د/عبدالقادر حاتم : الإعلام في القرآن (بيروت، توزيع دار ابن قتيبة، لندن ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م) ص٢٠٤ بتعرف يسير .

إليه الآيات التالية :

١- قال الله تعالى : ﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾(١) .

٢- ويقول - سبحانه - : ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾(٢) .

٣- ويقول - تعالى - : ﴿قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾(٣) .

وواضح، أن الهدف العام من الآيات السابقة، هو إخماد نار العداوة والبغضاء من القلوب، وعدم اشتداد الجدل حتى لا يصل إلى المكابرة والصد عن الحق، وترغيبًا لهم في الاستجابة لما يدعوهم إليه القرآن، فالحوار الهادئ اللين من شأنه أن يعين على المسالمة والمصافاة.

والآية الأولى هي البارزة في هذا الشأن، فهي تنص على أمر الله تعالى المسلمين باتباع أمثل الطرق في مجادلة أهل الكتاب ودعوتهم إلى توحيد الله عز وجل.

قال صاحب الظلال عند تفسيره لها : «هذه هي الحقيقة الضخمة الرفيعة التي يقوم عليها الإسلام، والتي تقررها هذه الآية من القرآن، هذه الحقيقة ممثلة في عقيدة واحدة تذوب فيها الأجناس والألوان ...؛ ويتلاشى فيها الزمان والمكان. ولا تبقى إلا العروة الوثقى في الخالق الديان(١) . والآية تبين ما تقتضيه الدعوة في

---

(١) العنكبوت : ٤٦ .

(٢) آل عمران : ٢٠ .

(٣) البقرة : ١٣٩ .

مجادلة أهل الكتاب من ناحية الأسلوب والموضوع :

فمن ناحية الأسلوب : قوله : ﴿وَلا تُجَادِلُوا﴾ نهي عن مبادرتهم بالجدال في نصوصهم وطقوس دينهم، وفي قوله : ﴿إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ استثناء يجيز الرد عليهم، إذا بدأونا بالجدل، فليكن الرد عليهم بالتي هي أحسن؛ حتى لا نتعرض لنبيهم ولا لكتابهم(٢). ولا يستعمل هذا الأسلوب إلا مع أولئك الذين آمنوا بإنزال الكتب وإرسال الرسل إلا أنهم صدوا عن الإيمان بالنبي ﷺ، أما من ظلم وأشرك فقد استثناهم القرآن خارج هذا الأسلوب؛ لأن « القرآن الكريم لا يريد بهذا الاستثناء أن يخرج صاحب الدعوة عما يلتزم به من دفع السيئة بالتي هي أحسن بسبب أنهم ظلموا أنفسهم بالكفر والإصرار عليه، وإنما يقصد فحسب أن مثل هؤلاء لا يجادلون أصلاً، ولا يتبادل معهم الرأي في شأن الحق؛ لأن إصرارهم على معارضة الحق والكفر به مع وضوحه ... لا يجعلهم أصحاب صلاحية للحوار والجدل »(٣) .

ومن ناحية الموضوع : يدعوهم القرآن بأسلوب لطيف مهذب قائم على الإقناع إلى أن دين الله واحد، « وأن رسالات السماء كلها واحدة، أتت من رب واحد، وأن الله جعل الإسلام خاتمة الأديان؛ لذلك جعل علاقته بها علاقة الاستيعاب للأطراف المتناثرة »(٤) فيقول القرآن : ﴿وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ وفي هذا المعنى حديث أخرجه البخاري عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ : **« لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم، وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون »**(١) .

---

(١) انظر : سيد قطب : في ظلال القرآن (دار الشروق ١٤٠١هـ-١٩٨١م ط العاشرة) جـ٢ ص٢٧٤٥ .

(٢) آدم عبدالله الالوري : تاريخ الدعوة إلى الله بين الأمس واليوم (مكتبة وهبة، القاهرة) ص١٤١ .

(٣) د/محمد البهي : السبيل إلى دعوة الحق والقائم بأمرها (مطابع الأزهر، سلسلة البحوث الإسلامية، السنة ٢٢، الكتاب الأول ١٤١٢هـ-١٩٩١م) ص٥١ .

(٤) آدم عبدالله الالودي : تاريخ الدعوة إلى الله ص ١٢٩ .

ثم دعاهم إلى وحدانية الخالق – سبحانه – وأنه رب الناس جميعًا، فقال : ﴿ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ أي ربنا وربكم واحد لا صاحبة له ولا ولد له – سبحانه وتعالى – ونحن له خاضعون مخلصون له في العبادة.

فهذا الموقف الذي تجليه لنا الآية وترشد إليه هو أسلوب من أساليب الدعوة في القرآن، فقد حث على مجادلة أهل الكتاب باللين والحسنى؛ تسامحًا معهم، ورفقًا بهم.

ولذا كان الذين دخلوا في الإسلام بالكلمة الطيبة اللينة وبالإقناع وإعمال الفكر أضعافًا مضاعفة.

والآية الثانية وهي قوله – تعالى – ﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ... ﴾ تسير في نفس اتجاه الآية الأولى السابقة فقوله : ﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ ﴾ أي فإن جادلك أهل الكتاب يا محمد فقل لهم: ﴿ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ﴾ «أي أخلصت عبادتي لله وحده وأطعته، كذلك من اتبعني وآمن بي قد أسلم وجهه لله وأخلص له العبادة»[٢] .

وفي هذا الرد قمة التسامح مع أهل الكتاب فهو يمتنع عن الدخول معهم في جدل عقيم، ثم يظهر هدف الدعوة وهو توحيد الله وإسلام الوجه له – وهذا هو أسلوب القرآن يظهر على لسان أتباعه.

وقوله : ﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ ﴾ «استفهام معناه التقرير، وفي ضمنه الأمر أي أسلموا»[٣] «يعني أنه قد آتاكم من البينات ما يوجب الإسلام ويقتضي حصوله لا محالة، فهل أسلمتم أم أنتم بعد على كفركم، وهذا كقولك لمن لخصت له المسألة ولم يبق من طرق البيان طريقًا إلا سلكته : فهل

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (ط دار إحياء الكتب العربية)، كتاب الشهادات، باب لا يسأل أهل الشرك عن الشهادة وغيرها، جـ٢ ص١٠٩، وكتاب التفسير جـ٣ ص١٠٠ .

(٢) د/ محمد سيد طنطاوي : التفسير الوسيط للقرآن الكريم (ط دار المعارف) جـ٢ ص٥٩ .

(٣) ابن جرير الطبري : جامع البيان عن تأويل آي القرآن : جـ٦ ص٢٨١ .

(١) المائدة: ٩١ .

فهمتها أم لا ؟ ومنه قوله تعالى : ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾(١) بعد ذكر الصوارف عن الخمر والميسر. وفي هذا الاستفهام استقصار – أي عد المخاطب قاصراً – وتعبير بالمعاندة وقلة الإنصاف؛ لأن المنصف إذا تجلت له الحجة لم يتوقف إذعانه للحق»(٢) .

وقوله ﴿فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ ترغيب لأهل الكتاب – إذا اتبعوا ما دعوا إليه من توحيد الله تعالى وإسلام الوجه له – فإن النفع والخير سوف يعود عليهم لخروجهم من الضلال إلى الهدى، وإن أعرضوا فما على الرسول إلا البلاغ، فهو ليس بمكلف أن يهديهم، فالله عليم بأحوال العباد جميعًا.

يتضح مما سبق أن هذا الأسلوب في الدعوة يتسم باللين والحسنى، فالقرآن لم يقل لأهل الكتاب كما قالوا هم : ﴿لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ﴾(٣) «بل رد هذه المقالة التي تنضح بالتفرقة العنصرية بين الأديان ومعتنقيها»(٤). وقال لهم : ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(٥) .

والآية الثالثة : ﴿قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ خطاب للنبي ﷺ، والمعنى : قل يا محمد لليهود والنصارى ﴿قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ﴾ أي أتجادلوننا في الله وتزعمون أنكم أبناؤه وأحباؤه وأولى به منا.

﴿وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ أي نشرك نحن وأنتم في ربوبيته لنا وعبوديتنا له، فكيف تدعون أنكم أولى به منا وتحاجوننا في ذلك، وله أن يصطفي من عباده من

(٢) الزمخشري : تفسير الكشاف : جـ١ ص٤١٩.
(٣) البقرة : ١١١.
(٤) انظر : د/ محمد يوسف موسى : الإسلام (مكتبة الفلاح، الكويت) ص ٢٥.
(٥) البقرة : ١١٢ .
(١) انظر : صديق خان : فتح البيان في مقاصد القرآن (مطبعة العاصمة، القاهرة، دار الانصار، سنة

يشاء ؟ ﴿ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ ﴾ فلستم بأولى بالله منا ... ﴿ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴾ أي نحن أهل الإخلاص للعبادة دونكم، وهو المعيار الذي يكون به التفاضل، والخصلة التي يكون صاحبها أولى بالله من غيره، فكيف تدعون لأنفسكم ما نحن أولى به منكم وأحق.

وفي الآية توبيخ لهم وقطع لما جاءوا به من المجادلة والمناظرة(١) .

فالآية تقطع على أهل الكتاب طريق المحاجة والمناظرة بالباطل في الله - عز وجل -، إذ تضع مقاييس الأفضلية؛ فكل الناس مربوبون لله الواحد الأحد، ولكنهم يتفاضلون عنده من ناحية إخلاصهم وتوحيدهم له.

وفي ذلك استثارة لأهل الكتاب لكي يقلعوا عن الجدل بالباطل ويسرعوا إلى نيل الدرجة العليا عن طريق تصحيح عقيدتهم.

خامساً : مدح القرآن الكريم للمؤمنين من أهل الكتاب :

استثنى القرآن الكريم من آمن بالله تعالى من أهل الكتاب عند إصدار حكمه عليهم، وفرق بين صالحيهم وطالحيهم، وكشف عن إيمان الصالحين وتصديقهم بهذا الدين، ونبه من لم يؤمن منهم أن يكونوا مثل من آمن منهم حتى لا يحرموا ثواب الله عز وجل وعطاءه الجزيل.

والآيات التالية توضح ذلك :

١- قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴾(١) .

١٩٦٥م) جـ١ ص٢٣٦.

(١) البقرة : ٨٣.

٢- وقوله - سبحانه - : ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (١١٣) يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ (١١٤) وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾(٢) .

٣- ويقول تبارك وتعالى : ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾(٣) .

ففي الآية الأولى : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ...﴾ يذكر الحق - سبحانه - بما أخذه على بني إسرائيل من ميثاق وعهد أن يعبدوه وحده ولا يشركوا به شيئًا ويقوموا بلوازم التوحيد من أعمال صالحة، ويبين - عز وجل - نكوصهم ونقضهم لهذا الميثاق، ولكنه يستثني فئة منهم قليلة وفت بالعهد، واتبعت الحق. وفي تصريح القرآن بهذه الفئة إنصاف منه لها؛ فما يرغبها في التمسك بقوة بما هي عليه من هدى، ويدفع غيرهم إلى نبذ ما هم عليه من نقض لعهد الله وإلى الوفاء بذلك العهد.

ويوضح القرآن في الآية الثانية : ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ...﴾ وفي الآية الثالثة : ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ...﴾ كيف وفت هذه الفئة القليلة بالعهد والميثاق الذي قطعه الله على أهل الكتاب - بل على الناس أجمعين - وهو الإيمان بالله عز وجل وتوحيده والقيام بمستلزمات ذلك التوحيد، حيث قال : ﴿مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (١١٣) يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ...﴾ وفي هذا ترغيب للمعرضين منهم

---

(٢) آل عمران : ١١٣، ١١٤، ١١٥.

(٣) آل عمران : ١٩٩.

(٧٤) الفخر الرازي : مفاتيح الغيب جـ٤ ص٤٠٨ .

وحث لهم على المسارعة لكي ينالوا ذلك الشرف الذي ناله غيرهم ممن أثنى الله عليهم في تلك الآية، فقد وصفهم القرآن الكريم بصفات طيبة، تجعل المؤمن منهم يتمسك بإيمانه، وترغب من لم يؤمن منهم في الإيمان والطاعة. فقد وصفهم الله بأنهم :

١) ﴿ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ﴾ أي ثابتة على الحق.

٢) ﴿ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾ أي مجتهدون في عبادة الله.

٣) ﴿ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾ أي يوحدون الله تعالى ويؤمنون بيوم الحساب.

٤) ﴿ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ قال ابن عباس – رضي الله عنهما – : ﴿ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ أي بتوحيد الله وبنبوة محمد ﷺ وقوله : ﴿ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ أي ينهون عن الشرك بالله ...(١) .

وفي قوله : ﴿ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴾ تفضل من الله تعالى عليهم، فلن تضيع أعمالهم عند الله تعالى؛ لأنه عليم بأعمالهم وسوف يجازيهم عليها، وكذلك قوله – سبحانه – : ﴿ أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾. وفي تعرض القرآن لذكر القلة التي آمنت من أهل الكتاب إنما يقيم الحجة على الجاحدين لدعوته بأن الذين أوتوا العلم منهم صدقوا وآمنوا وتركوا الشرك، فكيف لا يؤمنون كما آمن أهل العلم منهم.

وبهذا يكون القرآن الكريم قد فتح باب التوحيد على مصراعيه مرغبًا كل من يريد الحق والرشاد مستخدمًا في ذلك أساليب لينة حسنة، حاملة على التفكير في أهمية التوحيد وقيمته العظمى بالنسبة للإنسان في الدنيا والآخرة؛ إذ هو سبب سعادته في كلتا الدارين.

---

(١) انظر : الفيروز آبادي : القاموس المحيط مادة « رهب » جـ١ ص٧٦، وانظر : المعجم الوسيط مادة (رهب)

المبحث الثاني

أسلـوب الترهـيب

الترهيب في اللغة من : رهَّب فلانًا : خوفه وفزعه، واسترهبه وترهبه : توعده(١) .

ومعنى هذا أن أسلوب الترهيب هو استخدام نوع من الوعيد والتهديد لردع المدعو لكي ينتهي عن غيِّه.

وكما استخدم القرآن الكريم مع أهل الكتاب أسلوب الترغيب، استخدم معهم كذلك أسلوب الترهيب؛ لأنه يراعي طبيعة الإنسان البشرية وما جبلت عليه من ميول، وأسلوب الترهيب يصل إلى نفس الإنسان من خلال ما ركب فيها من خوف، ويحذره من الوقوع في الشر.

وقد اشتمل القرآن الكريم على آيات – في هذا الشأن – ترهب أهل الكتاب من الكفر وتحذرهم منه، ونذكر أهمها فيما يلي :

١– قال الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً (٤٧) إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾(٢) .

٢– وقال – سبحانه – : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ

ص٣٩٠.

(٢) النساء : ٤٧، ٤٨.

(١) البينة : ٦.

جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُوْلَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴾(١) .

ففي الآية الأولى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ نداء لأهل الكتاب من اليهود والنصارى، وقيل : إن الخطاب لليهود، وفي ندائهم بأنهم أوتوا الكتاب حث لهم على تلبية دعوة الإسلام، وترك العصبية والغرور. ولم يقل هنا ﴿أُوتُوا نَصِيباً مِّنَ الْكِتَابِ﴾(٢) لأن المقصود فيما سبق بيان خطئهم في التحريف الذي في كتبهم، أما المقصود هنا بيان خطئهم في عدم إيمانهم (بما جاء به القرآن من توحيد الله تعالى والأمر بطاعته) وهو مصدق لجميع التوراة، فناسب التعبير هنا بإتيانهم الكتاب، وقوله : ﴿آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا﴾ يعني القرآن ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم﴾ من القصص والمواعيد والدعوة إلى التوحيد... ثم قرن بهذا الأمر الوعيد الشديد على أبلغ وجه وأكده، فقال : ﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا﴾ وأصل الطمس استئصال أثر الشيء بالمحو وإزالة الأعلام، ومنه ﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ﴾(٣) والمعنى أن نمحي وجوههم عن الوصول إلى طريق الهداية، أو نردها عن صراط الحق إلى طريق الضلال. أو أن يكون الطمس على الحقيقة بمعنى محو آثار الوجه وجعله كالقفا، يفسره قوله : ﴿فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا﴾ أي يقلب الوجه فيصير على هيئة القفا.

والضمير في ﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ﴾ عائد على أصحاب الوجوه ﴿كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ﴾ وكان لعن أصحاب السبت مسخهم قردة وخنازير، وقيل : المراد نفس اللعنة، وهم ملعونون بكل لسان، والمراد وقوع أحد الأمرين إما الطمس أو اللعن، وقد وقع اللعن، لكنه يقوي الأول تشبيه هذا اللعن بلعن أصحاب السبت ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً﴾ أي كائنًا موجودًا لا محالة إن لم يؤمنوا، أو يراد بالأمر المأمور، والمعنى : أنه متى أراده كان(١).

---

(٢) آل عمران : ٢٣ .
(٣) المرسلات : ٨.

(١) راجع : صديق خان : فتح البيان في مقاصد القرآن، جـ٢ ص٢٩٥-٢٩٧ .

فالقرآن الكريم يرهب أهل الكتاب من سوء العاقبة في الدنيا والآخرة، إن لم يؤمنوا بالله تعالى ويوحدوه ويؤمنوا بما أنزله على محمد ﷺ، وهذا العقاب يكون إما بالطبع على القلوب والذهاب بنورها، وإما باللعن والطرد من رحمة الله، فكلمة ﴿أَوْ﴾ في قوله: ﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ﴾ تفيد أنه يجوز أن يعاقب الله طائفة منهم بإحدى العقوبتين، والطائفة الأخرى بالعقوبة الثانية.

ثم يؤكد القرآن هذا الترهيب والتحذير من الشرك بالله، بقوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ...﴾ أي لا يغفر الله الشرك أبدًا؛ لعظم جرم مرتكبه، وهذا تنبيه لأهل الكتاب حتى يرجعوا عن شركهم، ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ أي يغفر الله ما سوى الشرك من الذنوب لمن يشاء من عباده، ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾ بأن اتخذ من دونه معبودًا يدين له بالخضوع ﴿فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ أي فقد اختلق جرمًا عظيمًا. فبينت هذه الآية – أيضًا – الخزي والعذاب الذي سيحيق بأهل الكتاب لعدم توحيدهم.

كذلك يرهب القرآن أهل الكتاب بدخول النار عقابًا لهم، فيقول : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ...﴾ فيخبر القرآن عن عاقبة الكفار من أهل الكتاب المخالفين لما أمرتهم به كتبهم من توحيد الله تعالى، وإفراده بالعبادة.

وذكر من حالهم أمرين :

الأول : الخلود في نار جهنم. الثاني : أنهم شر الخلق(٢) وقدم أهل الكتاب على المشركين في الذكر إعلام بعظم جرمهم وجنايتهم لعلمهم بصدق رسالة محمد ﷺ، وإقرارهم بها في نفوسهم؛ مما يدل على ذلك استفتاحهم على الذين

---

(٢) فخر الدين الرازي : مفاتيح الغيب، جـ١٦ ص٥٦٥.

(١) انظر : الإمام الرازي : مفاتيح الغيب، جـ١٦ ص٥٦٨.

كفروا قبل بعثته ﷺ فلما جاءهم الرسول بالحق من ربهم كفروا به وتنكبوا طريقه، فإنكارهم كان عن علم؛ لذلك كانت جنايتهم أقبح وأشد، ومن هنا قدم القرآن الكريم ذكرهم على ذكر المشركين. وقوله : ﴿أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ يفيد النفي والإثبات، أي هم دون غيرهم، فهم شر من السراق؛ لأنهم سرقوا من كتاب الله صفة محمد ﷺ وما جاء به من توحيد الله - عز وجل - وشر من قطاع الطريق؛ لأنهم قطعوا طريق الحق على الخلق، وشر من الجهال الأجلاف؛ لأن الكبر مع العلم يكون كفراً وعناداً فيكون أقبح(١) .

فاستخدام القرآن الكريم أسلوب الترهيب مع أهل الكتاب هو حمل لهم على الإقرار بوحدانية الله تعالى، والعمل على طاعته - ولو أنهم أقروا بذلك، ما حاق بهم الخزي في الدنيا، والعذاب الشديد في الآخرة.

الفصل الثالث
دعوتهم إلى ترك العقائد الفاسدة

الباحث في دعوة القرآن الكريم أهل الكتاب إلى ترك العقائد الفاسدة يدرك - بوضوح - أن القرآن الكريم لم يسلك معهم مسلكًا يكون من شأنه تنفيرهم من الدخول في الإسلام والإعراض عنه، بل اتبع معهم أسلوب النقد الحكيم، وسوق الأدلة العقلية والبراهين القاطعة لإثبات بطلان هذه العقائد؛ لأنه ما من قضية عقدية ساقها القرآن إلا قرنها بالدليل والبرهان.

وعليه، فإن القرآن لم يقر عقائدهم المحرفة، ودعاهم إلى العقيدة الصحيحة التي تقوم على التوحيد الخالص لله تعالى، وبين أنه لا يقبل من الناس غير هذا الاعتقاد وأن ما عداه كفر وشرك وباطل.

ويمكن بيان دعوة القرآن أهل الكتاب إلى نبذ ما وقعوا فيه من عقائد فاسدة في المبحثين التاليين :

المبحث الأول : دعوة القرآن اليهود إلى ترك العقائد الفاسدة.

المبحث الثاني : دعوة القرآن النصارى إلى ترك العقائد الفاسدة.

المبحث الأول
دعوة القرآن اليهود
إلى ترك العقائد الفاسدة

عرفنا في الفصل الأول أن الرسل أجمعين جاءوا بالإسلام، دين التوحيد الخالص لله - عز وجل - وأن موسى - عليه السلام - وهو من كبار أنبياء بني إسرائيل جاءهم بالإسلام، وأمرهم بالتوحيد الخالص لله تعالى، فكان أول خطاب من الله تعالى لسيدنا موسى - عليه السلام - أنه أمره بالتوحيد الخالص، فقال تعالى : ﴿ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ⑬ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ⑭ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴾[١] .

وتذكر التوراة الحالية أن الله تعالى خاطب موسى - عليه السلام - من وسط العليقة قائلاً له : « أنا إله أبيك وإله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب فغطى موسى وجهه؛ لأنه خاف أن ينظر إلى الله »[٢] .

وعلى الرغم من ذلك؛ فإن اليهود حادوا عن عقيدة التوحيد الخالص، واتبعوا الأهواء، وهذا ما يخبرنا به القرآن الكريم في عدة مواطن معبرة عن عدة مواقف ظهر فيها هذا الحيد عن التوحيد الخالص، والقرآن في معرض سوقه لهذه الانحرافات يدعوهم إلى تصحيح عقيدة التوحيد وترك تلك الضلالات، ويوجز البحث الحديث عن ذلك فيما يلي :

---

(١) طه : ١٣، ١٤، ١٥.

(٢) سفر الخروج : ٣ : ٦.

أولاً : موقفهم من عبَّاد الأصنام وإنكار ذلك الموقف عليهم :

صور القرآن الكريم طلب بني إسرائيل الغريب، الذي يدل على جهلهم وغباوتهم، أن يجعل لهم موسى إلهًا كما لغيرهم آلهة، فقال : ﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ﴾(١) .

وهذا الطلب من بني إسرائيل يدل على :

١- أنهم لم يكونوا فهموا من التوحيد الذي جاء به موسى - عليه السلام - ما فهمه السحرة الذين آمنوا؛ لأن السحرة آمنوا عن علم بَيّن، استطاعوا عن طريقه التمييز بين الحق والباطل، وبين آيات الله التي لا يقدر عليها غيره والسحر الذي هو من صنع البشر(٢) .

٢- وأن بني إسرائيل أشد خلق الله عنادًا وجهلاً وتلونًا، فطبيعتهم المعوجة لم تفارقهم، فهاهم أولاء ما إن وقعت أعينهم على قوم يعكفون ويداومون على عبادة أصنام لهم حتى انجذبوا إليها وطلبوا من نبيهم موسى - عليه السلام - أن يجعل لهم وثنًا كغيرهم؛ لكي يعبدوه من جديد، وما قالوا ذلك إلا لأن الإيمان لم يستقر في قلوبهم، ولأن ما ألفوه من عبادة الأصنام أيام استعباد فرعون لهم مازال متمكنًا من نفوسهم ومسيطرًا على قلوبهم، وهكذا فإن طبيعة بني إسرائيل ما تكاد تهتدي حتى تضل، وما تكاد ترتفع حتى تنحط، وما تكاد تسير في طريق الاستقامة حتى ترتكس وتنتكس(٣) .

ولعل مرجع هذا الطلب ما غلب عليهم من صفات سيئة، كالتنكر للجميل، وفساد الطبع، واللؤم والخيانة، ودناءة الخلق، والجشع والأنانية، والجبن والتكالب

(١) الأعراف : ١٣٨.

(٢) انظر : الأستاذ محمد رشيد رضا : تفسير المنار، (الهيئة المصرية العامة للكتاب) جـ٩ ص٩٤.

(٣) انظر: د/محمد سيد طنطاوي : التفسير الوسيط جـ٥ ص١٧٠.

على الدنيا، ونفاق نفوسهم، وقسوة قلوبهم، كل ذلك وغيره جعلهم لا يستحيون أن يطلبوا ما يسيء إليهم في عقيدتهم وإيمانهم وبين أظهرهم نبي من أعظم أنبيائهم يرشدهم إلى طريق الهداية، ويحذرهم طريق الغواية، فكان الواجب عليهم أن يحذروا لا أن يطلبوا ذلك الطلب الغريب؛ لأن هذا هو عين الشرك بالله تعالى.

أسلوب القرآن في دعوتهم إلى ترك ذلك الطلب :

جاء في القرآن الكريم بعد ذكر طلب بني إسرائيل هذا أن موسى – عليه السلام– قال لهم : ﴿ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (١٣٨) إِنَّ هَؤُلاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٣٩) قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾(١) والقرآن في الآية المتقدمة وهذه الآيات يسلك عدة سبل يبين من خلالها بطلان ما طلبه بنو إسرائيل ويدعوهم إلى الإقلاع عن ذلك الضلال :

١– فيبين لهم شدة جهلهم وجحودهم وتنكرهم للجميل، ففي قوله تعالى : ﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ استخدام فعل المجاوزة يدل على سرعة إنجاء الله لبني إسرائيل من فرعون، وهذه نعمة عظيمة تمت بقدرته سبحانه تدعو إلى الإيمان والشكر لا الكفر والجحود والجهل. وفي استخدام الفاء في قوله تعالى : ﴿ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ﴾ يدل على سرعة تهافت بني إسرائيل على الغواية والضلال، فالفاء تدل على الترتيب والتعقيب، فهم يتبعون نعمة الله بكفر سريع، فبمجرد وصولهم إلى الشاطئ الآخر ورؤيتهم للمشركين أصحاب الأصنام طلبوا هذا الطلب المشين.

ولذلك يكشف القرآن على لسان موسى ذلك الجهل المطلق من بني إسرائيل فيقول : ﴿ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ وفي ذلك ازدراء بهم وتحقير لهم؛ لأن الجهل

---

(١) الأعراف : ١٣٨ – ١٤٠.

«هو سفه النفس، وطيش العقل، وأهمه المناسب للمقام جهل التوحيد وما يجب من إفراد الرب تعالى بالعبادة من غير واسطة ولا تقييد بمظهر من المظاهر يتوجه إليه معه»(١) .

ووصف موسى - عليه السلام - لهم بالجهل «تعجب من قولهم على أثر ما رأوا من الآية العظمى والمعجزة الكبرى فوصفهم بالجهل المطلق وأكده؛ لأنه لا جهل أعظم مما رأى منهم ولا أشنع»(٢) .

وفي تذكيرهم بنعمة الإنجاء ووصفهم بالجهل لما قالوا دعوة لهم إلى الإقلاع عن الضلال والجهل لو عقلوا وفكروا؛ ولذلك يصرح ربنا تبارك وتعالى بعد الآيات سالفة الذكر بنعمة الإنجاء علنًا وتصريحًا لكي يعتبر بنو إسرائيل، فيقول : ﴿وَإِذْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾(٣) .

٢- ويكشف لهم بطلان ما عليه عبدة الأصنام، فيقول القرآن الكريم على لسان موسى عليه السلام : ﴿إِنَّ هَؤُلاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، وفي هذا تنبيه لهم بأسلوب الاستئناف المفيد للتعليل(٤) التعليل لوصفهم بالجهل.

وفي الآية تحذير لهم مما سينال هؤلاء القوم من الهلاك والدمار فما هم عليه ﴿مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ﴾ أي هالك، و ﴿بَاطِلٌ﴾ أي زائل مضمحل، وفيها -أيضًا- ترغيب لهم في التوحيد الخالص، فالآية تحوي بشارة بزوال الوثنية من هذه الأرض وعلو كلمة الله وارتفاع شأن التوحيد فيها.

(١) محمد رشيد رضا : تفسير المنار، جـ٩ ص٩٧.
(٢) الزمخشري : الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (مرجع سابق)، جـ٢ ص١١٠.
(٣) الأعراف : ١٤١.
(٤) انظر : محمد رشيد رضا : تفسير المنار، جـ٩ ص٩٧.

٣- ويستنكر عليهم ما طلبوا من الشرك البين، فيقول : ﴿قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا﴾ مستخدمًا أسلوب الاستفهام الإنكاري المشرب معنى التعجب، فهو يستنكر عليهم ابتغاءهم إلهًا غير الله المستحق وحده للعبادة(١) ويرفض أن يساعدهم على هذا الشرك.

٤- ويذكرهم بنعمة عظيمة ما حازها أحدٌ من أهل زمانهم وهي تفضيلهم على العالمين ﴿وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾، وفي ذلك ما يوجب العبادة والخضوع لله تعالى، فكما خصهم بمثل تلك النعمة العظيمة كان عليهم أن يخصوه بالعبادة والتعظيم، وفي ذلك استمالة لقلوبهم وحفزٌ لهم على الإقلاع عن ذلك الغي والجهل.

يتبين مما سبق التنويع في أساليب القرآن الداعية إلى التفكير في قضية التوحيد، وأن التوحيد الخالص هو الذي يسوغه العقل، ويقبله القلب، وأن مخالفة ذلك يؤدي إلى الهلاك والدمار؛ مما يجعل الإنسان يقبل على التوحيد الخالص وينفر مما عداه.

ثانيًا : موقف القرآن من عبادتهم العجل :

لقد خضعت القصة في القرآن الكريم للغرض الديني في موضوعها وطريقة عرضها، وكان لهذا الخضوع آثاراً منها :

أن ترد القصة الواحدة - في معظم الحالات - مكررة في مواضع شتى؛ ولكن هذا التكرار لا يتناول القصة كلها - غالبًا - إنما هو تكرار لبعض حلقاتها، أما جسم القصة كله فلا يكرر إلا نادراً..(٢) ، وهذا الأمر ينطبق على قصة حادثة العجل.

---

(١) انظر : محمد رشيد رضا : تفسير المنار، جـ٩ ص٩٧.

(٢) انظر : سيد قطب : التصوير الفني في القرآن (دار الشروق، ط الحادية عشرة، القاهرة ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م) ص١٥٥، ١٥٦.

جاءت قصة عبادة العجل بعد أن خرج موسى – عليه السلام – للقاء الله تعالى تاركًا قومه وقد خلف عليهم هارون أخاه، فأملت عليهم طبيعتهم الفاسدة الانحراف عن التوحيد الحق، فاتخذوا العجل يعبدونه من دون الله، والآيات التالية تحكي لنا ذلك الموقف المخزي على وجهين :

الوجه الأول : إجمال القصة :

وجاء هذا الإجمال في مثل : ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ (٥١) ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٥٢) وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (٥٣) وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾(١) .

ويقول – سبحانه – : ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُم مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ (٩٢) وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾(٢) .

وفي الآيات توبيخ لبني إسرائيل على مسارعتهم إلى الانحراف وعبادتهم للعجل، حيث يستخدم أساليب متعددة لبيان ذلك أهمها ما يلي :

ففي قوله : ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾ ثم أبلغ من الواو في التقريع، أي بعد النظر في الآيات والإتيان بها اتخذتم العجل من دون الله، وهذا يدل على أنهم فعلوا ذلك بعد مهلة من النظر في الآيات، وذلك أعظم لجرمهم(٣) .

---

(١) البقرة : ٥١ – ٥٤.

(٢) البقرة : ٩٢، ٩٣.

(٣) الإمام القرطبي : الجامع لأحكام القرآن (ط دار الغد العربي) جـ١ ص٥٢٩.

وفي قوله : ﴿ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ ﴾ يستخدم أسلوب الذم، فقد ذمهم على هذا الشرك الواضح، ونقضهم لميثاق الله تعالى، وتمكن حب العجل من عقولهم وقلوبهم ﴿ وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾.

الوجه الثاني : تفصيل القصة :

وكما أجمل القرآن الكريم قصة عبادة العجل في بعض المواضع، فصلها في مواضع أخرى مثلما حدث في سورتي الأعراف وطه :

القصة في سورة الأعراف :

يقول الله تعالى : ﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(١) .

القصة في سورة طه :

يقول الله تعالى : ﴿ وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰ

---

(١) الأعراف : ١٤٨ – ١٥٣ .

أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي ﴿٨٦﴾ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَٰنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿٩٠﴾ قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ يَا ابْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾ قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُ وَانظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَا إِلَٰهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾(١) .

وفي آيات سورة الأعراف يستخدم القرآن أساليب متعددة يستنكر فيها اتخاذ اليهود العجل معبوداً من دون الله؛ حيث إن اليهود – إلى وقتنا الحاضر – يقرون في توراتهم عبادة العجل وينسبون إلى هارون – عليه السلام – أنه هو الذي صنع لهم العجل(٢) .

ففي قوله : ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ﴾

---

(١) طه : ٨٣ – ٩٨.

(٢) انظر: سفر الخروج ٣٢ : ٤-١.

تعميم من القرآن لجميع بني إسرائيل، سواء من عبد العجل أو من لم يعبده؛ لأن من لم يعبده لم ينكره، ومن رضي عن الشيء ولم ينكره كان كمن فعله؛ ولذلك قال صاحب الكشاف : «فإن قلت لم قيل: واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلاً والمتخذ هو السامري ؟ قلت فيه : أنهم كانوا مريدين لاتخاذه راضين به فكأنهم أجمعوا عليه...»[١] وفي قوله : ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لا يُكَلِّمُهُمْ وَلا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً﴾ يستخدم أسلوب الاستفهام التوبيخي لتقريعهم على عدم فطنتهم في عبادتهم لهذا العجل العاجز عن الكلام، ومن صفات المعبود الكلام، وهذا من الأدلة العقلية في بطلان هذه العبادة.

وفي قوله : ﴿اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ عبر بلفظ ﴿كَانُوا﴾ المفيد للدوام والاستمرار، إشعار بأن هذا الظلم دأبهم وعادتهم قبل هذا الاتخاذ، وأن ما صدر عنهم ليس بدعًا منهم ولا أول مناكيرهم[٢] .

وقوله : ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾ كناية عن شدة الندم الذي حصل لبني إسرائيل بعد ظهور بوارق الحقيقة الناصعة لهم، «وكذلك تقول العرب لكل نادم على أمر فات منه أو سلف، وعاجز عن شيء: قد سقط في يديه وأسقط»[٣] .

وقوله : ﴿وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ اعتراف منهم بضلال ما هم عليه وتضرع إلى الله تعالى والتجاء إليه؛ طلبًا للمغفرة والرحمة.

وقوله : ﴿بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي﴾ ذم لهم من القرآن - جاء على لسان موسى عليه السلام - فبئس الخلافة هي وبئس الفعل هو، حيث عبدتم العجل وأشربتم محبته في قلوبكم بعد ذهاب نبيكم عنكم لمناجاة ربه، فبئس هنا «فعل

---

(١) جار الله الزمخشري : تفسير الكشاف (البابي الحلبي بمصر) جـ٢ ص١١٧، ١١٨.

(٢) انظر: د/ محمد سيد طنطاوي : بنو إسرائيل في القرآن والسنة ص٤٨٠.

(٣) ابن جرير الطبري : جامع البيان في تفسير القرآن ، جـ٩ ص٦٢.

ماض لإنشاء الذم، وفاعله مستتر تقديره هو، وما تمييز بمعنى خلافة، وجملة ﴿ خَلَفْتُمُونِي﴾ صفة لـ «ما»، والرابط محذوف، والمخصوص بالذم أي خلافتكم»(١).

وموسى – عليه السلام – لم يكتف بالذم بل أنكر عليهم وقرعهم على فعلتهم الشنيعة فيقص القرآن على لسانه قوله لهم : ﴿أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾ استفهام إنكاري تقريعي، فهو يستنكر عليهم استعجالهم لأمر ربهم وظنهم أن موسى لن يعود إليهم فقاموا بعبادة العجل.

ويشنع القرآن عليهم كذلك فعلهم ويتوعدهم بالعذاب والغضب من الله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ وهذا هو حكم القرآن الفاصل في شأن عبدة العجل وهو أنه ﴿سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ والمراد بغضب الله تعالى «إرادته السوء بعبده وعقابه في الدنيا والآخرة أو في أحدهما، والذلة : خضوع في النفس واستكانة من جراء العجز عن الدفع، فمعنى نيل الذلة إياهم أنهم يصيرون مغلوبين لمن يغلبهم، فقد يكون ذلك بتسليط العدو عليهم.. أو ذلة الاغتراب؛ إذ حرمهم الله ملك الأرض المقدسة، فكانوا بلا وطن طول حياتهم حتى انقرض ذلك الجيل كله»(٢). ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ تأكيدٌ لما سبق وهو أن الجزاء متكرر كلما تكرر ارتكاب الجريمة من بني إسرائيل أو من غيرهم.

وبعد هذا الترهيب الماحق والوعيد الشديد من القرآن لعبَّاد العجل ومن حذا حذوهم يفتح لهم باب الترغيب في التوبة والإنابة، واعداً إياهم إن هم تابوا ورجعوا بالمثوبة والعطاء الجزيل ﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ

---

(١) الإمام الجمل : الفتوحات الإلهية جـ٢ ص١٩٣.

(٢) الشيخ محمد الطاهر بن عاشور : تفسير التحرير والتنوير (الدار التونسية للنشر ١٩٨٤م) جـ٨ ص١١٩.

مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

والآية اعتراض بأنهم إن تابوا وآمنوا يغفر الله لهم على عادة القرآن من تعقيب التهديد بالترغيب، والمغفرة ترجع إلى عدم مؤاخذتهم بذنوبهم في عقاب الآخرة، وإلى ارتفاع غضب الله عنهم في المستقبل[١]. وهنا عطف القرآن الكريم الإيمان على التوبة ﴿ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا ﴾ بيان لأهمية التوحيد والإخلاص لله تعالى، وعدم الرجوع إلى السيئات بعد التوبة منها؛ ولئلا يظن أن الإشراك وخطره لا يمحى بالتوبة الصادقة عنه.

﴿ إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ تأكيد للخبر بـ « أن » « ولام » التوكيد وصيغتي المبالغة في ﴿ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ لمزيد الاهتمام به وترغيب للعصاة في التوبة.. وضمير ﴿ مِنْ بَعْدِهَا ﴾ الثاني مبالغة في الامتنان بقبول توبتهم بعد التملي من السيئات وحذف متعلق ﴿ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ لظهوره من السياق، والتقدير: لغفور رحيم لهم أو لكل من عمل سيئة وتاب منها[٢].

وفي الآية – أيضًا – إعلام بأن الذنوب وإن جلت وعظمت فإن عفو الله تعالى وكرمه أعظم وأجل، وما ألطف قول من قال :

يا رب إن عظمت ذنوبي كثرة ∴ فلقد علمت بأن عفوك أعظم

إن كان لا يرجوك إلا محسن ∴ فبمن يلوذ ويستجير المجرم[٣]

ويستخدم القرآن الكريم – في سورة طه – أساليب أخرى في ردع هؤلاء الذين اتخذوا العجل – ومن سار على طريقهم – معبوداً من دون الله.

ففي إخبار الله تعالى لموسى عما فعله قومه من بعده : ﴿ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ

---

(١) الشيخ محمد الطاهر بن عاشور : تفسير التحرير والتنوير، جـ٨ ص١٢٠.

(٢) السابق : جـ٨ ص١٢١.

(٣) الألوسي : روح المعاني (مرجع سابق) جـ٩ ص٧٠.

﴿مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ إنكار على بني إسرائيل، حيث وصفهم بأنهم مفتونون بعبادة العجل، وقد ضلوا عن منهج الله الواضح الذي دعاهم إليه موسى.

وقوله على لسان موسى - عليه السلام - : ﴿يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي﴾ إنكار وتوبيخ وتقريع لهم على لسان نبيهم، والمعنى : ألم يعدكم بإنزال التوراة فيها الهدى والنور ؟ وقيل : إنهم كانوا وعدوه بأن يتمسكوا بدين الله وسنة موسى - عليه السلام - ولا يخالفوا أمر الله أبداً، فأخلفوا موعده بعبادتهم العجل(١) .

وفي قول القرآن على لسانهم : ﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ . .﴾ إقرار منهم على أنفسهم بخطأ ما ارتكبوه وجرم ما فعلوه، وتقديم أعذارهم الهزيلة في ردهم على سؤال موسى - عليه السلام -.

قال ابن جرير : «قوله : ﴿بِمَلْكِنَا﴾ يخبر الله عنهم أنهم أقروا على أنفسهم بالخطأ، وقالوا : إنا لم نطق حمل أنفسنا على الصواب ولم نملك أمرنا حتى وقعنا في الذي وقعنا فيه من الفتنة»(٢). وفي هذا دليل على بلاهة الفكر وبلادة الروح عند بني إسرائيل «إذ تحرجوا من تملك حلي آل فرعون وهم أهل حرب، وقد أمرهم الله بأخذه وأباحه لهم، ولم يتحرجوا بجهلهم وقلة علمهم وعقلهم من عبادة العجل والجسد الذي له خوار مع الواحد الأحد الفرد الصمد»(٣). وقوله : ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ استفهام للتوبيخ والتقريع، فيوبخهم القرآن على اتخاذهم معبوداً من دون الله يطئطئون له الرءوس ويمرحون ويرقصون حوله، وهو لا يرد لهم جواباً، ولا يدفع عنهم ضرًّا، أو يجلب

---

(١) انظر : أبوحيان : التفسير الكبير المسمى بالبحر المحيط، جـ٦ ص٢٦٨.

(٢) ابن جرير الطبري : تفسير الطبري (ط دار المعرفة، بيروت - لبنان) جـ١٦ ص١٤٦.

(٣) انظر : الحافظ ابن كثير : البداية والنهاية جـ١ ص٢٩٥.

لهم نفعًا؛ لأنه جماد لا يبصر ولا يسمع ولا يغني عنهم شيئًا.

وفي قوله: ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي...﴾ زيادة في توبيخهم على عدم قبول نصيحة هارون – عليه السلام – لهم، وتنبيه لهم إلى خطأ ما فعلوه وجرم ما ارتكبوه.

واعلم أن هارون – عليه السلام – سلك في هذا الوعظ أحسن الوجوه؛ لأنه زجرهم عن الباطل أولاً بقوله: ﴿إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ﴾. ثم دعاهم إلى معرفة الله تعالى ثانيًا بقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ﴾. ثم دعاهم ثالثًا إلى معرفة النبوة بقوله: ﴿فَاتَّبِعُونِي﴾. ثم دعاهم إلى الشرائع رابعًا بقوله: ﴿وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾. وهذا الترتيب هو الجيد؛ لأنه لابد قبل كل شيء من إماطة الأذى عن الطريق، وهو إزالة الشبهات، ثم معرفة الله تعالى هي الأصل، ثم النبوة، ثم الشريعة، فثبت أن هذا الترتيب على أحسن الوجوه. وإنما قال: ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ﴾ فخص هذا الموضع باسم الرحمن؛ لأنه كان ينبئهم بأنهم متى تابوا قبل الله توبتهم؛ لأنه هو الرحمن الرحيم، ومن رحمته أن خلصهم من آفات فرعون(١).

فأسلوب القرآن حكيم؛ حيث يقدم الأهم فالمهم؛ فيقدم الأساس الذي لابد منه لكل من يريد أن يسير في طريق الله عز وجل، وهو إخلاص التوحيد وعدم الافتتان بأي معبود غيره؛ لأن كل المعبودات سواه باطلة.

وفي حديث موسى إلى أخيه هارون بعد عودته إلى قومه زجر شديد منه له؛ ظنًا منه أنه تهاون في الإنكار عليهم، فإن غضب موسى لله تعالى لم يسلم منه أخوه هارون رغم ثقته فيه، عبر القرآن عن ذلك بقوله: ﴿قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ يَا بْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾. وفي هذا

(١) انظر: الفخر الرازي: مفاتيح الغيب جـ١١ ص٢٨.

بيان من القرآن عن سخط موسى الشديد لارتكاب قومه تلك الفعلة الشنعاء، مما ينبه اليهود في كل زمان ومكان إلى ذلك الخطأ فيرتدعوا عنه إن كانوا يؤمنون بموسى – عليه السلام – ويبين ذلك في صورة أوضح عندما اتجه – عليه السلام – إلى صانع العجل السامري مباشرة ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ﴾ معنفًا ومنكرًا ومقرعًا له؛ ليكشف لبني إسرائيل كذبه وخداعه، وليحمله على الإقرار بخطئه، وقد حدث ذلك فعلاً، فيخبر القرآن عن السامري أنه قال : ﴿بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾ .

وبعد أن أقر السامري بفعلته كان لابد من عقاب رادع له ولأمثاله من أهل الغواية والضلال، فقد بين القرآن العقوبة الشديدة التي حاقت به جزاء جنايته واختلاقه الشرك بالله تعالى، وفيها – أي في العقوبة – زجر وترهيب لكل من يقود الناس إلى طريق الانحراف، فيقول الله – عز وجل – على لسان موسى يخاطب السامري : ﴿قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُ وَانظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾ .

«فالسامري الذي أشاع تلك الضلالة المنكرة، فإن الله عاقبة في دنياه بأن أمر بني إسرائيل ألا يخالطوه، ولا يقربوه، فصار وحشيًا لا يألف، ولا يؤلف، ولا يدنو من الناس، ولا يمس أحداً منهم، وإن له لموعداً لن يخلفه يوم القيامة، يوم يساق إلى النار آثمًا، ليعذب بما جنت يداه، وبئس مصير الظالمين»(١) .

والسر في عقوبته على جنايته بما ذكر على ما قيل : إنها ضد ما قصده من إظهار ذلك ليجتمع عليه الناس ويعززوه، فكان ما فعله سببًا لبعدهم عنه وتحقيره .. وقيل : عوقب بذلك ليكون الجزاء من جنس العمل، حيث نبذ فنبذ، فإن ذلك

---

(١) محمد أحمد جاد المولى وآخرون : قصص القرآن (دار التراث، القاهرة، ط الثالثة عشرة، ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م) ص١٥٧.

(٢) الالوسي : روح المعاني جـ١٦ ص٢٥٦.

التحاشي أشبه شيء بالنبذ(٢).

ويبين القرآن لليهود فساد عقولهم وقصر نظرهم عندما لفت أنظارهم إلى ما حدث للعمل من نسف وتدمير وتذرية في البحر، وهذا لا يجوز على إله يعبد، قال الله تعالى: ﴿وَانظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾ وفي هذا مخاطبة لعقولهم ولعقول أشباههم - إن كانت لهم عقول - ليميزوا الحق من الباطل، وليعرفوا الإله الجدير بالعبودية من الإله الزائف.

ثم يعلن القرآن الحقيقة الفاصلة بين التوحيد والشرك، والتي صاح بها سيدنا موسى - عليه السلام - وسط قومه لتخرق أذن كل من يدعي الانتساب إليه، فقال: ﴿إِنَّمَا إِلَٰهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ فهذا إقرار بوحدانية الله - سبحانه - فلا إله غيره ولا معبود سواه.

وبذلك تكون قد دعت الآيات الكريمات اليهود - عن طريق استخدام أساليب متعددة - إلى ترك الشرك والضلال، حيث أبطلت عبادتهم للعجل، وأقامت عليهم الحجج والبراهين على جهلهم المطلق وعلى غباوتهم، وفتحت أمامهم باب التوبة حتى يفيئوا من الغي والضلال إلى الحق والصواب.

ثالثًا: ادعاؤهم بنوة العزير(١) لله تعالى:

لقد ظلت آثار الوثنية عالقة في قلوب الكثير من بني إسرائيل، وامتد الخلل

---

(١) عزير هذا هو الذي تسميه اليهود عزرا، غيرت اللفظة عند التعريب كما غير لفظ (يسوع) فصار بالتعريب (عيسى)... وعزرا هذا هو الذي جدد دين اليهود وجمع أسفار التوراة وكتبها بعد ما افتقدت في غائلة بختنصر ملك بابل الذي فتح بلادهم وخرب هيكلهم وأحرق كتبهم وقتل رجالهم وسبى نساءهم وذراريهم.. وكتب لهم عزير التوراة بعدما افتقدوا نسخها، وكان ذلك في حدود سنة ٤٥٧ قبل المسيح - عليه السلام - ولما نالهم من خدمته عظموا قدره واحترموا أمره وسموه ابن الله (انظر: السيد محمد حسين الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن (مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان ١٩٨٣م) جـ٩ ص٢٤٣.

الذي وقع في عقيدتهم حتى وجد منهم من زعم أن لله – سبحانه – ولداً، وقد قال بذلك القول فرقة كبيرة منهم[١] ورضي سائرهم بمقالتها، فحكم القرآن عليهم بأن جميعهم نسبوا لله الولد .

يقرر القرآن الكريم هذا الادعاء ويفنده؛ حيث يقول الله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[٢] .

روى في سبب النزول، عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أنه قال : أتى رسول الله ﷺ سلام بن مشكم، ونعمان بن أوفي، وشاس بن قيس، ومالك بن الصيف : فقالوا : كيف نتبعك – يا محمد – وقد تركت قبلتنا وأنت لا تزعم أن عزيرًا ابن الله ؟ فأنزل الله في ذلك من قولهم : ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ . . . ﴾[٣] .

وعن سبب قولهم : إن عزير ابن الله، أنه لم يبق منهم بعد وقعة بختنصر من يحفظ التوراة غيره، فإنه لما أحياه الله بعد مائة عام أملى عليهم التوراة حفظًا، فتعجبوا من ذلك وقالوا : ما هذا إلا أنه ابن الله[٤] .

ويبين القرآن في أسلوب حكيم بطلان ما ذهبوا إليه، ويدعوهم إلى التوحيد الخالص :

(١) يذكر ابن حزم الأندلسي : أن الصدوقية ؛ وهم ينسبون إلى رجل يقال له : صدوق قد انفردوا من بين فرق اليهود، باعتقادهم أن العزير ابن الله – تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا – وكانوا بجهة اليمن (انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق د/محمد إبراهيم نصر، ود/عبدالرحمن عميرة (مكتبة عكاظ، السعودية، ط الأولى، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م) جـ١ ص١٧٨ .

(٢) التوبة : ٣٠، ٣١.

(٣) انظر : تفسير ابن جرير (مطبعة الميمنة بمصر) جـ١٠ ص٦٨.

(٤) انظر: الإمام البيضاوي : أنوار التنزيل وأسرار التأويل ص ٢٥٢ .

ففي قوله : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ ﴾ تقرير لادعائهم؛ يتبين من خلاله مدى انحراف اليهود عن التوحيد الحق، فقد نسبوا إلى الله ما لا يليق به؛ لأن الله منزه عن أن يكون له ولد ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ .

ويتبع القرآن معهم أسلوب التحدى والتعجيز؛ حيث يطلب منهم أن يقيموا البينة والدليل على صحة ما يقولون، وبالطبع لا يستطيعون، إنما هو قول تلوكه ألسنتهم، ولا تعيه عقولهم، ولا مستند لهم إلا أنه مفترى ومختلق، وفي ذلك يقول الله تعالى : ﴿ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ ﴾ وفي قوله : ﴿ بِأَفْوَاهِهِمْ ﴾ بعد قوله : ﴿ قَوْلُهُم ﴾ إعجاز يكشف عنه صاحب الكشاف فيقول : «فإن قلت : كل قول يقال بالفم فما معنى ﴿ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ ﴾ ؟ قلت فيه وجهان : أحدهما؛ أن يراد أنه قول لا يعضده برهان، فما هو إلا لفظ يفوهون به، فارغ من أي معنى تحته... وذلك أن القول الدال على معنى لفظه مقول بالفم ومعناه مؤثر في القلب، وما لا معنى له مقول بالفم لا غير. والثاني : أن يراد بالقول المذهب، كقولهم : (قول أبي حنيفة) يريدون مذهبه، وما يقول به، كأنه قيل : ذلك مذهبهم ودينهم بأفواههم لا بقلوبهم؛ لأنه لا حجة معه ولا شبهة، حتى تؤثر في القلوب...»(١). وفي قوله : ﴿ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ زيادة في تأكيد بطلان دعواهم، وأن هذا الادعاء ترديد لمقالة أهل الكفر من قبلهم.

وفي قوله : ﴿ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ ترهيب عن طريق الدعاء عليهم بالهلاك.

﴿ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ الإفك : الانصراف عن الحق، وفيه تعجيب عن انصرافهم عن التوحيد، وهذا التعجب إنما هو راجع إلى الخلق، والله تعالى لا يتعجب من شيء، ولكن هذا الخطاب على غير عادة العرب في مخاطباتهم، والله تعالى عجب نبيه من تركهم وإصرارهم على الباطل(٢) وفي قوله : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ

(١) الزمخشري : تفسير الكشاف، جـ٢ ص١٨٥.

(٢) الرازي : مفاتيح الغيب، جـ٧ ص٦٣٤.

أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ تنبيه لليهود في كل زمان ومكان إلى حقيقة واقعة منهم، وهي اتخاذهم الأحبار أولياء من دون الله، يقدمون أمرهم على أمر الله[١] وفي هذا تعد على ذات الله، وكفرٌ وشرك، لأنهم جعلوا للأحبار حق الحاكمية والتشريع من دون الله عز وجل، فيقبلون تشريعهم ويعتبرونه حجة من غير أن يبينوا سنده وأصله.

ثم يبين القرآن لهم الحقيقة التي أمروا باتباعها ونبذ ما سواها فيقول الله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ فإنه لا معبود بحق سواه، متنزه عن كل ما يقولون. وفي الآية استثناء يفيد التخصيص والقصر، قصر التوجه بالعبودية إلى إله واحد لا شريك له وهو الله.

وهكذا يفند القرآن الكريم دعوى اليهود أن عزيراً ابن لله، فهلا ثابوا إلى رشدهم واتبعوا الحق الذي جاءهم به محمد ﷺ، مصدقًا لما جاء به أنبياؤهم.

رابعًا: قولهم نحن أبناء الله وأحباؤه:

ترتب على انحرافاتهم الخطيرة في التوحيد الحق ادعاؤهم بأنهم أبناء الله وأحباؤه؛ لأنهم لو استقام توحيدهم لله – عز وجل – لما تجرءوا عليه – سبحانه – بذلك الادعاء المجانب للحق، ولما تعالوا واستكبروا على خلق الله بزعمهم أنهم أفضل منهم.

ويقرر القرآن الكريم هذا الادعاء، حيث يقول الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ

(١) الناظر في تلمود اليهود المقدس – عندهم – يرى مدى ما وصل إليه هؤلاء في تقديس أحبارهم، فإنهم يزعمون أن تعاليم الأحبار فوق تعاليم الله، فيقول تلمودهم: «إن تعاليم الحاخامات لا يمكن نقضها، ولا تغييرها، ولو بأمر الله – وقد وقع خلاف بين الرب وعلماء اليهود في مسألة. فبعد أن طال الجدال تقرر إحالة فصل الخلاف إلى أحد الحاخامات الرابيين، واضطر الله أن يعترف بغلطه بعد حكم الحاخام المذكور. (انظر: د/عبدالرحمن عميرة: هذا هو الطريق، (ط الأولى ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م) ص٩٦.

الْمَصِيرُ﴾(١) .

وقد روي في سبب نزول هذه الآية عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال : «أتي رسول الله ﷺ نعمان بن أضا، وبحرى بن عمرو، وشاس بن عدي، فكلموه، فكلمهم رسول الله ﷺ ودعاهم إلى الله، وحذرهم نقمته، فقالوا : ما تخوفنا يا محمد ؟ نحن أبناء الله وأحباؤه كقول النصارى، فأنزل الله فيهم : ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ. . .﴾(٢) .

قيل : إن المراد بالبنوة في قولهم ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ البنوة الحقيقية، ومستندهم في ذلك ما جاء في توراتهم المزعومة «إسرائيل ابني البكر»(٣) ، ويقال لبني إسرائيل: «أبناء الله الحي»(٤) .

فهذا وغيره مستندهم في دعواهم، فقد حملوا النصوص وأولوها على حسب أهوائهم وأغراضهم، وقد كشف بطلان هذا الادعاء من أسلم من عقلائهم، وقالوا: إن هذا عندهم على التشريف والإكرام ليس أكثر، فالمراد بالبنوة البنوة المجازية لا الحقيقية .

فالواضح أن اليهود يرون لأنفسهم فضلاً على سائر البشر، وأنهم لهم صلة بالله تعالى تزيد على صلة غيرهم به، وأنهم هم وحدهم أهل القربى منه.

ولا شك أن هذا انحراف كبير منهم في إيمانهم بالله – تعالى – وتوحيده، فكيف يزعمون أنهم أقرب الناس إلى الله مع ارتكابهم الذنوب والمعاصي. فهذه عقدة جاهلية أبطلها القرآن الكريم، وذلك فيما يأتي :

---

(١) المائدة : ١٨.

(٢) انظر : تفسير ابن حرير، (ط دار المعارف) جـ١٠ ص١٥٠، ١٥١ .

(٣) سفر الخروج ٤ : ٢٢.

(٤) سفر يوشع ١ : ١٠.

١- استخدام أسلوب الاستفهام، وحاصله أنهم لو كانوا أبناء الله وأحباءه لما عذبهم، لكنه عذبهم، فهم ليسوا أبناء الله ولا أحباءه. قال: ﴿فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾ قيل: معنى ﴿يُعَذِّبُكُم﴾ «عذبكم، فهو بمعنى الماضي؛ أي فلم مسخكم قردة وخنازير؟ ولم عذب من قبلكم من اليهود والنصارى بأنواع العذاب وهم أمثالكم؛ لأن الله لا يحتج عليهم بشيء لم يكن بعد لأنهم ربما يقولون لا نعذب غداً، بل يحتج عليهم بما عرفوه»[١]. وهنا برهان واضح مستمد من تاريخهم فإن الله لم يعذب أحداً مثل عذابهم.

٢- وينبههم القرآن إلى حقيقة أنفسهم وأنهم بشر مثل جميع البشر الذين خلقهم الله عز وجل ﴿بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾ فهم مساوون لجميع البشر، فلا فضل لأحد على أحد، والمغفرة تنال الذي يستحقها، والعذاب للمخالف المعاند.

٣- يؤكد الله تعالى عموم قدرته وهيمنته على جميع ما خلق فهو واحد في ملكه لا شريك له وإليه وحده المرجع والمصير؛ فيجازيهم ويجازي غيرهم على ماعملوه وارتكبوه، وذلك في قوله: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾.

وهكذا تبطل الآية الكريمة انحرافًا آخر من انحرافات اليهود والنصارى المتعلقة بقضية التوحيد، وهي زعمهم أنهم أبناء الله وأحباؤه، وتثبت خطأ ما زعموا؛ لأنه لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى والعمل الصالح، وهم - بلا شك - بعيدون عن ذلك تمامًا.

وقد نتج عن دعوى اليهود أفضليتهم على سائر البشر وأنهم شعب الله المختار دعاوى أخرى زادتهم انحرافًا عن الإيمان بالله تعالى الإيمان الخالص، حكاها القرآن وأبطلها، نذكر أهمها - بإيجاز - فيما يلي:

---

(١) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (ط دار الغد العربي) جـ٣ ص٢٢١٨.

(أ) قولهم : ليس علينا في الأميين سبيل :

حكى القرآن الكريم ذلك بقوله : ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٥) بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾(١).

والآية تكشف عن جملة من انحرافات أكثر اليهود المتمثلة في : أكلهم أموال الناس بالباطل، وخيانتهم للأمانة، وقولهم على الله الكذب مع علمهم بذلك.

فيخبر القرآن عن الحالة التي وصل إليها اليهود في معاملة غيرهم، وأن منهم خونة، في قوله : ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ ﴾ وقوله : ﴿ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ﴾ تعبير عن شدة المطالبة والإلحاح والملازمة في استرداد الحق منهم.

ويبين القرآن السبب الأصيل لإهدار حقوق غيرهم وأكلها بالباطل في قوله : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ ﴾. ونجد أن أكلهم أموال الناس بالباطل مترتب على ما تدعوهم إليه كتبهم المحرفة التي تحل لهم أخذ أموال غيرهم بأية طريقة كانت، جاء في توراتهم : (لا تقرض أخاك بربا؛ ربا فضة أو ربا طعام أو ربا شيء ما مما يقرض بربا للأجنبي تقرض بربا، ولكن لأخيك لا تقرض بربا »(٢). وأصل النص ينهاهم عن التعامل بالربا، ولكنهم قصروا هذا النهي على أنفسهم.

ثم يكشف القرآن عن كذبهم وافترائهم على الله مع علمهم، بقوله : ﴿ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ قوله : ﴿ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ بيان لعظيم جرمهم وكبير فحشهم، وقد روي في ذلك أنه : « بايع اليهود رجالاً من المسلمين

---

(١) آل عمران : ٧٥، ٧٦.

(٢) سفر التثنية ٢٣ : ١٩، ٢٠.

في الجاهلية فلما أسلموا تقاضوهم ثمن بيوعهم، فقال اليهود : ليس لكم علينا أمانة ولا قضاء لكم عندنا؛ لأنكم تركتم دينكم الذي كنتم عليه، وادعوا أنهم وجدوا ذلك في كتابهم فقال الله تعالى : ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾(١) وهذا يدل على قبح طبائعهم؛ إذ يفضلون الشرك على الإيمان، والمشركين على المؤمنين، على الرغم من أنهم أهل كتاب.

وقوله : ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ تأكيد لهذا الكذب وإثبات لنفيه في قولهم : ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾ وترغيب لهم في الوفاء والتقوى؛ لأنهما يجلبان محبة الله.

فقوله : ﴿بَلَى﴾ نفي لما زعمته اليهود، قال الزجاج : «وعندي وقف التمام على ﴿بَلَى﴾ وبعده استئناف»(٢) . والمعنى : بلى عليهم إثم وأنهم معذبون بسبب إهدارهم لحقوق غيرهم، ومع ذلك يرغبهم القرآن في الثواب والأجر إن هم وفوا بعهد الله تعالى وآمنوا به إيمانًا خالصًا.

(ب) قولهم : إن ذنوبهم مغفورة :

يزعم اليهود أنهم مهما ارتكبوا من ذنوب واستحلوا من محارم فإن ذنوبهم مغفورة؛ لأنهم أبناء الله وأحباؤه اختارهم واصطفاهم من بين خلقه، حكى القرآن الكريم ذلك بقوله : ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ(٣) وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا الْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾(٤). ويرد القرآن الكريم على هذا الزعم بما يأتي :

(١) انظر: تفسير ابن جرير جـ٣ ص٢٢٧.

(٢) انظر : معاني القرآن وإعرابه (ط المكتبة العصرية، بيروت – صيدا) جـ١ ص٤٤١، ٤٤٢.

(٣) الخلَف بفتح اللام من يخلف غيره بالخير، والخلْف بسكون اللام من يخلف غيره في الشر (انظر محمد على الصابوني : صفوة التفاسير؛ مرجع سابق؛ جـ٤ ص٤٨٠).

(٤) الأعراف : ٦٩.

١- يبين تهافتهم على حطام الدنيا ومتاعها مع تمنيهم المغفرة، وهذا شيء غير مستقيم، ولا يقبله العقل. قال صاحب الكشاف عن قوله : ﴿ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا الْأَدْنَىٰ ﴾ «أي حطام هذا الشيء الأدنى، يريد الدنيا وما يتمتع به منها، في قوله : ﴿هَٰذَا الْأَدْنَىٰ﴾ تخسيس وتحقير»[1]. ثم يخبر - سبحانه - أنهم أهل إصرار على الذنوب وليسوا بأهل توبة واستغفار، فقال : ﴿ وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ﴾ يرجون المغفرة ويصرون على الذنب، كلما ظهر لهم شيء من حطام الدنيا الزائل.

٢- ويستخدم أسلوب الاستفهام في قوله : ﴿ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم﴾ للتوبيخ والتقريع، والمعنى : ألم يؤخذ عليهم العهد المؤكد في التوراة أن يقولوا الحق ولا يكذبوا على الله؛ فإن هذا الفعل بعيد عن توحيد الله تعالى، ثم كيف يزعمون بعد ذلك أنه سيغفر لهم مع إصرارهم على المعاصي ؟

٣- ويذكرهم بمعرفتهم التامة بالكتاب الذي نزل عليهم وأنهم ﴿ دَرَسُوا مَا فِيهِ ﴾، وفي ذلك تقريع لهم؛ لأن مخالفتهم جاءت مع علمهم بالكتاب.

٤- ويستخدم معهم أسلوب الترغيب؛ حيث يرغبهم في خير الآخرة الأبدي الذي أعده الله للمتقين؛ مما يحفزهم على سلوك طريق الحق، يقول تعالى : ﴿ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾ و﴿ يَتَّقُونَ ﴾ بصيغة المضارع للدلالة على أن هذا الخير لن يناله إلا من يستمر في طاعته وتقواه لله سبحانه.

٥- وينكر عليهم ويوبخهم عن طريق استخدام أسلوب الاستفهام الإنكاري في قوله تعالى : ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ ؟ وفي هذا حض لهم على استخدام عقولهم الاستخدام الذي يصل بهم إلى الحق.

يقول الألوسي : «والمراد من الآية توبيخ أولئك الورثة على بتهم القول بالمغفرة

---

(١) الزمخشري : تفسير الكشاف، جـ٢ ص١٢٨.

مع إصرارهم على ما هم عليه .. وجاء البت مع السين فإنها للتأكيد، كما نص عليه المحققون، وعن ابن عباس : إنهم وبخوا على إيجابهم على الله تعالى غفران ذنوبهم التي لا يزالون يعودون إليها ثم لا يتوبون منها»(١) .

خامسًا : تطاولهم على الله - تعالى - وسوء أدبهم معه :

حكى القرآن الكريم انحرافات أخرى لعقيدة اليهود في الذات الإلهية، بينت الصورة التي لا تليق بالله - تعالى - في أذهان هؤلاء؛ فقد تطاولوا عليه - سبحانه - ووصفوه بما هو منزه عنه، فقد وصفوه بعدة صفات منها :

(أ) قولهم : إن الله فقير ونحن أغنياء :

قال الله تعالى : ﴿**لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (١٨١) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ**﴾(٢) .

وقد ورد في سبب النزول روايات منها :

ماروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : «لما نزل قوله : ﴿**مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً**﴾(٣) قالت اليهود يا محمد : افتقر ربك فسأل عباده القرض، فأنزل الله - تعالى - هذه الآية(٤) .

وقد رد القرآن الكريم على هذا التطاول الشنيع على الذات الإلهية، فنبههم إلى أن الله سمع مقالتهم الشنيعة، وهو قولهم : ﴿**إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ**﴾ وحرف ﴿**قَدْ**﴾ في الآية دخل على الفعل الماضي ﴿**سَمِعَ**﴾ فأفاد أن الله علم وأحاط بكل ما يقوله هؤلاء من عظائم، وما ينطقون به من فحش وزور، وهذا الأمر لا مراء فيه

---

(١) روح المعاني (مرجع سابق) جـ٩ ص٩٧ .
(٢) آل عمران : ١٨١، ١٨٢ .
(٣) البقرة: ٢٤٥ .
(٤) انظر مختصر تفسير ابن كثير جـ١ ص٣٤٢ .

فهو أمر محقق.

واستعمل معهم أسلوب التهديد والوعيد على ما قالوه وارتكبوه من معاصٍ فقال: ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا﴾ ونتائج هذه الكتابة هو الحساب العسير ثم العذاب المبين.

يقول الفخر الرازي: «أن يكون المراد من كتبه عليهم إثبات ذلك عليهم وأن لا يلغى ولا يطرح؛ وذلك لأن الناس إذا أرادوا إثبات الشيء على وجه لا يزول ولا ينسى ولا يتغير كتبوه، والله تعالى جعل الكتابة مجازاً عن إثبات الحكم عليهم»(١).

وفي قوله: ﴿وَقَتْلَهُمُ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ إثبات لأصالتهم في الشر، وأن تطاولهم على الله ووصفه بما لا يليق، ليس هو أول تطاول، فقد تطاولوا عليه بقتل أنبيائه الذين اصطفاهم من بين خلقه. وقوله: ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ إشارة إلى شناعة فعلهم وعظيم جرمهم، وإضافة القتل إلى المعاصرين للعهد النبوي لرضاهم عن فعل أسلافهم.

وزيادة في التهديد والوعيد لهم صرح بالعقوبة بعد الكتابة بها، جزاء ما قدمت أيديهم من أعمال سيئة ﴿وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (١٨١) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ وفي هذا رادع شديد لهم حتى يفيئوا عن ضلالهم، وفي قوله: ﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ استهزاء وتهكم باليهود.

وبذلك تكون الآيتان الكريمتان قد رهبت اليهود بالعذاب الشديد الذي سيلحقهم جزاء تطاولهم على الله، فلو قدروه حق قدره ما نالهم ذلك العذاب.

(ب) قولهم: يد الله مغلولة:

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ

(١) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير جـ٤ ص٥٩٦.

يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فساداً والله لا يحب المفسدين ﴾(١) .

وفي الآية سجل القرآن الكريم على اليهود هذه الفرية الآثمة كما سجل لعنتهم الدائمة، ونسب هذا القول لجميع اليهود مع أن القائل واحد منهم؛ وذلك لأنهم لم ينكروا عليه ورضوا بما قاله.

وقد فند القرآن هذه الفرية في تلك الآية :

ففي قوله : ﴿ وقالت اليهود يد الله مغلولة ﴾ إخبار بمقالة اليهود وتطاولهم على الله، فقد وصفوه بالبخل وقلة العطاء، ونسبة الغل إلى اليد هو من باب إطلاق السبب على المسبب؛ لأن اليد هي السبب في العطاء أو التقتير كقول الله تعالى : ﴿ ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً ﴾(٢) .

قال ابن عباس : «المراد من قولهم : يد الله مغلولة ليس يعنون أن يد الله موثقة، ولكنهم يقولون : مغلولة أي بخيلة أمسك ما عنده بخلاً»(٣) .

وفي قوله : ﴿ غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا ﴾ تكذيب لهم فيما ادعوه ونسبوه إلى الله تعالى، وأن البخل والحسد الجبن أداوء اتصفوا بها هم، «ويجوز أن يكون ذلك دعاء عليهم بغل الأيدي حقيقة يبخلون في الدنيا أسارى وفي الآخرة معذبين بأغلال جهنم»(٤) .

وقوله : ﴿ بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء ﴾ يثبت – سبحانه – لنفسه نهاية الجود والعطاء.

---

(١) المائدة : ٦٤.

(٢) الإسراء : ٢٩ .

(٣) انظر تفسير ابن جرير (ط دار المعارف) جـ١٠ ص٤٥٢ .

(٤) الزمخشري : تفسير الكشاف جـ١ ص٦٢٨.

عبر – سبحانه – عن سعة جوده ببسط اليدين وتثنيتهما ليكون أبلغ في رد قولهم : ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ وفي إنكاره عليهم، وليكون أدل على إثبات غاية السخاء له ونفي البخل عنه(١) .

وفي قوله : ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ...﴾ إخبار من الله تعالى بما سيقع من اليهود بعد هذه الآيات الواضحات التي تبطل مزاعمهم الفاسدة، وفي ذلك إعجاز قرآني، حيث إن الواقع يشهد على ما جاء به القرآن، فقد ازداد طغيان اليهود وتعنتهم وفسادهم بعد نزوله وإلى وقتنا الحاضر.

(جـ) صفات أخرى نسبوها إلى الله – سبحانه – وموقف القرآن منها :

أسندت التوراة من صفات النقص لله تعالى ما ينأى عن أن يوصف بها أقل البشر شأنًا، فضلاً عن الإله الخالق – سبحانه – الذي له القوامة والسلطان، وفي إيجاز نذكر بعض تلك الصفات وموقف القرآن منها :

١- نسبوا التعب والنصب لله تعالى، فزعموا أن الله خلق العالم في ستة أيام واستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل(٢) . وقد رد عليهم القرآن بما يخرس ألسنتهم، وبما ينزهه – سبحانه – عن النصب والتعب، فقال تعالى : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾(٣). أي ما أصابنا من إعياء ولا نصب ولا تعب.

٢- نسبوا إلى الله أنه مشى ونزل ضيفًا على إبراهيم وأكل وشرب واستراح تحت ظل شجرة(٤) .

---

(١) انظر : د/محمد سيد طنطاوي : بنو إسرائيل في القرآن والسنة ص٥٩٥ .

(٢) انظر : سفر التكوين ٢ : ٢-٣.

(٣) ق : ٣٨.

(٤) انظر : سفر التكوين ١٨ : ٢٦ .

وقد رد القرآن – على هذه القصة المحرفة – بأسلوب فيه تنزيه لله – سبحانه – وتكريم لملائكته تعالى . فبين أن الذين جاءوا إلى خليل الله إبراهيم هم ملائكة كرام من ملائكة الله تعالى في هيئة بشر، قال تعالى : ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ (٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلامًا قَالَ سَلامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ (٢٥) فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ (٢٦) فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلا تَأْكُلُونَ (٢٧) فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلامٍ عَلِيمٍ ﴾(١) .

٣- زعموا أن الله يستفيد من الضحايا وينتعش من رائحة الدخان المتصاعد من حرقها(٢) . ورد القرآن الكريم – أيضًا – هذا الزعم الذي لا دليل يؤيده في قوله تعالى : ﴿ لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلا دِمَاؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴾(٣) .

وتلمود اليهود المقدس – عندهم – يصف – أيضًا – الذات العلية بصفات الحوادث وصفات النقص، من ذلك :

١- أن الله تعالى يئن كما تئن الحمامة، ويبكي وهو يقول : الويل لمن أخرب بيته، وضعضع ركنه، وهدم قصره موضع سكنه ...(٤) .

٢- أن الله يردد في أثناء بكائه ونحيبه عبارات تدل على ندمه مما فعل فيقول: «تبًا لي : أمرت بخراب بيتي وإحراق الهيكل وتشريد أولادي(٥) .

٣- يقرر التلمود أن الله مصدر الشر كما أنه مصدر الخير ...(٦) .

---

(١) الذاريات : ٢٤-٢٨ .

(٢) انظر: سفر الخروج ٢٩ : ٣٨-٤٣ .

(٣) الحج : ٣٧ .

(٤) انظر : ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل جـ١ ص٣٢٦ .

(٥) انظر : إبراهيم خليل أحمد : إسرائيل والتلمود، دراسة تحليلية (القاهرة، دار الجيل للطباعة، سنة ١٩٨٣) ص٤٦ .

(٦) انظر د/أحمد شلبي : اليهودية ص٢٦٧ .

وهذه بلا شك سخافات لا يقبلها من له ذرة من عقل، فقد صور هؤلاء القوم الإله بصور واهية ينأى عنها أراذل البشر، فضلاً عن الإله الخالق، تعالى – سبحانه – عما يقولون علوًا كبيرًا.

وبذلك يكون قد تبين – من خلال هذا المبحث – دعوة القرآن الكريم اليهود – عن طريق استخدام أساليب متنوعة – إلى ترك العقائد الفاسدة حول التوحيد، وتبين أن اليهود لم يستطيعوا في أي فترة من فترات حياتهم أن يستقروا على عبادة الله الواحد، الذي دعاهم إليه موسى – عليه السلام – ودعا إليه جميع الأنبياء والمرسلين، وصوروا الإله في صور مادية محدودة، ورأينا كيف أن القرآن الكريم أبطل عقائدهم هذه، ونفى عن الإله – سبحانه – كل صفات النقص التي نسبوها إليه – فسبحانه وتعالى عما يصفون.

المبحث الثاني
دعوة القرآن النصارى
إلى ترك العقائد الفاسدة

الرسالة التي أرسل بها عيسى - عليه السلام - كالرسالة التي أرسل بها موسى - عليه السلام - فهي في الأصل إلهية تقوم على التوحيد الكامل لله تعالى، شأنها في ذلك شأن كل رسالة سماوية، ومن هنا، أثبت القرآن الكريم أن عيسى - عليه السلام - ما دعا إلا إلى التوحيد الخالص لله عز وجل، وعليه فعقائد النصارى الحالية قد أخرجت هذه الرسالة الإلهية عن حقيقتها وأدخلتها في عداد الديانات البشرية.

وقد أثبت الأستاذ «جنى بير» .. وكان أستاذاً لتاريخ الأديان بجامعة السربون: «أن المسيحية الحالية ليست هي مسيحية المسيح - عليه السلام -، وقد تتبع المسيحية: كيف نشأت منفصلة عن المسيح، ثم كيف تطورت إلى أن أصبحت في الوضع الحالي، وبين في وضوح لا لبس فيه أثر القديس «بولس» على المسيحية»(١).

وفيما يلي بيان لدعوة القرآن الكريم النصارى إلى نبذ العقائد الفاسدة واتباع التوحيد الخالص:

---

(١) انظر: د/عبدالحليم محمود: أوربا والإسلام (مطابع الأهرام التجارية، ١٩٧٣م) ص٣٤.

أولاً : إبطال القرآن الكريم عقيدة التثليث :

أ - تصور النصارى لهذه العقيدة :

جدير بالذكر - قبل - تعرض البحث لبيان الأساليب التي استخدمها القرآن الكريم في دعوة النصارى إلى نبذ عقيدة التثليث وطرحها من العقول - أن نضع تصوراً لها في فكر النصارى أنفسهم، هذا التصور يتمثل في قولهم : إن الله جوهر واحد، وثلاثة أقانيم - أقنوم الآب - وأقنوم الابن - وأقنوم الروح القدس - وأنها واحدة في الجوهر مختلفة الأقانيم، وقال بعضهم : إنها خواص. وقال بعضهم : إنها أشخاص وذوات، وقال بعضهم : إنها صفات، وقال بعضهم : إن أقنوم الآب هو الذات، وأقنوم الابن هو الكلمة - وهي : العلم، وأنها لم تزل متولدة من الآب، لا على سبيل التناسل، بل كتولد ضياء الشمس من الشمس، وأن أقنوم روح القدس هو الحياة، وأنها لم تزل فايضة بين الآب والابن، والأقنوم عندهم هو الشخص(١).

وتعتبر عقيدة التثليث أساسًا من أسس دين النصارى (المحرف) والثابت تاريخيًّا أنها دخيلة على المسيحية، وليس لها وجود في الأصل اليوناني للإنجيل، بل هي مأخوذة من الوثنية الفرعونية، والمبادئ البابلية التي وجدت في لوحة أثرية عثر عليها في بابل، ويرجع تاريخها إلى سنة ١٢٠٠ ق.م، ولم تقرر هذه العقيدة عند المسيحيين إلا في مجمع نيقية المنعقد سنة ٣٢٥م(٢) .

والناظر إلى إنجيل النصارى يجد أن المسيح قد ملأه «بتوحيد الله تعالى وتنزيهه

---

(١) انظر : نصر بن يحيى المتطبب : النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية. تحقيق د/محمد عبدالله الشرقاوي (مطبعة دار التاليف، الناشر دار الصحوة، القاهرة ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م) ص٥٦، ٥٧، وانظر : د/دونالد ديماري : عقائد أساسية مدخل في علم اللاهوت (الله)، ترجمة : شاكر إبراهيم سعيد (ط كوستاتسوماس، القاهرة، نشر مكتبة النيل المسيحية) ص٣١، ٣٢.

(٢) انظر: إبراهيم خليل أحمد : محمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن (دار المنار، القاهرة، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م) ص١٧.

عن الثاني والثالث وإفراده بالربوبية والألوهية فقال فيه : واحد هو الله، وقال : إن الله لم يره أحد قط، وقال : لا ينبغي لأحد أن يعبد ربَّين، وقال : إلهي أنت الإله الحق الذي أرسلت المسيح، فأقواله ليس فيها ما زعموا من التثنية والتثليث، فمن آمن بذلك فقد كفر بما قاله المسيح وتلاميذه؛ لأن الإيمان بالثالوث كفر بالتوحيد، ففي صدق أحدهما تكذيب الآخر، وكتاب الله الإنجيل هو المصدق؛ لأنه المنزل على نبيه المرسل(١) .

وعليه فإن عقيدة التثليث لا يقبلها عقل ولا يؤيدها نقل، ومع ذلك فإن المسيحيين يبشرون بها ويدعون الناس إلى الإيمان بها دون فهمها أو البحث عن حقيقتها.

ب- دعوة القرآن النصارى إلى ترك عقيدة التثليث :

لا شك أن الاعتقاد بثلاثة آلهة ينافي ويناقض عقيدة التوحيد التي دعا إليها القرآن بكل بساطة ووضوح، فالقرآن يقدم تصوراً عن الله تعالى محرراً من أية شائبة من شوائب الشرك، فإنه - سبحانه - ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾(٢) .

وقد سلك القرآن الكريم أسلوب الترغيب تارة وأسلوب الترهيب تارة أخرى لحمل النصارى على نبذ عقيدة التثليث وطرحها من عقولهم؛ والإقرار بوحدانية الخالق - سبحانه -، والآيات التالية تكشف عن ذلك :

يقول الله تعالى : ﴿**لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾(٣) .

---

(١) انظر : أبو الفضل المالكي المسعودي : المنتخب الجليل في تخجيل من حرف الإنجيل، ص٦٣.

(٢) الشورى : ١١.

(٣) المائدة : ٧٣، ٧٤.

وقال سبحانه : ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾(١) .

فمن خلال تلك الآيات يدعو القرآن الكريم النصارى إلى نبذ تلك العقيدة الفاسدة التي تتنافى مع العقل السليم، وذلك عن طريق :

١- حكمه القاطع بالكفر على كل من زعم أن الله ثالث ثلاثة، تنبيهًا إلى جرم ما قالوه وعظيم ما اعتقدوه، فقال : ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ﴾. والكفر في اللغة : الستر والتغطية، كفر الشيء أي ستره وغطاه. وفي الشرع : الكفر: نقيض الإيمان، وهو إنكار شيء يجب الإيمان به. «والسبب في تسمية الخارج عن الإيمان كافرًا أنه يرى أدلة التوحيد وما يدعوه إلى الإيمان بربه عز وجل ثم يصر مستكبرًا على باطله وكفره»(٢) .

٢- قصره صفة الألوهية على الله الواحد، ونفيها عما عداه مطلقًا، فقال : ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلاَّ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ والمعنى : أنه ليس في الوجود إله قط إلا إله موصوف بالوحدانية لا ثاني له، وهو الله وحده لا شريك له و ﴿مِنْ﴾ تفيد الاستغراق. وأسلوب القصر بطريق النفي والاستثناء لقصر صفة الألوهية على الله الواحد، ونفيها عما عداه مطلقًا؛ تأكيدًا للمعنى، يستوجبه مقام الرد على من يدعون التعدد(٣) .

٣- تحذيره لهم وترهيبهم من عاقبة كفرهم، واعتقادهم الباطل، وتصورهم الخاطئ للذات الإلهية بقوله : ﴿وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا

(١) النساء : ١٧١ .

(٢) أبو حفص عمر بن عبدالعزيز : حقيقة الإيمان، جـ١ ص١٣ .

(٣) انظر : د/عبدالغني سعيد بركة : أسلوب الدعوة القرآنية، بلاغة ومنهاجًا (مكتبة وهبة، القاهرة، ط الأولى ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م) ص ١٦٠ .

﴿منهم عذاب أليم﴾ أي : ليمسن الذين أقاموا على هذا الدين[١] ؛ لأن كثيراً منهم تابوا عن النصرانية، فهذا تهديد من القرآن بسبب ما يعتقده هؤلاء، وقد أكد هذا التهديد بلام القسم ونون التوكيد في قوله : ﴿ لَيَمَسَّنَّ﴾ وفي وصف القرآن العذاب بالأليم زيادة في التهديد .

٤- ترغيبه للنصارى - الذين يعتقدون التثليث - في التوبة والرجوع عن هذا الاعتقاد، وتذكيرهم بسعة رحمة الله تعالى ﴿أَفَلا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ والاستفهام في الآية للإنكار والتوبيخ، وفيه تعجب من إصرارهم على الكفر، وحثهم على التوبة. «والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي (ألا ينتهون) عن تلك العقائد الفاسدة فلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه بالتوحيد وتنزيهه عما نسبوه إليه، فمدار الإنكار والتعجب هو عدم الانتهاء وعدم التوبة»[٢] .

قال ابن كثير عن هذه الآية : «وهذا من كرمه تعالى وجوده ولطفه ورحمته بخلقه مع هذا الذنب العظيم، وهذا الافتراء والكذب والإفك، يدعوهم إلى التوبة والمغفرة، فكل من تاب إليه تاب عليه»[٣] .

٥- ونهيه لهم عن ترديد هذا القول الفاسد، فإن الله منزه عن التركيب، وعن نسبة المركب، فإن انتهوا كان ذلك خيراً لهم في دينهم ودنياهم، قال - سبحانه : ﴿وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾.

ثانياً : إبطال قولهم بألوهية المسيح وبنوته لله تعالى :

أ - شبه النصارى في قولهم : بألوهية المسيح وبنوته لله تعالى :

لعله من المناسب - قبل التعرض لمعرفة أسلوب القرآن في إبطال هذه العقيدة -

(١) انظر : الزجاج : معاني القرآن وإعرابه جـ٢ ص١٩٦ .

(٢) د/عبدالغني بركة : أسلوب الدعوة القرآنية، ص ٣٦٠، ٣٦١ .

(٣) انظر : مختصر تفسير ابن كثير، جـ١ ص ٥٣٧ .

أن نُجلي أهم الشبه التي ساقها النصارى ويزعمون أنها تؤيد دعواهم، وهي كالتالي :

- الشبهة الأولى : زعمهم أنه كان موجودًا قبل مولده البشري، ومستندهم ما جاء في إنجيل يوحنا : «في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله... والكلمة صار جسداً، وحل بيننا، ورأينا مجده مجسداً كما لوحيد من الآب مملوءًا نعمة وحقًا»(١).

والمتأمل لهذا النص لا يجد فيه دليلاً يؤيد زعمهم الذي زعموه؛ لأنه ليس صريحًا ولا واضحًا في إثبات الألوهية للمسيح؛ وقضية خطيرة كهذه لابد أن تكون النصوص في إثباتها واضحة وصريحة؛ إذ لا مجال فيها للتأويل والظن.

- الشبهة الثانية : إطلاق لفظ ابن الله على المسيح - عليه السلام - وهذا الشبهة في غاية الضعف؛ لوجهين :

الأول : لأن هذا الإطلاق معارض بإطلاق ابن الإنسان.. وبإطلاق ابن داود(٢) فلابد من التطبيق بحيث لا تثبت المخالفة للبراهين العقلية، ولا يلزم منه محال.

الثاني : لأنه لا يصح أن يكون لفظ الابن بمعناه الحقيقي؛ لأن معناه الحقيقي باتفاق لغة أهل العالم من تولد من نطفة الأبوين، وهذا محال ها هنا، فلابد من الحمل على المعنى المجازي المناسب لشأن المسيح، وقد علم من الإنجيل أن هذا اللفظ في حق المسيح بمعنى الصالح(٣) . كذلك فإن لفظ «ابن الله» استعمل في الكتاب المقدس على الصالحين غير المسيح - كما يطلق لفظ «ابن إبليس» على غير الصالح.

---

(١) إنجيل يوحنا، ١٠ : ٣٠.

(٢) جاء في إنجيل متى (٩ : ٢٧) «تبعه أعميان يصرخان ويقولان : ارحمنا يا ابن داود» وفيه أيضًا (١٥ :٢٢) «صرخت إليه قائلة : ارحمني يا سيد يا ابن داود».

(٣) انظر: الشيخ رحمة الله الهندي : إظهار الحق جـ٣ ص٧٥٢.

– الشبهة الثالثة : ميلاد السيد المسيح – المعجز – من عذراء من غير أب فزعموا أنه ما دام قد ولد من غير أب، فالله هو أبوه – تعالى سبحانه عن ذلك. قال – أحد قساوستهم – : «لو لم يولد المسيح (عيسى) من عذراء لكان مجرد إنسان.. فابن الله الأزلي يليق به في حالة تأنسه أن يولد ميلاداً عذراوياً»(١).

وقد رد على هذه الشبهة أكثر من واحد بأسلوب منطقي معقول لا يقبل الجدال ولا النقاش لوضوحه وقوة حجته.

قال (انسلم تورميدا) – كان قسيساً وهداه الله إلى الإسلام واشتهر بعبد الله الترجمان – : «إن تكونوا جعلتموه إلهاً لعجب مولده في كونه من غير أب، فليس ذلك بأعجب من كون آدم خلق من غير أب ولا أم، ولا أعجب من كون الملائكة خلقوا من غير والد ولا والدة، ولا مادة ولا طينة ولا سمي شيء من الملائكة وآدم آلهة، وأنتم تمنعون من ذلك، فأخبرونا ما الفرق بينهم وبين عيسى وهم في حكمة الإيجاد أعجب منه»(٢).

– الشبهة الرابعة : معجزات السيد المسيح، فقد كانت معجزاته – عليه السلام – التي أيده الله بها باباً آخر خرج منه القول بتأليهه؛ لأنه قد أشبع الجوعى، وشفى المرضى، وأحيا الموتى، وغير ذلك.

ومن الواضح أن هذه الشبهة في غاية الضعف؛ لأنه لو كان المسيح إلهاً لأجل معجزاته لصار كثير من الأنبياء – عليهم السلام – آلهة، أي لصار موسى – عليه السلام – إلهاً، ولصار إيليا إلهاً، ولصار اليشع إلهاً، فقد جاء هؤلاء بمعجزات أبلغ وأعجب من معجزات السيد المسيح –عليه السلام – وذلك بنص كتبهم المقدسة .

(١) انظر: الأستاذ محمد مجدي مرجان : المسيح إنسان أم إله، (القاهرة، دار النهضة العربية) ص٢٠٤، ٢٠٥.

(٢) انسلم تورميدا أو عبدالله الترجمان : تحفة الاريب في الرد على أهل الصليب، تحقيق د/محمود علي حماية (ط دار المعارف، ط الثانية ١٩٩٢م) ص١٥، وانظر : رسائل الجاحظ (رسالته في الرد على النصارى) جـ٣ ص٣٤٢، ٣٤٣.

فالمعجزات هي تأييد من الله تعالى للأنبياء والرسل ليصدقهم الناس ويؤمنوا بهم.

ب- دعوة القرآن الكريم النصارى إلى نبذ تلك العقائد الفاسدة حول المسيح:

إذا كان صورة المسيح عند النصارى هي صورة الإله أو ابن الإله، فإن له صورة خلاف ذلك في القرآن، وهي صورة البشر المصطفى من قبل الله عز وجل.

وقد أبطل القرآن الكريم عقائد النصارى حول المسيح في أكثر من موضع، داعيًا إياهم إلى نبذ تلك العقائد، وتصحيح مسارهم؛ متبعًا في ذلك أساليب متنوعة وطرق مختلفة، أهمها :

١- أن عقيدة بنوة المسيح لله تقليد لمن سبقهم من أهل الكفر :

قال تعالى : ﴿وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ۝٣٠ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[١] .

يبين القرآن في الآية زعم النصارى بأن الله اتخذ المسيح ولدًا حيث يقول سبحانه : ﴿وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾، وأن قولهم هذا ليس إلا مضاهاة لمن سبقهم من الكفار حيث يقول الله تعالى : ﴿يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ[٢] قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾، وفي قوله : ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا

(١) التوبة : ٣٠، ٣١.

(٢) الذي ثبت أن الأصول الوثنية للعقائد النصرانية الحالية لم تعد فرضًا علميًا أو تخمينًا أو استنتاجًا، لكنها بعد تقدم العلوم النقدية، واكتشاف الوثائق وقراءة المخطوطات والنقوش، قطع علماء الأديان الغربيون بأن هذه العقائد النصرانية إن هي - في حقيقة الأمر وواقع الحال - إلا خرافات وأساطير عرفتها الأمم الوثنية القديمة، وسجلتها في آثارها، ثم استمدتها النصرانية منها، ونقلتها نقلاً حرفيًا (انظر: د/ محمد عبدالله الشرقاوي : الإيمان ونشر مكتبة الزهراء، القاهرة، ط الأولى ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م) ص٢٠٢ .

﴿مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾ دلالة على أمرين :

أولاً : على أن الاتخاذ بالربوبية بواسطة الطاعة كالاتخاذ بواسطة العبادة، فالطاعة إذا كانت بالاستقلال كانت عبادة، ولازم ذلك أن الرب الذي هو المطاع من غير قيد وشرط وعلى نحو الاستقلال إله، فإن الإله هو المعبود الذي من حقه أن يعبد، يدل على ذلك كله قوله تعالى : ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا﴾ حيث يدل الرب بالإله .. واتخاذ الرب معبودًا اتخاذ له إلهًا.

ثانيًا : على أن الدعوة إلى عبادة الله وحده فيها وقع من كلام الله تعالى كقوله: ﴿لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾(١) وقوله : ﴿فَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾(٢) وأمثال ذلك، كما أريد بها قصر العبادة بمعناها المتعارف فيه سبحانه وتعالى، كذلك أريد قصر الطاعة فيه تعالى، وذلك أنه تعالى لم يؤاخذهم في طاعتهم لأحبارهم ورهبانهم إلا بقوله عز من قائل : ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا﴾ وقوله : ﴿لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾ تتميم لكلمة التوحيد التي يتضمنها قوله : ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا﴾(٣).

وبذلك يكون قد دعا القرآن النصارى إلى ترك قولهم : ببنوة المسيح لله لعدم وجود دليل أو برهان يؤيدهم.

٢- دعوة المجادلين في شأن عيسى عليه السلام إلى نبذ القول بألوهيته وبنوته لله تعالى :

ورد أن صدر سورة آل عمران (أي من أول السورة إلى بضع وثمانين آية منها) نزل في الرد على وفد نصارى نجران عند جدالهم في شأن عيسى - عليه السلام - مع اختلاف في أمرهم، يقولون : هو الله، ويقولون : هو ولد الله، ويقولون : هو ثالث ثلاثة، وكذلك قول النصرانية ... فقال رسول الله لحبرين منهم : أسلما؛

(١) الأنبياء: ٢٥ .
(٢) الشعراء: ٢١٣ .
(٣) انظر : حسين الطباطباني : الميزان في تفسير القرآن جـ٩ ص٢٤٥، ٢٤٦ . مرجع سابق.

فقالا : قد أسلمنا؛ قال : إنكما لم تسلما (فأسلما)؛ قالا : بلى قد أسلمنا قبلك، قال : كذبتما، يمنعكما من الإسلام دعاؤكما لله ولداً، وعبادتكما الصليب، وأكلكما الخنزير. قالا : فمن أبوه يا محمد ؟ فصمت عنهما رسول الله ﷺ فلم يجبهما. فأنزل الله في ذلك من قولهم واختلاف أمرهم كله، صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها[١] . وقد استخدمت السورة في الرد عليهم الطرق التالية :

(أ) يفتح الله عز وجل سورة آل عمران بتنزيه ذاته – سبحانه – عما زعمه هؤلاء وتوحيده إياها بالخلق والأمر، لا شريك له فيه. رداً عليهم ما ابتدعوا من الكفر، وجعلوا معه من الأنداد، واحتجاجاً بقولهم عليه في صاحبهم، ليعرفهم بذلك ضلالتهم[٢] فقال – سبحانه – ﴿ الٓمٓ ۝١ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾[٣] .

(ب) نفي ما أضافته النصارى الذين حاجوا رسول الله في عيسى – عليه السلام– حيث قال سبحانه : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[٤] .

وهذه الآية هي أعظم دليل في كتاب الله عز وجل على توحيده سبحانه .

قدم حبران على النبي ﷺ، أي عالمان من أحبار الشام، فقالا له : أنت محمد؟ قال : نعم، قالا : فإنا نسألك عن شيء فإن أخبرتنا به آمنا بك وصدقناك، فقال عليه السلام : سلا، فقالا : أخبرنا عن أعظم شهادة في كتاب الله، فأنزل الله هذه الآية، فأسلم الرجلان[٥] .

---

(١) راجع: ابن هشام : السيرة النبوية، جـ٢ ص١٧٩ وما بعدها.
(٢) السابق جـ٢ ص١٨٢، ١٨٣ .
(٣) آل عمران : ١، ٢ .
(٤) آل عمران : ١٨ .
(٥) الإمام الجمل : الفتوحات الإلهية جـ١ ص٢٥١ .

والآية تنفي ما أضافت النصارى الذين حاجوا رسول الله ﷺ في عيسى إلى الله تعالى، وما نسب إليه سائر أهل الشرك من أن له شريكًا، واتخاذهم من دونه أربابًا، فأخبرهم الله عن نفسه أنه الخالق لكل ما سواه، وأنه رب كل ما اتخذه كل كافر وكل مشرك ربًا من دونه، وأن ذلك مما يشهد به هو وملائكته وأهل العلم به من خلقه(١) .

وقد كرر - سبحانه - كلمة التوحيد ﴿ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ ﴾ تأكيداً لما سبق، وتقريراً لما تضمنه من أن الله واحد لا شريك له كقول القرآن: **﴿ وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ﴾**(٢) .

والآية أيضًا ثبات لرسول الله ومن آمن معه على هذا الدين، فإن هذا الدين المتين لا يضعف بخلاف بعض الجهال من النصارى وعبدة الأوثان، فوحدانيته تثبت بشهادة المعتبرين من خلقه(٣) .

قال القائل :

شهد الله لم يزل أزلاً   أنه لا إله إلا هو، الله
ثم أملاكه بذا شهدت   أنه لا إله إلا هو، الله
وأولو العلم بذا شهدوا   أنه لا إله إلا هو، الله(٤)

(جـ) ذكر القرآن الكريم قصة خلق المسيح وإكرام الله - عز وجل - له وتأييده بالمعجزات :

حيث قال الله تعالى : **﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٤٥) وَيُكَلِّمُ**

(١) انظر : تفسير ابن جرير جـ٦ ص١٤٩
(٢) البقرة: ١٦٣ .
(٣) انظر : فخر الدين الرازي : مفاتيح الغيب جـ٤ ص١٣١ .
(٤) محيي الدين بن عربي : الفتوحات المكية (الهيئة العامة للكتاب) جـ١ ص١٠٦، ١٠٧ .

النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾[١] .

وفي الآيات الكريمات يبين القرآن بشارة الملائكة لمريم بالمسيح – عليه السلام – وأنه سوف يخلق ويوجد بكلمة من الله، وهي كلمة (كن)، وفي هذا رد على قولهم : إن المسيح موجود قبل مولده البشري، فكيف يستقيم هذا وما يخبر به الله تعالى حيث قال : ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ .

ثم أخبر الله تعالى عن حالاته التي يتقلب فيها في عمره، كتقلب بني آدم في أعمارهم صغاراً وكباراً لا فرق بينه وبينهم إلا أن الله – عز وجل – خص عيسى بالكلام في المهد آية لنبوته ﴿ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ . وصرح القرآن هنا في قوله : ﴿ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ﴾ ولم يقل (يفعل) كما في قصة زكريا، بل نص هنا على أنه يخلق؛ لئلاً يبقى لمبطل شبهة، وأكد ذلك بقوله : ﴿ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ أي فلا يتأخر شيئًا بل يوجد عقيب الأمر بلا مهلة[٢] لقوله : ﴿ وَمَا أَمْرُنَا إِلاَّ وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴾[٣] .

ثم أثبت القرآن أن عيسى – عليه السلام – اصطفاه الله رسولاً إلى بني إسرائيل

---

(١) آل عمران : ٤٥ – ٥١ .
(٢) انظر : مختصر تفسير ابن كثير، جـ١ ص٢٨٣
(٣) القمر : ٥٠ .

وأيده الله عز وجل بالمعجزات - كما أيد غيره من الأنبياء والرسل - كإحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، والإخبار ببعض المغيبات. وقول القرآن: ﴿ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ بعد بيان كل معجزة، تأكيد منه أن الخلق بإذن الله ودفع للشك، فالخالق هو الله تعالى، ولكن أجرى - سبحانه - الخلق على يد عيسى - عليه السلام - تأييداً له.

وفي قول القرآن على لسان المسيح: ﴿ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ إظهار للخضوع والاعتراف بالعبودية حتى لا يتقول عليه أحد بالباطل ويقول: إنه إله أو ابن إله، فإقراره بالعبودية يمنع زعمهم فيه.

(د) إخبار القرآن لهم أن هذا الذي يُقَصُّ عليهم هو الحق الفاصل في أمر عيسى - عليه السلام -، وأن مثله كمثل آدم خلقه الله من تراب؛ حيث قال الله تعالى: ﴿ ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ (٥٨) إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٥٩) الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾(١) فيخبر القرآن أن ما قصه في أمر عيسى هو الحق الفاصل الذي لا يخالطه الباطل، ولا يُقْبَل خبر غير خبر القرآن في هذا الشأن.

ثم يبطل القرآن زعم النصارى في القول بألوهية المسيح لأجل معجزة خلقه من عذراء فقال: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ... ﴾ وهذا المثل في قوله: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ﴾ واضح فيه حذف إحدى المقدمات، وواضح فيه - أيضًا - المقايسة بين خلق آدم - عليه السلام - وخلق عيسى، وأنه إذا كان الخلق من غير أب، مبرراً لاتخاذ عيسى إلهًا فأولى أن يكون الخلق من غير أب ولا أم مبرراً لاتخاذ آدم إلهًا، ولا أحد يقول ذلك. وإننا نجد أنه قد حذفت مقدمة، وبقية واحدة، وكأن سياق الدليل لو في غير كلام الله تعالى يكون هكذا: إن آدم خلق من غير أب ولا أم، وعيسى خلق من غير أب، فلو كان عيسى إلهًا بسبب ذلك لكان آدم أولى، لكن آدم ليس ابنًا ولا إلهًا باعترافكم،

(١) آل عمران: ٥٨، ٥٩، ٦٠.

فعيسى - أيضًا - ليس ابنًا ولا إلهًا[١] .

(هـ) استخدام القرآن الكريم أسلوب التحدي عن طريق دعوتهم إلى المباهلة :

قال الله تعالى : ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ (٦١) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[٢] .

تكشف الآيات عن عناد وفد نصارى نجران بعد وضوح الحق واستبانته، ووجود الدلائل الواضحة على بشرية المسيح - عليه السلام - فأمر الله رسوله بقوله: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ أي فمن جادلك في أمر عيسى بعد وضوح الحق، ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا﴾ دعوة لهم لإظهار الحق ﴿نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾ وخص الأبناء والأزواج والأنفس بالذكر؛ لأنهم أعز شيء على الإنسان وأقربهم إليه ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ﴾ المباهلة : هي مفاعلة من الابتهال والضراعة إلى الله بحرارة واجتهاد من أجل أن نجعل ﴿لَّعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ فأبى المدعوون وهم النصارى أن يستجيبوا لها وخافوا ولاذوا بالفرار... ورد أنه - عليه الصلاة والسلام - دعاهم إلى المباهلة، قالوا : حتى ننظر، فقال أحد كبرائهم : والله ما باهل قوم نبيًّا قط فعاش كبيرهم ونبت صغيرهم. ولئن فعلتم لتهلكن[٣] فودعوه وانصرفوا إلى بلادهم.

فاستخدام القرآن لهذا الأسلوب كان قمة في إحقاق الحق وإزهاق الباطل.

---

(١) انظر : محمد أبو زهرة : المعجزة الكبرى. القرآن، ص ٣٧٤.

(٢) آل عمران : ٦١، ٦٢.

(٣) انظر : محمد عبدالعظيم الزرقاني : مناهل العرفان في علوم القرآن (ط إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان) جـ٢ ص٤٠٠.

ورفضهم للمباهلة كان اعترافًا منهم ببشرية المسيح وعبوديته لله تعالى، وأن الذي جاء به القرآن لهو القصص الحق، فلا خضوع إلا لله الواحد الأحد.

٣- دعوتهم إلى عدم الغلو في الدين وقولهم بألوهية المسيح وبنوته لله تعالى:

قال الله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً (١٧١) لَن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا (١٧٢) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا﴾(١).

ومن الملاحظ في الآيات أنها قد استخدمت أكثر من أسلوب في نهي النصارى عن قولهم بألوهية المسيح، فقد ظهر أسلوب الحجاج والنهي والتنديد والإنذار والترهيب والترغيب، وسياق الآيات يلهم أن الرسول قد تلاها عليهم في موقف مواجهة.

ففي قوله: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ هنا اللفظ للعموم ويراد منه الخصوص، وهم «النصارى» بدليل قوله بعده ﴿وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ﴾(٢) وخطابهم بيا أهل الكتاب جذب لانتباههم وتذكير لهم بالكتاب الذي بين أيديهم وهو «الإنجيل» فإنه لم ينص على شيء مما ادعوه وافتروه.

---

(١) النساء: ١٧١ - ١٧٣.

(٢) انظر: محمد على الصابوني: صفوة التفاسير جـ٢ ص٣٢٣.

﴿لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ﴾ نهي لهم عن الغلو في الدين، وهو مجاوزة الحد، ووصف الله تعالى بصفات هو منزه عنها، فإنه - سبحانه - لم يتخذ صاحبة ولا ولداً.

﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ﴾ «فيه قصر هو من نوع قصر موصوف على صفة»(١)، فحقيقة المسيح هي أنه رسول من رسل الله تعالى دعا إلى توحيده وطاعته.

﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ خلق عيسى كان معجزة ربانية قال له الله: كن فكان، من غير واسطة أب ولا نطفة، «وروح صدر منه من غير توسط»(٢).

﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ﴾ دعوة لهم إلى الإيمان بالله تعالى إيماناً خالصاً والإيمان برسله على حقيقتهم، ودعوة لهم إلى الإقلاع عن القول بالتثليث؛ إذ هذا القول هو عين الشرك بالله تعالى. و﴿انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ﴾ تأكيد لوحدانية الله تعالى وتنزيهه - سبحانه - عن الولد والصاحبة، فالله تعالى ليس أجزاءً ثلاثة كما تزعمون، ولا مركب ولا متحد.

﴿لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾ هو المالك والخالق لكل ما في السماوات وما في الأرض، فالكل تحت تصرفه وحده، فالله هو المالك لعيسى ولمريم ولكل ما في السماوات وما في الأرض.

﴿لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ﴾ الاستنكاف: الامتناع عن الشيء والنفور منه، فلن يمتنع المسيح أن يكون عبداً لله، فيا من تدعونه إلهاً تنبهوا لذلك. ﴿وَلا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ وذكر الملائكة أيضاً؛ لأنهم اتخذوا آلهة كما اتخذ المسيح.

---

(١) محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير جـ٢ ص١٣٢.

(٢) محمد فريد وجدي: المصحف المفسر (مطابع الشعب، ١٣٧٧م) جـ٢ ص١٣٢.

ورد في سبب نزول الآية - السابقة - أن وفد نصارى نجران قالوا : يا محمد تعيب صاحبنا ؟ قال : **ومن صاحبكم** ؟ قالوا : عيسى، قال : **وأي شيء أقول فيه؟** قالوا : تقول إنه عبد الله ورسوله، فقال لهم : **إنه ليس بعار لعيسى أن يكون عبداً لله**، قالوا : بلى، فنزلت ﴿ **لَن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ** .. ﴾(١) .

﴿ **وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا** ﴾ تحذير لهم من الإعراض والاستكبار عن عبادة الله تعالى وحده، فالله سوف يبعثهم ويحشرهم ويجازيهم على أقوالهم وأعمالهم.

﴿ **فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ** ﴾ هذا ترغيب لهم في الإيمان والإخلاص في العبادة وترك الشرك والضلال.

﴿ **وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا** ﴾ ترهيب لمن استكبر وأنف عن عبادة الله تعالى بالعذاب الموجع الشديد، وليس لهم ولي ولا نصير من عذاب الله تعالى.

فلا شك أن الأساليب التي استخدمها القرآن - في هذا الموضع - ترشد إلى الحق وتهدي إلى الصراط المستقيم، فهلا للنصارى من استجابة للحق والصواب.

٤- دعوة القرآن النصارى إلى ترك القول : بالاتحاد، وإقامة الأدلة على بطلانه :

زعم كثير من النصارى(٢) أن المسيح صيره الاتحاد (أي الاتحاد باللاهوت) طبيعة واحدة، وأقنوماً واحداً، فهو عندهم بعد الاتحاد إله كله، وإنسان كله. وله طبيعة واحدة يفعل بها ما يشبه فعل الإله وما يشبه فعل الإنسان، وهو أقنوم

---

(١) انظر : الواحدي النيسابوري : أسباب النزول ص٨٦.

(٢) هذا هو مذهب اليعقوبية، وتنسب إلى يعقوب البرذعاني، وكان راهبًا بالقسطنطينية. انظر: الإمام الشهرستاني : الملل والنحل جـ٢ ص٢٥٣ .

واحد(١) فهم يعنون بذلك أن المسيح بعد الاتحاد صار هو الله.

فرد القرآن الكريم عليهم هذا الزعم الباطل ودعاهم إلى تركه، وذلك من خلال آيات سورة المائدة :

(أ) قال الله تعالى : ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(٢) .

(ب) وقوله – سبحانه – : ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾(٣) .

(جـ) وقال تعالى : ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾(٤).

(د) وقال تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ

(١) انظر : عبدالرحمن باجي زادة : الفارق بين المخلوق والخالق، تحقيق د/أحمد حجازي السقا، (شركة الأمل للطباعة والنشر، القاهرة ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م) ص٤٥٩.

(٢) المائدة : ١٧.

(٣) المائدة : ٧٢.

(٤) المائدة : ٧٥-٧٧.

الْغُيُوبِ (١١٦) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١١٧) إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾(١).

من خلال الآيات السابقة استخدم القرآن أساليب متنوعة في دعوة النصارى إلى ترك القول بالاتحاد: ففي الآية الأولى: قوله: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ حكم قاطع على أصحاب هذا القول بالكفر، مؤكدٌ بالقسم الذي دخلت اللام على جوابه وبـ﴿ قَدْ ﴾ ... والمقام يقتضي هذا التأكيد لحسم الأمر، ورفع كل التباس، وإغلاق الباب أمام كل تأويل(٢).

﴿ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ تبكيت وتوبيخ وإنكار، فـ«مَنْ» في قوله: ﴿ فَمَن يَمْلِكُ ﴾ استفهامية للإنكار والتوبيخ، والملك في قوله: ﴿ يَمْلِكُ ﴾ الضبط والحفظ التام، والمراد به هنا فمن يمنع أو يستطيع ﴿ مِنَ اللَّهِ ﴾، أو إن كان كما تزعمون فمن يمنع من قدرته تعالى وإرادته شيئًا ﴿ إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ... ﴾ والمراد بالإهلاك الإماتة والإعدام مطلقًا لا عن سخط وغضب، وإظهار المسيح على الوجه الذي نسبوا إليه الألوهية حيث ذكرت معه الصفة في مقام الإضمار لزيادة التقرير والتنصيص على أنه من تلك الحيثية بعينها داخل تحت قهره تعالى وملكوته – سبحانه – وتخصيص الأم بالذكر مع اندراجها في عموم المعطوف لزيادة تأكيد عجز المسيح(٣) فكيف بعد ذلك يزعمون أنه إله. إذ لو كان إلهًا لدفع عن نفسه الموت.

﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ

(١) المائدة: ١١٦، ١١٨.

(٢) انظر: د/عبدالغني بركة: أسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ومنهاجًا ص١٥٨، ١٥٩.

(٣) انظر: الإمام الألوسي: روح المعاني جـ٦ ص٩٩.

قَدِيرٌ﴾ فكل الموجودات ملكه وتحت تصرفه له الهيمنة والسلطان، والمسيح وأمه من بين هذه الموجودات، «فهما محدودان محصوران، وما أحاط به الحد والنهاية لا يصلح للإلهية، وقال : ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ ولم يقل : «وما بينهن»؛ لأنه أراد الصنفين والنوعين»(١) .

﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ تارة يخلق الإنسان من غير أب ولا أم كما في خلق آدم، وتارة يخلق من أم دون أب كما في خلق عيسى، وتارة من أب وأم كما هو المعتاد في خلق باقي الناس فهو قادر على خلق كل شيء. فسبحانه عما يشركون.

وفي الآية الثانية : قوله : ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ الجملة حال من الضمير في – قالوا – تسجل عليهم أنهم في قولهم هذا مخالفون لما دعاهم إليه المسيح عليه السلام، وأنه تحريف منهم. وأن المسيحية كغيرها من الرسالات قائمة على التوحيد الخالص... ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾ ترهيب وبيان مصير من لا يستجيب لدعوة التوحيد، ويأتي النظم القرآني ليسوق القضية في صورة قانون عام لا استثناء فيه : ﴿مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾ ثم يضيف إلى الحرمان من النعيم الابتلاء بالعذاب ﴿وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾ والتعبير بالظاهر بدل الضمير في قوله : ﴿مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾ تربية للمهابة وتهويل للأمر وحث لهم على الامتثال والطاعة، ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ هذا تذييل مقرر لما قبله، وقطع لكل أمل كاذب في الإفلات من عذاب الله وانتقامه. فليس هناك من يدفعه عنهم أو ينصرهم بإنقاذهم منه لا بطريق المغالبة ولا بالشفاعة، يدل على ذلك وقوع النكرة في سياق النفي ﴿أَنصَارٍ﴾ وزيادة «من» للتأكيد... وهذا التذييل إما من كلام عيسى – عليه السلام – أو من جهته تعالى؛ تأكيداً لقول عيسى لهم وتقريراً

---

(١) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن (ط دار الغد العربي) جـ٣ ص٢٢١٧ .

له[١] ، وبيان القرآن لدعوة المسيح إلى التوحيد أسلوب جازم يشير إلى أن الأنبياء – عليهم السلام – ليس لحظ النفس عندهم مكان وأن الحق هو هدفهم.

وفي قوله تعالى : ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ نفي لما أضافته النصارى للمسيح، فهو يواجههم بالأساليب المنطقية الواقعية علهم يرجعون عن كفرهم. فيثبت القرآن الكريم أشرف ما امتاز به عيسى – عليه السلام– وهو أنه رسول من عند الله. مقصور على الرسالة لا يتعداها إلى غيرها .

﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ صفة لرسول تُظهر اتصافه بما ينافي الألوهية، فهو كغيره من الأنبياء الذين خلوا ومضوا، ومُضيه هو – أيضًا – يثبت استحالة أن يكون إلهًا. ﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾ مبالغة في الصدق والتصديق، وإنما وقع عليها صديقة لأنه أرسل إليها جبريل، فقال عز وجل : ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾[٢] أي طائعة لأمر ربها ، وهذا هو أعلى مقاماتها، فدل على أنها لم تصل لدرجة الألوهية. ﴿كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ﴾ وأكل الطعام حقيقة واقعة في حياة المسيح وأمه لا يستطيع أحد من النصارى أن ينكرها، وهو من خصائص الأحياء الحادثين، ودليل على بشرية المسيح وأمه، «وتأمل الكناية في قوله : ﴿كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ﴾ ومن كان كذلك كان عبداً تجري عليه نواميس العبيد، فمن الخطأ اتخاذه إلهًا؛ لأن الإله غني وعيسى وأمه محتاجان إلى الطعام والشراب، ولا تجتمع ألوهية واحتياج»[٣] والمسيح – عليه السلام – كمن سبقه من الرسل ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الأَسْوَاقِ﴾[٤]، وبهذا الدليل الملموس أجهز القرآن على كل ما يدعونه وأبطله.

---

(١) انظر: د/عبدالغني بركة : أسلوب الدعوة القرآنية، ص ١٥٩ .

(٢) التحريم: ١٢ .وانظر: الزجاج : معاني القرآن وإعرابه، جـ٢ ص١٩٦ .

(٣) انظر: محمد أحمد العدوي : دعوة الرسل إلى الله (مرجع سابق) ص٣٤٥ .

(٤) الفرقان : ٢٠ .

﴿انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ إنه تعجب من حال هؤلاء الذين لا يكفون عن ادعائهم ألوهية المسيح ... وتكرير الأمر بالنظر للمبالغة في التعجب، و« ثم » هنا مستعملة في التفاوت بين العجبين وما بينهما من البعد.. يعني أنه بين لهم الآيات بيانًا عجيبًا وأن إعراضهم عنها أعجب منه(١) .

ثم يستمر القرآن في محاورتهم : ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا﴾ الاستفهام هنا للإنكار والتوبيخ، والمراد بـ« ما » في قوله : ﴿مَا لا يَمْلِكُ﴾ عيسى – عليه السلام – والتعبير بـ« ما » فيه إدراج عيسى – عليه السلام – في سلك الأشياء التي لا قدرة لها على شيء أصلاً، مبالغة في نفي الألوهية عنه. وقدم الضر على النفع في قوله : ﴿ضَرًّا وَلا نَفْعًا﴾ لأن التحرز عن الضر أهم من تحري النفع. وقوله : ﴿وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ تأكيد للإنكار والتوبيخ، فالمستحق بالعبادة والتقديس هو الله العليم بكل شيء الذي يملك الضر والنفع.

ثم ينهاهم القرآن عن هذا الغلو، ويذكرهم بكتابهم – في ندائه عليهم – بأنه نهاهم عما قد نهاهم عنه القرآن، ودعاهم إلى ترك ما وضعه من سبقوهم من تحريف للحق واتباع للأهواء ضالين عن جادة الصواب، عبر القرآن عن ذلك بقوله : ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾.

ويستمر القرآن في إقامة الأدلة الناصعة التي تبطل زعم النصارى وتدعوهم إلى ترك الضلال والشرك، حيث يقول سبحانه : ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ فيه أسلوب « تهديد للنصارى وتوبيخ وتقريع على رءوس الأشهاد »(٢) ﴿قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ

---

(١) انظر : د/عبدالغني بركة أسلوب الدعوة القرآنية ص ١٦٢، وتفسير الكشاف جـ١ ص٦٣٥.

(٢) مختصر تفسير ابن كثير جـ١ ص٥٦٤.

أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ .. ﴾ بدأ بقوله : ﴿ سُبْحَانَكَ ﴾ تنزيهًا لله تعالى عما أضيف إليه من الشرك، وخضوعًا لعزته تعالى. ﴿ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ هذا اعتزاز في أدب وخضوع وذلة وبراءة مما نسبه النصارى إليه.

﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ ﴾ «وضع القول موضع الأمر نزولاً على موجب الأدب الحسن؛ لئلا يجعل نفسه وربه آمرين معًا؛ لأنه كان الأصل (في غير القرآن) أن يقال : ما أمرتهم إلا بما أمرتني به»(١) .

﴿ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ﴾ تأكيد لبيان ما دعاهم إليه المسيح وهو عبادة الله وحده لا شريك له. وقد تبرأ – عليه السلام – من النصارى الذين نسبوا لله تعالى الولد ورد جزاء أقوالهم وأعمالهم إلى مشيئة الله عز وجل ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾.

٥- وقد أثبت المسيح عبوديته لله تعالى، فهو ليس إلهًا ولا ابن إله ولا ثالث ثلاثة، إنما هو عبد أنعم الله تعالى عليه وجعله هدى لبني إسرائيل، وهذا ما قصه القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (٣٢) وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (٣٣) ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (٣٤) مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٣٥) وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾(٢) وقوله تعالى : ﴿ إِنْ هُوَ إِلاَّ عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾(٣) .

---

(١) الفخر الرازي : مفاتيح الغيب جـ٦ ص٢٠٠ مرجع سابق.

(٢) مريم : ٣٠-٣٦.

(٣) الزخرف : ٥٩.

وهناك آيات أخرى كثيرة أوردها القرآن تنفي نسبة الولد إلى الله تعالى، منها: قوله عز وجل: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ (١١٦) بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾(١).

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٨٩) تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (٩٠) أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا (٩١) وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا (٩٢) إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا (٩٣) لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (٩٤) وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾(٢).

وقوله – سبحانه –: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾(٣).

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤)﴾(٤).

وهكذا يسوق القرآن الكريم الأدلة المقنعة التي تلمس الوجدان وتوقظ المشاعر وتنبه الأذهان، فتارة ينكر عليهم، وتارة يتعجب منهم، وتارة يرهبهم، وتارة يرغبهم، وتارة يقرعهم، والهدف كشف كل الشبه الباطلة ومحوها من العقول والقلوب. وهكذا هدف القرآن في كل أساليبه ومسالكه.

ثالثًا: عقيدة الصلب والفداء وإبطال القرآن لها:

يجدر بنا – قبل التعرف على أسلوب القرآن الكريم في دعوتهم إلى ترك

(١) البقرة: ١١٦، ١١٧.

(٢) مريم: ٨٨-٩٥.

(٣) المؤمنون: ٩١.

(٤) سورة الإخلاص.

تلك العقيدة – أن نشير إلى معتقد النصارى فيها :

أ – الصلب والفداء في فكر النصارى :

يعتقد النصارى أن آدم – عليه السلام – لما أكل من الشجرة التي نهاه الله عن الأكل منها صار هو وجميع ذريته خطاة، ولما كان الله تعالى متصفًا بالعدل والرحمة اهتدى – بعد مئات السنين – بأن يحل ابنه الذي هو هو نفسه في بطن امرأة من ذرية آدم، ويتحد بجنين في رحمها، ويولد منها، فيكون ولدها إنسانًا كاملاً من حيث هو ابنها، وإلهًا كاملاً من حيث هو ابن الله، وابن الله هو الله ثم يعيش زمنًا مع الناس، ثم يسخر أعداءه لقتله أفظع قتلة هي قتلة الصلب التي لعن صاحبها في الكتاب، فيحتمل اللعن والصلب لأجل فداء البشر وخلاصهم من خطاياهم(١) .

وإن كان الأمر كذلك عندهم فالقاتل هو القتيل : وذاك سر ما قاله علماء الفرنجة : (خلاصة المسيحية هو أن الله قتل الله لإرضاء الله)(٢) .

فواضح مدى الانحراف الخطير في الإيمان بالله تعالى وتوحيده، وما تنطوي عليه هذه العقيدة من تعقيد وصعوبة يصعب معهما فهمها عقليًا، فضلاً عن كونها مخالفة للمنطق السليم.

فعقيدة الصلب والفداء باطلة؛ حيث لا يستسيغها عقل، ولا يؤيدها نقل. إنما هي تقليد لمن سبقوهم من أهل الكفر والضلال.

ب – دعوة القرآن النصارى إلى ترك هذه العقيدة لبطلانها :

كشف القرآن الكريم عن هذا الادعاء ورد عليه، حيث قال الله تعالى : ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾(٣) .

---

(١) راجع : محمد رشيد رضا : عقيدة الصلب والفداء، (الفتح للإعلام العربي، القاهرة ١٤١١هـ-١٩٩١م) ص١٦.

(٢) انظر : جبران خليل جبران : النبي، . من روائع جبران، ترجمة : ثروت عكاشة (القاهرة، دار المعارف، ط الرابعة) ص٥٥، والشيخ محمد الغزالي : الجانب العاطفي من الإسلام (ط ونشر دار الدعوة، الإسكندرية، ط الأولى، ١٤١٤هـ-١٩٩٠م) ص٣٩.

(٣) النساء : ١٥٧، ١٥٨.

وفي قوله : ﴿إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ﴾ هذا استهزاء وتهكم من الذين زعموا قتل المسيح وهم اليهود - باعترافهم هذا - وإن لم يفعلوا - فإنهم سوف يحاسبون يوم القيامة على هذا الجرم الكبير؛ لأن اعترافهم يدل على كفر عظيم منهم.

﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ نفي لما زعموه من قتل المسيح وصلبه، وإنما نفى القرآن الكريم حادثة الصلب هذا النفي اليقيني المؤكد الذي لا شك فيه.. ليقرر خيبة أمل اليهود، فلهم الجزاء الرادع من الله تعالى يوم القيامة.

﴿وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ تأكيد لنجاة المسيح - عليه السلام - من عملية الصلب والقتل، ، معنى ﴿شُبِّهَ لَهُمْ﴾ رأوه شبه المسيح فظنوه هو. وهذا ما قرره إنجيل برنابا حيث نص على أن شبهه ألقي على يهوذا الاسخريوطي - أحد تلاميذ المسيح - والذي دل الجنود على المسيح ليأخذوه ويقتلوه[١] فكان جزاؤه كما كان.

﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ﴾ يكشف القرآن عن الحقيقة الناصعة وهي أنهم غير متيقنين أن المطلوب هو المسيح، فالمختلفون في أمره، بعضهم يقول : إنه هو، وبعضهم يقول : إنه غيره، وليس لأحدهم علم يقيني، وإنما يتبعون الظن ﴿إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ﴾ استثناء منقطع ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ «أي وما قتلوا عيسى ابن مريم قتلاً يقينًا أو متيقنين أنه هو بعينه، لأنهم لم يكونوا يعرفونه حق المعرفة»[٢] وفي هذا كله رد واضح على زعم النصارى صلب المسيح، ودعوة لهم إلى ترك تلك العقيدة الفاسدة.

﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ هذا يؤكد تأكيداً قاطعًا نجاة المسيح من عملية الصلب وأنه لم يصبه شيء بل رفعه الله إليه، والمشهور بين المفسرين أن الله رفعه بروحه وجسده[٣] فالله - سبحانه - العزيز الذي لا يغلب أنقذ عبده عيسى من الحاقدين الماكرين.

---

(١) انظر : إنجيل برنابا (ترجمة د/خليل سعادة «دار الفتح للإعلام العربي، القاهرة) الفصل الخامس عشر بعد المائتين، والسادس عشر بعد المائتين) ص٢٢٧.

(٢) محمد رشيد رضا : عقيدة الصلب والفداء، ص٨.

(٣) انظر : الإمام القرطبي : الجامع لأحكام القرآن جـ٢ ص١٤٤٩.

ويرشد القــرآن الكـريم إلى أنه ما من أحد من أهل الكتاب إلا وينكشف له -عند موته - الحق في أمر عيسى فيؤمن به إيمانًا صحيحًا، «فاليهودي يعلم أنه رسول صادق غير دعي ولا كذب، والنصراني يعلم أنه عبدالله ورسوله، فلا هو إله ولا ابن الله»(١) قال الله تعالى : ﴿ **وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً** ﴾(٢) .

وبذلك فإن الآيات الكريمات قد نفت عن المسيح - عليه السلام - عملية القتل والصلب وأكدت نجاته، وأبطلت دعوى النصارى : صلب المسيح فداءً عن البشرية؛ لأن الذي وقع عليه القتل والصلب شخص آخر غير المسيح، وقد اختلفوا هم أنفسهم في ذلك، وكان مصدرهم الشك واتباع الظن. فهل يستجيب النصارى لنداء الحق ويطرحوا تلك العقائد الفاسدة من عقولهم ؟.

---

(١) محمد رشيد رضا : عقيدة الصلب والفداء ص١١.

(٢) النساء : ١٥٩.

الباب الثاني

دعوة القرآن الكريم أهل الكتاب إلى الإيمان بالرسل عليهم السلام

الباب الثاني
دعوة القرآن الكريم أهل الكتاب إلى الإيمان بالرسل عليهم السلام

من كمال دعوة القرآن الكريم أنه طالب الناس جميعًا بأن يؤمنوا بجميع الأنبياء والرسل عليهم السلام – دون تفريق بينهم –، حيث يقرر أنه لا يعد أي واحد مؤمنًا إلا إذا آمن بالرسل جميعًا دون استثناء، وفي ذلك حجة على أهل الكتاب؛ لأنهم يكذبون بنبوة بعض الأنبياء، وخاصة نبوة محمد ﷺ ، ويثيرون حولها بعض الشبهات زاعمين أن رسالته للعرب خاصة، وليست للناس كافة.

فالملاحظ أن الموقفين يختلفان تمام الاختلاف، فالإسلام «ليس بالدين ذي الأنانية الذي يعادي أربابه كل من سواهم، ولا يعتقدون إلا في رسولهم الخاص، ويرمون من عداهم بالكذب والبهتان... فكان دين الإسلام جامعًا للناس على الرسل غير مفرق بينهم قائلاً : ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾(١)»(٢). وقوله : ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾(٣).

---

(١) البقرة : ١٣٦.

(٢) حسن كامل الملطاوي : محمد رسول الله في القرآن (ط دار المعارف) ص٣٧.

(٣) البقرة : ٢٨٥.

وسيتناول البحث في هذا الباب فصلين :

الفصل الأول : دعوة القرآن الكريم أهل الكتاب إلى الإيمان بالرسل السابقين على محمد ﷺ .

الفصل الثاني : دعوة القرآن الكريم أهل الكتاب إلى الإيمان بخاتم الرسل محمد ﷺ .

الفصل الأول
دعـوة القرآن أهـل الكتـاب إلى الإيمـان بالرسـل السـابقين على محمد ﷺ

استخدم القرآن الكريم عدة أساليب في دعوته أهل الكتاب إلى الإيمان بالرسل السابقين – عليهم السلام – وأهم هذه الأساليب ما يلي :

أولاً : محاولة تصحيح اعتقاداتهم الباطلة ورد افتراءاتهم على هؤلاء الرسل :

من المعلوم أن كتب أهل الكتاب – وخاصة التوراة – قد ورد فيها ما يشين أنبياء الله ويصمهم بأعظم القبائح التي تتنافى مع عصمتهم بوصفهم أنبياء ورسلاً لله عز وجل، يتضح ذلك من خلال بعض الأمثلة نسوقها فيما يلي :

١– تصور التوراة نبي الله نوح على أنه رجل خمر وسكر، تقول التوراة : « وابتدأ نوح يكون فلاحًا، وغرس كرمًا، وشرب منه الخمر فسكر، وتعرى داخل خبائه، فأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه، وأخبر أخويه خارجًا، فأخذ سام ويافث الرداء ووضعاه على أكتافهما، ومشيا إلى الوراء، وسترا عورة أبيهما، ووجهاهما إلى الوراء، فلم يبصرا عورة أبيهما »(١) .

٢– وتصور التوراة إبراهيم على أنه أناني، غايته أن يعيش ولو على حساب كرامته وعرضه، فقد فرط في زوجته خوفًا على حياته.

فتقول التوراة : « وحدث جوع في الأرض فانحدر إبرام (إبراهيم) إلى مصر

(١) انظر : سفر التكوين ٩ : ٢٠–٢٤.

ليتغرب هناك . . . وحدث لما قرب أن يدخل مصر أنه قال لساراي امرأته : إني قد علمت أنك حسنة المنظر فيكون إذا رآك المصريون أنهم يقولون : هذه امرأته فيقتلونني ويستبقونك . قولي : إنك أختي ليكون لي خير بسببك وتحيا نفسي من أجلك . . فأخذت المرأة إلى بيت فرعون فصنع إلى إبرام خيراً بسببها، وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد وإماء وأتن وجمال، فأوصى عليه فرعون رجالاً فشيعوه »[١].

وهكذا ينسب كتاب أهل الكتاب المحرف إلى أبي الأنبياء، وخليل الرحمن -عليه السلام - الاتجار بالعرض والشرف، وحاشا وكلا أن يحدث ذلك من نبي من أنبياء الله، فضلاً عن أن يحدث من إبراهيم الخليل عليه السلام .

٣- وقد اتهم الكتاب المقدس لوطًا عليه السلام، بارتكاب الفاحشة مع ابنتيه، وذلك بعد هلاك قومه وصعوده مع ابنتيه إلى جبل مرتفع . يقول سفر التكوين : « وقالت البكر للصغيرة : أبونا قد شاخ وليس في الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض . هلم بنا نسقي أبانا خمراً ونضطجع معه فنحيي من أبينا نسلاً، فسقتا أباهما خمراً في تلك الليلة، ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها، وحدث في الغد أن البكر قالت للصغيرة : إني قد اضطجعت البارحة مع أبي، هلم نسقيه خمراً في تلك الليلة أيضاً »[٢] تقول التوراة بأن الصغيرة فعلت كما فعلت الكبيرة في الليلة التالية .

فيا للعجب ! أيكون هذا كلامًا مقدسًا موحى به، ينسب فيه إلى نبي من أنبياء الله تعالى فعل كبيرة من الكبائر ؟ ومع من ؟ مع المحرمات، مع ابنتيه، فهذه - والله - أوهام وضلالات أنتجتها عقول البشر الخرفة .

٤- وتنسب التوراة إلى داود عليه السلام عملاً مشينًا تقشعر منه الأبدان؛

---

(١) سفر التكوين ١٢ : ١٠-٢٠ .

(٢) الإصحاح ١٩ : ٣٠-٣٧ .

وهو الزنا بامرأة قائد جيشه الضابط أوريا الحثي، والعمل بكل وسيلة محاولاً قتله.

تقول التوراة: «وكان في وقت المساء أن داود قام من سريره وتمشى على سطح بيت الملك، فرأى من على السطح امرأة تستحم، وكانت جميلة المنظر جداً، فأرسل داود وسأل عنها، فقال واحد: هي .. امرأة أوريا الحثي، فأرسل داود رسلاً، وأخذها، فدخلت إليه فاضطجع معها.. وفي الصباح كتب داود مكتوباً يقول فيه: اجعلوا أوريا في وجه الحرب الشديدة وارجعوا من ورائه فيضرب ويموت»(١) فالتوراة تبين أن داود: زانٍ وغاصب ومخادع؛ حيث زنى بامرأة قائد جيشه واغتصب زوجته، ثم استخدم الخديعة في التخلص منه، وهذا لا يليق بإنسان عادي فضلاً عن نبي، بل إن التوراة تقول: إن هذه المرأة حملت وولدت ابناً، هذا الابن هو سليمان – عليه السلام –، فسليمان جاء عن طريق الغدر والتآمر والزنا، وحاشا أن يختار الله نبيًّا من أنبيائه جاء بواسطة الزنا والغدر والخيانة.

٥– ووجهت التوراة لسليمان – عليه السلام – عدة اتهامات كاذبة، أولها: أنه ابن زنا، فقد ذكرت أن داود أنجب ابناً من زوجة أوريا الحثي، وكان الابن هو سليمان. ثانيها: اتهمته بأنه زير نساء «وأحب الملك سليمان نساء غريبة مع بنت فرعون موآبيات وعمونيات وأدوميات وصدونيات وحيثيات»(٢) ثالثها: اتهمته بعبادة الأوثان «فذهب سليمان وراء عشتورت إلهة الصدونيين وملكوم رجس العمونيين. وعمل سليمان الشر في عيني الرب ولم يتبع الرب تماماً كداود أبيه»(٣).

ولا يخفى ما في ذلك من جرأة شديدة على نبي كريم من أنبياء الله.

٦– بل إن أعظم أنبياء أهل الكتاب لم يسلموا من هذه الافتراءات، فالتوراة

(١) سفر صموئيل الثاني ١١: ٢–١٦.
(٢) سفر الملوك الأول ١١: ١.
(٣) سفر الملوك الأول ١١: ٥، ٦.

تنسب إلى هارون أنه صنع لبني إسرائيل عجل الذهب في غياب موسى لتلقي التوراة»[١].

كذلك لم يسلم موسى – عليه السلام – أيضًا من آذاهم في حياته، فقد نسبوا إليه ما قد برأه الله منه، كنسبة العيب الخلقي إليه.

ولم يسلم المسيح – عليه السلام – من التنقيص الذي ألحقه أهل الكتاب بالأنبياء – عليهم السلام –، بل ناله هو الآخر قسطٌ منه وافر.

فقد نسب اليهود – عليهم لعنة الله – إلى أمه فعل الفاحشة. فهم يقولون عنه: إنه زان وابن زنا، أو الفاعل ابن الفاعلة.

بل إن النصارى – مع تعظيمهم له – لم ينسوا أن يلصقوا التهم الشائنة إليه، قال صاحب كتاب (أدلة اليقين): «ومن أغرب أمور الإنجيليين أنهم أوقفوا عيسى في مواقف التهمة الشائنة بجهلهم وهم لا يشعرون، ولقد صدق من قال: عدو عاقل خير من صديق جاهل، وإذا شئت أن تعرف ذلك فاقرأ الباب السابع من إنجيل لوقا[٢]، فإنك تجد فيه أن عيسى أكول، شريب خمر، وأنه وقف من المرأة الزانية موقفًا مخجلاً، لا يصدر عن كرام النفوس فضلاً عن الأنبياء[٣].

وينسب إليه إنجيل يوحنا أن أول معجزة للمسيح هي تحويل الماء إلى خمر أثناء عرس في بلدة اسمها (قانا الجليل)[٤].

وكل هذا إن دل على شيء فإنما يدل على عقول خربة تبالغ في الاستخفاف بالله تعالى ورسله عليهم السلام.

---

(١) انظر: سفر الخروج ٣٢ : ١-٦.

(٢) انظر: إنجيل لوقا ٧ : ٣٣-٤٨.

(٣) انظر: الشيخ عبدالرحمن الجزيري: أدلة اليقين في الرد على كتاب ميزان الحق (مطبعة الإرشاد، القاهرة، ط الأولى، ١٣٥٣هـ-١٩٣٤م) ص ٤٥٦.

(٤) انظر: إنجيل يوحنا، ١٠، ١١.

مكانة الرسل في القرآن الكريم :

وإذا كان أهل الكتاب في كتبهم - التي يزعمون أنها كتب مقدسة - قد ألحقوا بالأنبياء القبائح والرذائل واتهموهم بأبشع التهم التي لا تليق بإنسان سوي فضلاً عن نبي أرسله الله لهداية الناس ودعوتهم إلى الأخلاق الحميدة والفضائل الكريمة، فإن القرآن الكريم - على العكس من ذلك - قد أعطى للأنبياء والرسل حقهم من التكريم والإجلال وأنزلهم منزلتهم، ورفع من قدرهم؛ حيث يقول الله تعالى مخاطبًا نبيه ورسوله محمد ﷺ آمرًا إياه أن يقتدي بالرسل السابقين الذين هداهم الله وأرشدهم : ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾ (١) ، فمن المزايا التي امتاز بها الأنبياء على بقية البشر عصمتهم من اقتراف المعاصي والذنوب، واجتنابهم لكل ما يقلل من شأنهم. فالعصمة في حقهم واجبة، وهذا يدعونا إلى الحديث عن العصمة لبيان أن الرسل لا يحق لأحدٍ مهما كان اتهامهم والجرأة عليهم .

تعريف العصمة :

العصمة في اللغة معناها : المنع، يقال : عصمته عن الطعام، أي منعته عن تناوله، وعصمته عن الكذب، أي منعته منه، ومنه قوله تعالى : ﴿ قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ﴾ (٢) أي يمنعني من الغرق. وقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ﴾ (٣) أي امتنع امتناعًا شديدًا، وسميت العصمة عصمة؛ لأنها تمنع من ارتكاب المعصية.

وأما في الشرع فالعصمة هي حفظ الله لأنبيائه ورسله عن الوقوع في الذنوب والمعاصي وارتكاب المنكرات والمحرمات.. فالعصمة ثابتة للأنبياء، وهي من

---

(١) سورة الأنعام : ٩٠.

(٢) هود :٤٣.

(٣) يوسف : ٣٢.

صفاتهم التي أكرمهم الله بها وميزهم على سائر البشر، فلم تكن لأحد إلا الأنبياء الكرام – عليهم السلام –؛ حيث وهبهم الله هذه النعمة العظمى (١) .

يقول الشيخ محمد رشيد رضا : «إذا كان إرسال الرسل والأنبياء إلى البشر لأجل هدايتهم إلى تزكية نفوسهم بما تصلح به أحوالهم في دنياهم وأخراهم فلا يتحقق هذا الغرض ولا تتحقق هذه الحكمة إلا إذا كان هؤلاء الأنبياء أهلاً لأن يقتدى بهم في أعمالهم وسيرتهم.. ومن ثم قال علماؤنا بوجوب عصمة الأنبياء من المعاصي والزلل... وأهل الكتاب لا يقولون بهذه العصم، وكتبهم المقدسة ترمي كبار الأنبياء بكبائر الفواحش» (٢) .

فالله تعالى جعل الأنبياء هداة ومرشدين ليقتدى بهم، فلو ابتلاهم بالمعاصي التي هي مخالفة للشريعة التي جاءوا بها لما كانوا أهلاً للهداية؛ لأن الله أودع في فطرة البشر أن يقتدوا بالأفعال أكثر من الأقوال، وقد أخبرونا أن الله تعالى أمر بالاقتداء بهم، فلو كانوا يرتكبون مخالفة أمره لكان في أمره بالاقتداء بهم تناقض.. وهو محال (٣) .

وعليه فعندما يدعو القرآن أهل الكتاب وغيرهم إلى الإيمان بالرسل إنما يدعوهم إلى الإيمان بهم تفصيلاً إذا فصل، وإجمالاً إذا أجمل، ثم الإيمان بصدقهم وعصمتهم وفطانتهم وتبليغهم، وكونهم صادقين، يعني أن كلامهم هو الأساس الذي يقاس عليه غيره، وغيرهم إذا خالفهم فهو كاذب، وكونهم فطناء يعني أنهم المثل الأعلى في العقل، وكل خروج عن الاقتداء بهم انحطاط عقلي (٤) .

(١) انظر : محمد علي الصابوني : النبوة والأنبياء (دار الصابوني) ص٤٩، ٥٠.

(٢) محمد رشيد رضا : الوحي المحمدي ص٣٩.

(٣) انظر محمد رشيد رضا : شبهات النصارى وحجج الإسلام (ط الثانية سنة ١٣٦٧هـ) ص٤٦ وفخر الدين الرازي : عصمة الأنبياء، مراجعة : محمد حجازي (مطبعة المدني، القاهرة، ط الأولى، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م) ص٢٤، ٢٥.

(٤) سعيد حوى : الإسلام (مطابع التراث العربي، القاهرة، ١٩٧٧م) جـ١ ص٢٦، وانظر : الشيخ محمد عبده : رسالة التوحيد ص٨٨.

ومن هنا نجد أن القرآن رد اعتبار الأنبياء - عليهم السلام - ووضعهم في مكانهم اللائق بهم الذي غيره أهل الكتاب بتغيير كتبهم، «فقد رد القرآن اعتبار نوح عليه السلام ورسم له الصورة الحقيقية صورة النبي المعصوم.. المتواضع.. الكريم الخلق، فيعلمنا القرآن أن نوحًا كان نبيًا يوحى إليه [١] : ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ﴾ [٢]. ويخبرنا أن نوحًا كان فطنًا كيسًا (لا رجل خمر وسكر) استخدم في دعوته كل لباقة ودبلوماسية تعين على ترويض ذوي الطباع الجامدة والقلوب المتحجرة، قال تعالى : ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ⁽٥⁾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ⁽٦⁾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾ [٣] .

لقد استحق بجهاده الشاق وصبره الجميل ما أسبغ الله عليه من نعم، يقول تعالى : ﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾ [٤] .

هكذا يُرى نوح في القرآن الكريم نبيًا عظيمًا، ورسولاً ذا دعوة واسعة، من أجل ذلك كان إمامًا يقتدي به الأنبياء والرسل، علاوة على من دونهم من الناس، وكان أول أولي العزم من الرسل. الذين قيل في شأنهم لخاتم الرسل : ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [٥]..[٦] .

ونأتي إلى خليل الله إبراهيم عليه السلام، فنجد القرآن يقص علينا خبر التزامه لعبادة ربه وأوامره. وتوجهه إليه بالعبادة صباح مساء ودعوته بنيه من بعده

(١) انظر : د/بدران محمد بدران : التوراة. العقل. العلم. التاريخ (دار الأنصار، القاهرة، ط الأولى، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م) ص٤٩.

(٢) النساء : ١٦٣.

(٣) سورة نوح : ٥-٧٠ .

(٤) الصافات : ٧٥-٨١.

(٥) الأحقاف : ٣٥.

(٦) انظر : أحمد عبدالوهاب : النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام (دار غريب للطباعة، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤٠٠هـ-١٩٧٩م) ص٣٢، ٣٣.

إلى الالتزام بما التزم به من العبادة، ويفيد أن حقيقة الانتماء إلى إبراهيم عليه السلام هو اتباع منهجه في الطريق إلى الله تعالى. وممارسة ما كان يقوم به من عبادة ربه، وما يلتزمه من طهر وتقرب ونقاء (١) .

ومن هنا رد القرآن الكريم مزاعم أهل الكتاب القائلة بأن إبراهيم عليه السلام كان منهم وعلى دينهم، فاليهود يرون أن إبراهيم منهم، وكذلك النصارى يرون ذلك، فجاء القرآن كاشفًا عن وجه الحقيقة، مستخدمًا في حجاجهم أسلوب العقل والمنطق، فقال تعالى : ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإِنجِيلُ إِلاَّ مِنْ بَعْدِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ (٢) فالقرآن يخاطب عقولهم بعرض الحجة الدامغة التي لا يستطيعون ردها أو تكذيبها، فالتوراة والإنجيل وهما كتابا أهل الكتاب الرئيسيان قد أنزلا بعد إبراهيم، فكيف يتبع الإنسان شيئًا أتى من بعده ؟ فالعقل يقول : إن الإنسان يتبع شيئًا ورد عليه وعاصره؛ ولذلك ختم الله عز وجل الآية بقوله : ﴿أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ .

كما يستخدم القرآن أسلوب الاستفهام في إقامة الحجة عليهم حينما يبين لهم أنه إذا كان لهم حق الحجاج فيما لهم به علم، فليس لهم الحق أن يحاجوا فيما ليس لهم به علم، وهذا أمر طبيعي، فالعاقل لا يخوض فيما ليس له به علم، وعن هذا يقول الله تعالى : ﴿هَا أَنتُمْ هَؤُلاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ (٣) .

بل إن القرآن الكريم يعطيهم درسًا آخر في استخدام العقل والمنطق؛ حيث إن أولى الناس بالشخص هم الذين على ملته وعلى طريقته، وعليه، فأولى الناس بإبراهيم الذين اتبعوه واتبعوا ملته، وليس هم كذلك، فإنهم مخالفون لملته عليه

---

(١) انظر : د/صابر طعيمة : بنو إسرائيل بين نبأ القرآن الكريم وخبر العهد القديم، ص١٩ .

(٢) آل عمران : ٦٥ .

(٣) آل عمران : ٦٦ .

السلام، فيقول تعالى : ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٦٧) إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١) .

والقرآن الكريم يقرر أن السفيه هو من يرغب عن ملته : ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾(٢) فهو نبي الله ووليه، ورسوله، وخليله، وكان صديقًا نبيًّا.

وأما لوط عليه السلام فقد كرمه القرآن وفضله الله مع إخوانه على العالمين ﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلاًّ فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ (٣) .

وينبه القرآن الكريم أهل الكتاب إلى أن دعوة لوط عليه السلام هي دعوة إلى الطهر والنقاء والسمو والارتفاع بقومه إلى عن وحل الرذيلة والفجور، وهذا بعكس ما وصمه به أهل الكتاب من ارتكاب الفاحشة مع ابنتيه ومعاقرة الخمر؛ حيث قال الله تعالى : ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ (٨٠) إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾(٤). ومع إجرام قومه فهم يشهدون له بالطهر والنقاء ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾ (٥) . وكان عليه السلام من الصالحين. أنعم الله عليه بالحكمة والعلم : ﴿ وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ ﴾ (٦) .

---

(١) آل عمران : ٦٧، ٦٨.

(٢) البقرة : ١٣٠.

(٣) الأنعام : ٨٦.

(٤) الأعراف : ٨٠ – ٨٤.

(٥) النمل : ٥٦

(٦) الأنبياء : ٧٤، ٧٥.

وأما داود فنجد له في القرآن صورة وضاءة مشرقة، على عكس صورة التوراة الدنسة، قال الله تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ (١) .

وقد جاء في السنة النبوية المطهرة ما يبين عبادة داود، وحب النبي ﷺ لهذه العبادة، فقد روي أن الرسول ﷺ قال : « **أحب الصيام إلى الله صيام داود، وأحب الصلاة إلى الله صلاة داود، كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه، وكان يفطر يومًا ويصوم يومًا** » (٢) .

وكان عليه السلام بطلاً مقدامًا، فقد قتل حالوت الطاغية، وقد آتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ﴿ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ﴾ (٣) .

وقد جاء ذكره عليه السلام في مواضع من القرآن الكريم (٤) فيها التكريم والتبجيل والثناء الحسن من الله تعالى له.

وأما سليمان عليه السلام فإن أهل الكتاب يعترفون بأنه كان عظيم الحكمة؛ ولذلك يسمونه (سليمان الحكيم) ولا يلقبونه بالنبي أصلاً (٥) . وقد أسبغ الله عليه نعمًا عظيمة كانت عنوان مجده وعظمته، منها : أنه ورث من أبيه داود النبوة والملك، وليس المراد ورثه في المال؛ لأنه قد كان له بنون غيره؛ ولأنه قد ثبت في الصحاح من غير وجه « أن ما تركه الأنبياء لا يورث، فهو صدقة » . قال تعالى : ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ

---

(١) سورة ص : ١٧ .

(٢) أخرجه أبو داود في السنن، كتاب الصوم، باب في صوم يوم وفطر يوم (دار إحياء التراث العربي) جـ٢ ص٣٢٧، ٣٢٨، والمنذري : الترغيب والترهيب (دار التراث، القاهرة) جـ٢ ص٨٩ .

(٣) سورة البقرة : ٢٥١ .

(٤) ورد ذكره – عليه السلام – في القرآن ست عشرة مرة (المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، وضعه محمد فؤاد عبدالباقي، دار الحديث، القاهرة) ص ٣٣٥ .

(٥) انظر: محمد علي الصابوني : النبوة والأنبياء ص ٢٨٢ ، ٢٨٣ .

﴿هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ (١) . ومنها : أنه عليه السلام. كان يعرف ما تتخاطب به الطيور بلغاتها ويعبر للناس عن مقاصدها وإرادتها، ومنها : أن الله آتاه الحكمة على حداثة سنه : **﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾** (٢) . وغيرها من النعم التي خصه الله بها دون غيره من الأنبياء عليهم السلام، وذلك غاية العظمة ونهاية الملك والسلطان لملوك الدنيا (٣) .

« وأما ما يروى من حديث الخاتم والسلطان وعبادة الوثن في بيت سليمان عليه السلام فمن أباطيل اليهود » (٤) . ردها القرآن الكريم عن نبي الله سليمان ببيان عظمته وحكمته.

وقد تكفل القرآن أيضًا ببيان براءة هارون عليه السلام من نسبة الشرك إليه، فقرر أن الذي صنع العجل رجل آخر غيره يدعى السامري، وسجل رفضه عليه السلام لهذا الفعل الشنيع، فيقول الله تعالى في سورة طه : **﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي (٩٠) قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾** (٥) .

كذلك برأ القرآن الكريم موسى عليه السلام مما نسبه إليه بنو إسرائيل، ونهى -سبحانه - أمة النبي محمد ﷺ عن الاقتداء بهم في ذلك فقال : **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾**(٦) .

روي في ذلك عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **« كان بنو إسرائيل يغتسلون عراة، ينظر بعضهم إلى سوأة بعض،**

(١) النمل : ١٦.

(٢) الأنبياء : ٧٩.

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية جـ٢ ص١٨ وما بعدها.

(٤) الإمام النسفي : تفسير النسفي جـ٤ ص٤٢ .

(٥) سورة طه : ٩٠، ٩١.

(٦) الأحزاب : ٦٩.

وكان موسى عليه السلام يغتسل وحده، فقالوا : والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلا أنه آدر[١] قال : **فذهب مرة يغتسل، فوضع ثوبه على حجر، ففر الحجر بثوبه، قال : فجمع موسى بأثره، ويقول : ثوبي حجر، ثوبي حجر، حتى نظرت بنو إسرائيل إلى سوأة موسى، فقالوا : والله ما بموسى من بأس، فقام الحجر بعد حتى نظر إليه، قال : فأخذ ثوبه، فطفق بالحجر ضرباً**، قال أبو هريرة : والله إنه بالحجر ندبٌ (أي جرح) ستة أو سبعة ضرب موسى عليه بالحجر »[٢] وقيل : إن إذايتهم له أنهم نسبوا إليه قتل أخيه هارون فبرأه الله من ذلك.

وقد قال القرآن على لسانه – عليه السلام – : ﴿ **وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ** ﴾[٣] .

والآية « جملة في موضع الحال : أي أتؤذونني وأنتم تعلمون أني رسول الله إليكم، وتأمل قوله : ﴿ **وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ** ﴾ وذلك أبلغ في العناد »[٤] .

ويكفي في موسى – عليه السلام – قول القرآن تعطيراً لسيرته : ﴿ **وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا** ﴾[٥] .

« وعليه، فإن مما لا يشك فيه عاقل أن الله العليم الخبير محال أن يتخذ رسولاً رجلاً تزدريه الأعين وتحقره القلوب، وسلط بوهن أخلاقه وحقارة نفسه وصغر همته . . ألسنة الناس عليه بالطعن والازدراء، فكيف يستطيع مثل هذا المهان

---

(١) آدر : أي عظيم الخصيتين، أو نفخة في الخصية.

(٢) أخرجه مسلم (بشرح النووي) في كتاب الفضائل، فضل موسى عليه السلام جـ١٥ ص١٢٦، واللفظ له، والبخاري بشرح ابن حجر العسقلاني (دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان) جـ١ ص٣٨٥.

(٣) الصف : ٥.

(٤) ابن القيم الجوزية : إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، جـ٢ ص٣٣٦.

(٥) مريم : ٥١.

المرذول أن يكون قدوة في مكارم الأخلاق أو يهدي الناس إلى صراط ربهم العزيز الحميد؟» (١).

ففضيلة الأنبياء وعلو قدرهم في عصمتهم وكمال رسالتهم، بحيث لا يساويهم في ذلك بشر آخر.

فمن الواضح أن أسلوب القرآن في حديثه عن الأنبياء أسلوب يتدفق بالحياة، ويفيض بالبشر، وينم عن الحب والإيثار، كأنه حديث حبيب أثير عن أثير حبيب... وكل من رزق الذوق السليم والشعور بالجمال وعاطفة الحب، استلذ بهذا الحديث وتذوق هذا الأسلوب (٢).

وخلاصة القول أن العقيدة التي جاء بها القرآن الكريم عن الأنبياء هي العقيدة الحقة؛ لأنها تتناسب مع مقام الأنبياء العالي ومنزلتهم الرفيعة، أما ما جاء عنهم في أسفار أهل الكتاب فكله كذب وزور وبهتان، ولا نشك لحظة واحدة أن هذه الافتراءات وأمثالها باطلة وأنها من تحريفهم، وأن ما أنزله الله في كتبهم عن الأنبياء حُرف وبُدل، وعقيدتهم فيهم دليل واضح على ذلك.

ثانيًا : تشنيع القرآن الكريم عليهم لتكذيبهم الأنبياء وقتلهم إياهم وغلوهم في بعضهم :

لقد مدح القرآن الكريم الرسل والأنبياء جميعهم عليهم السلام، ودافع عنهم، ونص الشرع أن الله بعثهم هداة للبشرية لأنهم حملة رسالة التوحيد والخير للناس كافة يعملون بكل ما أوتوا من جهد وتأييد على تدمير الشر كل الشر لنجاة البشرية منه. فكان موقف أهل الكتاب وبالأخص اليهود من هذه الرسالات أنهم

---

(١) انظر : فخر الدين الرازي : عصمة الأنبياء، ص٢٤.

(٢) انظر : أبو الحسن الندوي : النبوة والأنبياء في ضوء القرآن (المختار الإسلامي، ط الرابعة، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م) ص١١.

قتلوا الأنبياء وحرفوا التوراة والكتب السماوية والشرائع الإلهية، فهم يريدون الحياة والعقائد ملتوية معوجة؛ لأنهم يمثلون عنصر الشر في الحياة والعقائد السليمة (١).

وقد سجل القرآن الكريم على أهل الكتاب كفرهم بالأنبياء وقتلهم إياهم بغير حق، وذلك في عدد من آياته :

قال الله تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ** ﴾(٢). وفي آية تماثل هذه الآية يقول تعالى : ﴿ **لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلاً كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ (٧٠) وَحَسِبُوا أَلاَّ تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ** ﴾(٣).

وفي الآيات ينكر عليهم القرآن الكريم تكذيبهم وقتلهم لأنبياء الله تعالى ورسله بعد ظهور الدلائل والبينات التي تثبت صدقهم .

فقوله : ﴿ **أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ** ﴾ «المراد إنكار الفعل الواقع الذي تم به الكلام : وهو النبذ والاستكبار، والقول، وما ذكر قبل هذه الأفعال لتتعلق به، أفاد تأكيد الإنكار؛ لأن أقبح نبذ العهد أن يكون بعد عقده، وأقبح الاستكبار أن يكون والرسول الناصح حاضر ماثل»(٤).

وقوله : ﴿ **اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ** ﴾ أي استكبرتم عن الإيمان

(١) انظر : عبدالحميد واكد : نهاية إسرائيل والصهيونية (الدار المصرية) ص٢٠٥، ٢٠٦.

(٢) البقرة : ٨٧.

(٣) المائدة : ٧٠، ٧١.

(٤) عبدالعليم السيد فودة : أساليب الاستفهام في القرآن (ط المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية) ص٢٢.

بالرسل «فوسط بين الفاء وما تعلقت به همزة التوبيخ والتعجيب من شأنهم»(١). ويجوز أن يكون معنى الآية: «ولقد آتيناهم ما آتيناهم ففعلتم ما فعلتم، ثم وبخهم على ذلك»(٢).

وقوله في الآية الثانية: ﴿وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلاً﴾ وذلك ليقفوهم على الأوامر والنواهي، وقوله: ﴿كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ﴾ جملة شرطية، وجواب الشرط محذوف يدل عليه قوله: ﴿فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ لأن التقدير كلما جاءهم رسول من تلك الرسل ناصبوه وخالفوه. وقوله: ﴿فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ كأنه جواب سائل سأل عنهم: كيف فعلوا برسلهم؟ و ﴿يَقْتُلُونَ﴾ حكاية حال ماضية استحضاراً لتلك الحال الشنيعة ليتعجب منها»(٣).

وفي قوله: ﴿وَحَسِبُوا أَلاَّ تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا...﴾ أي حسبوا أن صنيعهم هذا (تكذيبهم للرسل وقتلهم لهم) لا يترتب عليه شيء، ولكنه ترتب فعموا عن الحق، وصموا عنه، ثم تاب عليهم أي مما كانوا فيه، ثم عموا وصموا بعد ذلك. فالله مطلع على أعمالهم، عليم بمن يستحق الهداية ممن يستحق الغواية(٤).

وقوله سبحانه في ذلك: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾(٥).

وفي الآية توبيخ من القرآن لهم وإنكار عليهم، فقد قتلوا الأنبياء مع ادعائهم

(١) تفسير الكشاف، جـ١ ص٢٩٤.

(٢) الإمام الطبرسي: جوامع الجامع في تفسير القرآن المجيد (ط دار الأضواء، بيروت، لبنان، ط الأولى ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م) جـ١ ص٧٥.

(٣) السابق: جـ١ ص٣٩٣.

(٤) انظر: مختصر تفسير ابن كثير: جـ١ ص٥٣٦.

(٥) البقرة: ٩١.

الإيمان بالتوراة في حين أن التوراة – التي يزعمون الإيمان بها – لا تسوغ قتل الأنبياء – عليهم السلام – وتأمرهم بطاعتهم والإيمان بهم.

بل يتوعدهم الله – عز وجل – بالعذاب الأليم، وإحباط الأعمال إن هم كفروا بآيات الله وقتلوا الأنبياء وقتلوا الذين يأمرون بالقسط من الناس؛ حيث يقول -سبحانه – ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٢١) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ** ﴾ (١) .

فهذا ذم لهم على ما ارتكبوه من المآثم والمعاصي.

وقوله في الآية : ﴿ **بِغَيْرِ حَقٍّ** ﴾ «إنما قيد بذلك للإشارة إلى أنه كان بغير حق في اعتقادهم – أيضاً – فهو أبلغ في التشنيع عليهم» (٢) .

وقد أخبر القرآن أن اليهود قتلوا النبيين مع أنهم قتلوا بعض النبيين؛ وذلك لأن فعلهم هذا اعتداء على مقام النبوة واستهانة منهم به، وأن من فعل ذلك مع بعض النبيين فكأنما فعله مع جميع الأنبياء، كما قال الله تعالى : ﴿ **مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا** ﴾ (٣) وقد قتل اليهود من الأنبياء، أشعيا بن آموص، وأرميا، وزكريا، ويحيى، وحزقيال، وزعموا أنهم قتلوا عيسى – عليه السلام – وحاولوا قتل النبي محمد ﷺ .

ومن هنا استحق هؤلاء – جزاء حسدهم وبغيهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق – غضب الله تعالى عليهم، وضرب الذلة عليهم والمسكنة، قال

---

(١) آل عمران : ٢١، ٢٢.

(٢) صديق خان : فتح البيان في مقاصد القرآن جـ٢ ص٣٤.

(٣) المائدة : ٣٢.

تعالى : ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (١) .

وقد أخبر القرآن – أيضًا – أن تطاولهم على الله تعالى وقتلهم الأنبياء في عظم الجرم أخوان فقال – سبحانه – : ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ (٢) .

فقوله : ﴿وَقَتْلَهُمُ الأَنبِيَاءَ﴾ عطف على ﴿مَا قَالُوا﴾ وفيه إعلام أنهما في عظم الجرم وشناعته صنوان، وأن هذا ليس بأول ما ركبوه من العظائم، وأن من قتل الأنبياء لم يستبعد منه الاجتراء على مثل هذا القول. ﴿وَنَقُولُ ذُوقُوا﴾ أي وننتقم منهم بأن نقول لهم يوم القيامة: ﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ (٣) .

ويقول ربنا عز وجل مرهبًا ومخوفًا الذين يحاولون التفريق بين الله ورسله، وأنهم لا دليل دفعهم إلى ذلك إلا التشهي والعادة اقتداءً بآبائهم : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً (١٥٠) أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ (٤) .

وبهذا التفريق صار هؤلاء كافرين حق الكفر، فاستحقوا بذلك العذاب المهين.

قال الإمام الشوكاني : «وينبغي حمل قوله : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ

(١) آل عمران : ١١٢.

(٢) آل عمران : ١٨١.

(٣) الطبرسي : جوامع الجامع، جـ١ ص٢٦٣، ٢٦٤.

(٤) النساء : ١٥٠، ١٥١.

﴿وَرُسُلِهِ﴾ على أنه استلزم ذلك كفرهم ببعض الكتب والرسل لا أنهم كفروا بالله ورسله جميعًا، فإن أهل الكتاب لم يكفروا بالله ولا بجميع رسله، لكنهم لما كفروا بالبعض كان ذلك كفر بالله وبجميع الرسل»(١).

وقوله سبحانه: ﴿وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ أي أن الإيمان ببعض الرسل والكفر بالبعض الآخر هو تفريق ليس بين الرسل بعضهم وبعض، ولكنه تفريق بين الله ورسله ﴿وَرُسُلِهِ﴾ في النص إنما يقصد بها الرسل جميعًا؛ لأن كل واحد منهم كان رسول الله في زمانه وبين قومه، علاوة على أن الرسل جميعًا كانوا متعاقبين في سلسلة الإيمان، وخاتمهم في ذلك محمد ﷺ، كما كانت دعوتهم جميعًا هي الإسلام(٢). فكان جزاء هذا التفريق قوله سبحانه: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾.

«وقوله: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾ أي الكاملون في الكفر ﴿حَقًّا﴾ مصدر مؤكد لمضمون الجملة، أي حق ذلك حقًّا، أو بمعنى كفرًا حقًا، ثم ذكر جزاءهم ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ أي يهانون فيه في الآخرة وهو عذاب النار، وإنما أظهر مقام الإضمار ذمًّا لهم وتذكيرًا لوصفهم أو المراد جميع الكافرين»(٣).

وفي الآية التالية للآيات السابقة يسلك القرآن معهم مسلك الترغيب، وهذا يتمشى مع رحمة الله بعباده وأنه يقبل التوبة عنهم ويعفو عن سيئاتهم.

فها هو سبحانه وتعالى يدعو أهل الكتاب إلى الإيمان برسله وعدم التفريق بينهم ويعدهم بالأجر ومغفرة الذنوب، فيقول سبحانه ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ

---

(١) فتح القدير بين فني الرواية والدراية في علم التفسير (ط دار الفكر، بيروت – لبنان، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م) جـ١ ص٥٣٢.

(٢) انظر: د/صلاح الفوال: التصوير القرآني للمجتمع (دار الفكر العربي، القاهرة) جـ١ ص٤٦.

(٣) صديق خان: فتح البيان في مقاصد القرآن جـ٢ ص٣٩٨.

وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾(١).

ففي الآية ترغيب من القرآن لأهل الكتاب في الإيمان بجميع الرسل دون التفريق بينهم، وتنبيههم إلى إيمان أمة محمد ﷺ ، وعليه فهم يؤمنون بكل نبي بعثه الله تعالى، فجزاء هؤلاء عند الله الثواب العظيم والعطاء الجميل.

ثم بين القرآن - بعد ذلك - في سورة النساء - موقف اليهود المخزي من عيسى عليه السلام، فقد كفروا بدعوته، وأنكروا نبوته، وحاولوا قتله، هذا في الوقت الذي غالت فيه النصارى وأوصلته إلى درجة الإلهية، وقد نهاهم القرآن عن ذلك، وتوعد كل من كفر من أهل الكتاب برسل الله تعالى عن طريق الغلو - وذلك في معرض حديثه عن عيسى عليه السلام وعن غلو النصارى فيه - بقوله سبحانه : **﴿مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾**(٢).

وقد رد القرآن الكريم زعم اليهود في قوله تعالى: **﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾** (٣) .

كما رد زعم النصارى في قوله تعالى : **﴿وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾**(٤) .

---

(١) النساء : ١٥٢.
(٢) المائدة : ٧٢.
(٣) النساء : ١٥٧.
(٤) التوبة : ٣٠.

جاء في كتاب (بين الإسلام والمسيحية) «أن الإسلام تبرأ من قوم غدوا فيه (أي في عيسى) على طرفي نقيض مفتون به ضال. وظالم بغيض : وهما في عمى بصائرهما سيان، ولدى حلبة الكفر فرسا رهان. أما المفتونون به الضالون فقد أوقعوا أنفسهم في خطيئة (ذات شقين) يستحيل غفرانها : **الأول** : الإشراك بعبادة غير الله تعالى. **الثاني** : أنهم أوردوا عيسى بغلوهم مورداً يعتذر عند الله منه يوم القيامة بين يديه، إذ يقول له وهو أعلم : ﴿ **أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (١١٦) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١١٧) إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾ (١) ، وأما من أبغضه أو سبه ولعنه (وزعم قتله) فإنما أوردوه بفعلهم مورداً يكون الله حسيبهم فيه والقائم بدونه بأخذ حقه منهم» (٢) .

فكما هو واضح أن القرآن رفض هذا الاعتقاد فيه، ودعا أهل الكتاب إلى الإيمان به على حقيقته، وقد حذرهم من غلوهم هذا في قول الله تعالى : ﴿ **وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ (٣) . وهذا أسلوب ترهيب وتخويف أورده القرآن لكي يرتدع أهل الكتاب عن أقوالهم وأفعالهم الخارجة على أوامر الله عز وجل. وشدد التأكيد عليهم بأن هؤلاء الأنبياء والرسل لم يكونوا سوى بشر عاديين اصطفاهم الله ليبلغوا رسالته وليهدوا أقوامهم إلى الصراط المستقيم. فهم في حقيقتهم بشر وأناس يتفقون مع سائر الناس في كل صفات

(١) المائدة : ١١٦-١١٨.

(٢) أبو عبيدة الخزرجي : بين الإسلام والمسيحية، تحقيق د/محمد شامة (دار التوفيق النموذجية، نشر مكتبة وهبة) ص١٢٨، ١٢٩ وانظر شيخ الإسلام ابن تيمية : الإسلام والنصرانية ص١٥، ١٦.

(٣) المائدة : ٧٣.

البشرية . . . وبهذا يتيسر لسائر أمتهم التلقي عنهم وتقليدهم فيما يقولون ويفعلون . ومع ذلك فإن الله تعالى خصهم بنوع من الاصطفاء هو في الحقيقة لا يعدو أن يكون مقدرة على التزام المثالية البشرية كما يريدها الله؛ وبذلك صاروا أهلاً لتلقي وحي الله تعالى (١) .

ونلاحظ مما سبق ذكره أن القرآن في دعوته أهل الكتاب إلى الإيمان بالرسل السابقين عليهم السلام يسلك مسالك شتى في إقناعهم بالإيمان بهؤلاء الرسل، وتصحيح الاعتقاد فيهم، فهو يستخدم أساليب تصل إلى القلب والعقل، فتارة يستخدم أسلوب الترغيب والترغيب، وتارة يستخدم أسلوب العقل والمنطق، وغير ذلك، فكان القرآن الكريم في دعوته إياهم إلى الإيمان بالرسل عليهم السلام حجة عليهم في عدم إيمانهم .

(١) انظر : زاهر عزب الزغبي : رؤية إسلامية، الله .. الإنسان .. الخليقة (من مقال نشر بمجلة الأزهر، الجزء الخامس، السنة ٥١، رجب ١٣٩٩هـ - يونية ١٩٧٩م) ص ٩٧ .

الفصل الثاني
دعوة القرآن الكريم أهل الكتاب
إلى الإيمان بخاتم الرسل ﷺ

تبين في الفصل السابق أن القرآن الكريم دعا أهل الكتاب وغيرهم إلى الإيمان بالرسل جميعًا دون تفريق بينهم، وعد التفريق بينهم كفرًا بهم جميعًا، وتكذيب أحدهم تكذيبًا لهم جميعًا، والرسول ﷺ واحد من رسل الله تعالى الواجب على أهل الكتاب أن يؤمنوا به، وقد دعاهم القرآن الكريم إلى ذلك.

ولكثرة ما ورد من آيات تدعوهم إلى الإيمان بمحمد ﷺ، أفرد البحث فصلاً خاصًا لمناقشة ذلك، يسوق الأدلة القاطعة، والبراهين الساطعة التي من شأنها أن تقنعهم بوجوب الإيمان به ﷺ، وعدم عداوته، وترشدهم إلى حقيقة دعوته، وتحثهم على الدخول تحت قيادته وريادته.

ولو نظر هؤلاء إلى دلائل نبوته ﷺ بعين الإنصاف وأشفقوا على أنفسهم من الشقاء الأبدي الذي سيلحقهم جزاء إعراضهم لآمنوا به وصدقوه في كل ما يبلغه عن ربه.

ويمكن دراسة تلك المسألة في المباحث التالية :

المبحث الأول : إقامة القرآن الأدلة التي تدعوهم إلى الإيمان بمحمد ﷺ.

المبحث الثاني : إخبار كتب أهل الكتاب بمحمد ﷺ .

المبحث الثالث : موقف أهل الكتاب من دعوة القرآن إلى الإيمان بمحمد ﷺ.

المبحث الأول
إقامة القرآن الأدلة
التي تدعوهم إلى الإيمان بمحمد ﷺ

أقام القرآن الكريم الدلائل على أهل الكتاب لكي يؤمنوا برسالة محمد ﷺ ، وهي دلائل قاطعة لو أنهم أنصفوا، ومن هذه الدلائل ما يلي :

أولاً : تنبيههم إلى وجود اسمه ونعته ﷺ في التوراة والإنجيل :

قال الله تعالى : ﴿ **وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (١٥٦) الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾(١) .

والنص القرآني الكريم فيه دلائل واضحة على أن أهل الكتاب مطالبون بالإيمان بسيدنا محمد ﷺ ، والدخول في دينه، وأوصاف الرسول ﷺ في الآيات توضح ذلك، فقد وصف الله الرسول ﷺ – الذي أوجب اتباعه على كل من أدركه من بني إسرائيل وغيرهم – بصفات ونعوت :

أولها : أنه النبي الأمي الكامل ﴿ **الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ** ﴾ .

---

(١) سورة الأعراف : ١٥٦، ١٥٧.

ثانيها : ﴿الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ﴾ ووجوده في كتبهم[١] من أكبر الدواعي إلى الإيمان به واتباعه، وإنما ذكر الإنجيل والسياق في قوم موسى؛ لأن المخاطب به عموم بني إسرائيل، ومما هو مأثور عن المسيح – عليه السلام – في هذه الأناجيل قوله : (لم أبعث إلا إلى خراف إسرائيل الضالة). ولا يعارضه ما رووا عنه من أمره تلاميذه أن يكرزوا (أي : يدخلوا) بالإنجيل في الخليقة كلها؛ إذ يجمع بينهما أن يراد بالخليقة ما كانوا يسمونه (اليهودية)، والعبارة الأولى نص بصيغة الحصر لا تحتمل التأويل[٢] ﴿الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا﴾ باسمه ونعوته الشريفة بحيث لا يشكون أنه هو؛ ولذلك عدل عن أن يقال : يجدون نعته أو وصفه مكتوبًا عندهم (والظرف) ﴿عِندَهُمْ﴾ لزيادة التقرير، وأن شأنه – عليه السلام – حاضر عندهم لا يغيب عنهم[٣] .

ثالثها : ﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ﴾؛ فإنهم مكلفون أن يستجيبوا له في أمره إياهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر.

رابعها : ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ . أي : يحل لهم كل طيب أحله الله ويحرم عليهم كل خبيث حرمه الله.

خامسها : ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ وفي ذلك ترغيب لهم وحث على الإيمان به ﷺ ؛ لأن النفس مجبولة على حب من يحمل عنها أثقالها.

سادسها : أنه لا فلاح لأهل الكتاب إلا بالدخول في دين الإسلام واتباع ما جاء به النبي ﷺ ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ

(١) سيذكر البحث بعض الأدلة على وجود ذكر النبي محمد ﷺ في كتب أهل الكتاب الحالية في المبحث الآتي بعد هذا المبحث.

(٢) انظر : محمد رشيد رضا : تفسير المنار جـ٩ ص١٩٦، وانظر د/علي عبدالحليم محمود : فقه الدعوة إلى الله، حـ٢ ص٩٤٨.

(٣) انظر : تفسير أبي السعود (ط دار الفكر، مكتبة الرياض الحديثة) جـ٥ ص٣٢٤.

أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

ومن الواضح أن الآيات الكريمة السابقة، تلهم بقوة أن اليهود لما أنكروا نبوة النبي ﷺ وأنه أمر مخالف لما كانوا يعتقدونه من اختصاص بني إسرائيل بالنبوة عن غيرهم، فأكدت الآيات من جهة أن الله بعث في العرب رسولاً منهم ﴿ **الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ** ﴾ يهديهم ويعلمهم، وردت من جهة ثانية على اليهود بأنه لا حرج على الله تعالى، فهو صاحب الفضل يؤتيه من يشاء، وردت من جهة ثالثة بأسلوب لاذع لتكذيبهم ما جاء في التوراة عن النبي ومناقضتها وعدم رعايتها، كذلك تلهم الآيات أن فريقًا من اليهود والنصارى وجدوا صفات النبي مطابقة لما في أيديهم من أسفار التوراة والإنجيل فآمنوا به واتبعوه ونصروه فاستحقوا التنويه الذي احتوته الآية (١)، وكان الأجدر بالآخرين منهم أن لا يستنكفوا عن الحق. وقد ورد في السنة في هذا الشأن ما رواه أبو بردة بن أبي موسى عن أبيه. قال: قال رسول الله ﷺ : «**ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين : رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وأدرك النبي ﷺ فآمن به واتبعه وصدقه فله أجران، وعبد مملوك أدى حق الله تعالى وحق سيده فله أجران..**» (٢).

ثانيًا : تنبيههم إلى أن محمد ﷺ هو النبي الذي بَشَّر به عيسى - عليه السلام - :

نبه القرآن الكريم أهل الكتاب إلى أن محمداً ﷺ هو النبي الذي بشر به عيسى - عليه السلام - في الإنجيل، وأمر باتباعه، قال الله تعالى : ﴿ **وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ**

(١) انظر : محمد عزة دروزه : سيرة الرسول ﷺ (المكتبة العصرية، صيدا - بيروت) جـ١ ص١١ وص٣٣٨.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ثانية، ١٩٨١م) كتاب العلم، باب تعليم الرجل أمته وأهله، جـ٢ ص٨٧، ٨٨ ومسلم في صحيحه : باب وجوب الإيمان برسالة النبي جـ٢ ص١٨٧ والترمذي في سننه، باب الرجل يعتق الأمة ثم يتزوجها، جـ٣ ص٤١٥.

وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ (١) .

والآية تدعو أهل الكتاب إلى الإيمان بسيدنا محمد ﷺ بأسلوب فيه الحجة القوية والدليل القاطع على وجوب الإيمان به، فآخر أنبيائهم - عيسى عليه السلام - قد بشر به ودعا إلى الإيمان به واتباعه، وذاك مسطر في كتبهم.

فقوله تعالى على لسان عيسى : ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ دلالة على صدق رسول الله محمد ﷺ؛ فقد صدقت كلمة المسيح عليه السلام - فلم يأت بعده رسول - ولو على سبيل الادعاء - حتى كانت رسالة محمد ﷺ » (٢) .

وقد وردت أحاديث متعددة ترشد إلى أن من أسماء النبي ﷺ اسم أحمد، فروى محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه أن النبي ﷺ قال : «**أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحى بي الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على عقبي وأنا العاقب الذي ليس بعده نبي**» (٣) .

وقوله : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ أي فلما جاءهم المسيح بالمعجزات التي وضعها الله سبحانه بين يديه، كذبوه، واتهموه بالسحر والشعوذة، وتعقبوه بالأذى، وأخذوه بالبأساء والضراء حتى ساقوه إلى ساحة الاتهام، وقرروا قتله على الصليب دون ذنب أو جريرة، ولكن : ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾(٤)، ويجوز أن يكون الضمير عائداً إلى النبي ﷺ ، وقد بشر به المسيح في

---

(١) الصف : ٦.

(٢) انظر : عبدالكريم الخطيب : التفسير القرآني للقرآن (دار الفكر العربي، القاهرة) م٧ جـ٢٨ ص٩٢٠، ٩٢١.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الفضائل، باب أسمائه ﷺ جـ١٥ ص١٠٤، وفتح الباري شرح صحيح البخاري جـ١ ص٣٦١.

(٤) النساء : ١٥٧ .

قوله تعالى : ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ بمعنى فلما جاءهم النبي الذي بشرهم به المسيح ومعه آيات الله البينات كفروا به، وقالوا : هذا سحر مبين، والذين كفروا – هنا – هم اليهود والنصارى.. وهذا ما يشير إليه الله تعالى : ﴿فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (١) .

وفي هذا توبيخ لهم من القرآن الكريم؛ لتنكرهم للحق بعد معرفته؛ فإنه من الجرم العظيم التنكر للحق وجحده مع معرفته.

وعلى ذلك تكون الآية السابقة من الآيات البارزة التي أقامت الحجة على أهل الكتاب في وجوب اتباع النبي ﷺ .

ثالثًا : تنبيههم إلى أن محمداً ﷺ هو النبي الذي كانوا يستنصرون به على أعدائهم قبل مبعثه :

ساق القرآن الكريم لأهل الكتاب دليلاً من الأدلة القاطعة التي تدعوهم إلى الإيمان بالنبي ﷺ، وهو إخبارهم بأن محمداً هو النبي الذي كانوا يستنصرون ببعثته – قبل مجيئه – على أعدائهم. قال الله تعالى : ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (٢) .

«اتفق مؤرخو العرب وأصحاب السير أن أهل الكتاب كانوا ينتظرون ظهور نبي في ذلك الزمان (أي : زمان بعثة النبي ﷺ)، وكانوا يعلمون أوصافه وأحواله» (٣) .

ولذلك كان الأحبار من اليهود والرهبان من النصارى يتحدثون بأمر رسول الله

---

(١) انظر : عبدالكريم الخطيب : التفسير القرآني للقرآن، م٧ جـ٢٨ ص٩٢٢ .

(٢) البقرة : ٨٩ .

(٣) محمد رشيد رضا : محمد رسول الله ﷺ (دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٩٧٥م) ص٦١ .

قبيل مبعثه؛ لما وجدوا في كتبهم من صفته وصفة زمانه، وما كان من عهد أنبيائهم إليهم، واعتقد اليهود أنه منهم، فكانوا يتوعدون به العرب؛ لما كان بينهم وبين هؤلاء العرب من حزازات (١) .

وروي عن عاصم بن عمر بن قتادة (الأنصاري) عن رجال من قومه قالوا : إن مما دعانا إلى الإسلام – مع رحمة الله تعالى وهداه لنا – ما كنا نسمع من رجال يهود، وكنا أهل شرك أصحاب أوثان، وكانوا هم أهل كتاب عندهم علم ليس لنا، وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور، فإذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا : إنه قد تقارب زمان نبي يبعث الآن نقتلكم معه قتل عاد وإرم (٢) فكنا كثيراً ما نسمع ذلك منهم، فلما بعث الله رسوله ﷺ أجبناه حين دعانا إلى الله تعالى، وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به، فبادرناهم إليه، فآمنا به وكفروا به، ففينا وفيهم نزل قول الله تعالى من سورة البقرة : ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ﴾ الآية) (٣) .

وورد عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أنه قال : كانت يهود خيبر تقاتل غطفان فكلما التقوا هُزمت يهود خيبر، فعاذت اليهود بهذا الدعاء، فقالت : اللهم إنا نسألك بحق محمد النبي الأمي الذي وعدتنا أن تخرجه لنا في آخر الزمان – إلا نصرتنا عليهم – قال : فكانوا إذا التقوا دعوا بهذا الدعاء، فهزموا غطفان، فلما بعث النبي ﷺ كفروا به، فأنزل الله تبارك وتعالى : ﴿وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ﴾ يعني بك يا محمد ﴿عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ إلى قوله : ﴿فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى

(١) انظر : أمين دويدار : صور من حياة الرسول ﷺ، (دار المعارف، القاهرة، مصر) ص٩٤، ٩٥ .

(٢) (إرم) هي قبيلة عاد، وسميت باسم أحد أجدادها، كما يقال : هاشم لبني هاشم، والمراد بها قبيلة عاد الأولى، فإن عاداً الثانية لا يسمون بهذا الاسم، وقيل : إرم اسم مدينتهم [انظر: الإمام السيوطي : معترك الأقران في إعجاز القرآن (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان) جـ٢ ص٤١].

(٣) انظر: الإمام النيسابوري : أسباب النزول ص١٤، وابن هشام : السيرة النبوية جـ١ ص١٦١، ١٦٢ .

الْكَافِرِينَ ﴾(١).

وقوله في الآية: ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ ﴾ المراد بالكتاب القرآن، وفي تنكيره زيادة تعظيم وتشريف له، وفي الإخبار عنه بأنه من عند الله إشارة إلى أن ما يوحي به - سبحانه - جدير بأن يُتلقى بالقبول وحسن الطاعة؛ لأنه صادر من الحكيم الخبير. وفي وصف القرآن بأنه مصدق لما معهم، زيادة تسجيل عليهم بالمذمة؛ لأنهم كفروا بشيء يخالف أصول كتابهم، وإنما كفروا بالكتاب الذي يصدق كتابهم.

وقوله: ﴿ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ المراد منه الاستنصار.

ثم بين - سبحانه - حقيقة حالهم بعد أن جاءهم الكتاب والرسول، فقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ﴾. وقال سبحانه: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا ﴾ ولم يقل فلما جاءهم الكتاب أو الرسول؛ ليكون اللفظ أشمل، فيتناول الكتاب والرسول الذي جاء به؛ لأنه لا يجيء الكتاب إلا عن طريق رسول، ومعرفتهم بصدق الرسول ﷺ وما أنزل عليه حاصلة بانطباق العلامات والصفات الواردة في التوراة عن النبي ﷺ؛ فكان من الواجب عليهم أن يؤيدوا هذه المعرفة بالإيمان به، ولكنهم عموا وصموا فاستحقوا لعنة الله تعالى وإبعاده لهم عن رحمته، فقال: ﴿ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ قال سبحانه: ﴿ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ ولم يقل: عليهم للإشعار بأن حلول اللعنة عليهم كان بسبب كفرهم (٢).

وبذلك يتبين من الآية أن إعراض اليهود عن دعوة القرآن لهم إلى الإيمان بالنبي ﷺ ودعوته - لم يكن عن جهل منهم؛ لأنهم كانوا يستنصرون به على أعدائهم، ويبشرون بقرب مبعثه، وإنما هو البغي والحسد؛ لأنه لم يأت من نسل إسرائيل،

(١) الإمام البيهقي: دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة (دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط الأولى، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م) جـ٢ ص٧٦، ٧٧.

(٢) انظر: د/محمد سيد طنطاوي: بنو إسرائيل في القرآن والسنة ص٤٢٢ - ٤٢٤.

فأبت أثرتهم ألا يؤمنوا بنبي ليس منهم، وكما قال إسرائيل ولفنسون : «إن العقلية اليهودية لا تلين أمام شيء عن دينها، وتأبى أن تعترف بأن يوجد نبي من غير بني إسرائيل» (١) .

رابعًا : إخبارهم بأنهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم :

من بين الأساليب التي اتبعها القرآن الكريم في دعوة أهل الكتاب إلى الإيمان بالنبي ﷺ إخبارهم بأنهم يعرفون النبي معرفة يقينية كما يعرفون أبناءهم، بل أشد من معرفتهم لأبنائهم؛ وذلك لوجود اسمه ونعته صريحًا وواضحًا في كتبهم: التوراة والإنجيل، وعن هذا المعنى يقول الله تعالى :

﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (٢) .

وقوله أيضًا : ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ (٣) .

قيل : إن قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ نزلت في مؤمني أهل الكتاب عبدالله ابن سلام (٤) وأصحابه، وكانوا يعرفون رسول الله ﷺ بنعته وصفته وبعثه في كتابهم كما يعرف أحدهم ولده إذا رآه من الغلمان. قال عبدالله بن سلام : لأنا

(١) الشيخ أبو الحسن الندوي : السيرة النبوية (منشورات المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م) ص٢٣١.

(٢) البقرة : ١٤٦.

(٣) الأنعام : ٢٠.

(٤) عبدالله بن سلام هو : (ابن الحارث الإسرائيلي، صحابي، قيل : إنه من نسل يعقوب، أسلم عند قدوم النبي إلى المدينة وكان اسمه الحصين، فسماه رسول الله عبدالله، وفيه نزلت الآية : ﴿ وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله ﴾، شهد مع عمر رضي الله عنه فتح بيت المقدس وجابية، له خمسة وعشرون حديثًا، مات سنة ٤٣هـ الزركلي : الأعلام (ط الثالثة) ص٢٢٣، وراجع أيضًا : ابن حجر الإصابة في تمييز الصحابة (القاهرة، ١٣٢٣هـ) جـ٢ ص٣٢٠.

أشد معرفة برسول الله ﷺ مني بابني، فقال له عمر بن الخطاب : وكيف ذاك يا ابن سلام ؟ قال : لأني أشهد أن محمداً رسول الله حقاً ويقيناً، وأنا لا أشهد بذلك على ابني؛ لأني لا أدري ما أحدث النساء، فقال عمر : وفقك الله يا ابن سلام (١) .

فهذه شهادة واحد من علمائهم، وفي ذلك حجة عليهم . قال الإمام ابن كثير في تفسير الآية : « يخبر الله تعالى أن علماء أهل الكتاب يعرفون صحة ما جاءهم به الرسول ﷺ كما يعرف أحدهم ولده » (٢) .

وقوله : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ ﴾ هم أحبار اليهود وعلماء النصارى، وفي وصف القرآن لهم بأنهم أوتوا الكتاب (أي التوراة والإنجيل) تنبيه لهم إلى أن اسم النبي ﷺ مسطر عندهم في كتابهم، وتأنيب لهم لعدم إيمانهم به مع معرفتهم إياه .

وقوله : ﴿ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ﴾ تشبيه للمعرفة العقلية الحاصلة من مطالعة الكتب ومدارستها، ومعرفة ما فيها بالمعرفة الحسية التي تنتج عن مشاهدة الشيء الملموس، فالمعرفة في كل منهما يقينية، « وخص الأبناء في المعرفة بالذكر دون الأنفس، وإن كانت ألصق؛ لأن الإنسان لا يمر عليه من زمنه برهة لا يعرف فيها نفسه، ولا يمر عليه وقت لا يعرف فيه ابنه » (٣) . حتى أن منهم من كان يأمر أصهاره وذوي قرابته باتباع النبي ﷺ، قال ابن عباس - رضي الله عنهما - : « كان يهود المدينة يقول الرجل منهم لصهره ولذي قرابته ولمن بينه وبينه رضاع من المسلمين : اثبت على الذي أنت عليه وما يأمرك به هذا الرجل - يريدون محمداً

---

(١) النيسابوري : أسباب النزول ص٢١ .

(٢) مختصر تفسير ابن كثير حـ١ ص١٣٩ .

(٣) الإمام القرطبي : الجامع لأحكام القرآن، جـ١ ص٦٥٢ .

ﷺ - فإن أمره حق؛ فكانوا يأمرون الناس بذلك ولا يفعلونه [١] . فوبخهم القرآن على تناقضهم هذا وقبح من شأنهم، وذكرهم بطلان ما هم عليه، وذلك في قوله تعالى : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ والاستفهام في قوله تعالى : ﴿ أَتَأْمُرُونَ ﴾ و﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ «للتقرير مع التقريع والتعجيب من حالهم» [٢].

وقوله : ﴿ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ أسند هذا الكتمان إلى فريق منهم؛ إذ لم يكونوا كلهم، فإن منهم من اعترف بالحق وآمن واهتدى به، ومنهم من كان يجحده عن جهل، ولو علم به لجاز أن يقبله، وهذا من دقة حكم القرآن على الأمم بالعدل، وقوله : ﴿ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ أي أن هذا الكتمان دليل واضح على صحة الكفر منهم؛ وذلك لعلمهم بالحق، وقوله : ﴿ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ ﴾، يعني بكفرهم بمحمد ﷺ على وجه المعاندة ﴿ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾، وخسرانهم أنفسهم إهلاكهم لها بهذا الكفر وتصديهم لها إلى أن لا ينتفعوا بها، ومن جعل نفسه، بحيث لا ينتفع بها، فقد خسر نفسه» [٣] .

ولو كان هؤلاء عقلاء ما أوصلوا أنفسهم إلى هذا الحد، حد خسران النفس وهلاكها، ولكن بغضهم وحسدهم لهذا الدين ولنبيه ﷺ حجز عن عقولهم التفكير في المصير الذي ينتظرهم جزاء كفرهم.

خامساً : إظهار النبي ﷺ لما يخفيه أهل الكتاب وعفوه عن كثير :

من الآيات التي دعا فيها القرآن أهل الكتاب إلى الإيمان بمحمد ﷺ ،

---

(١) الإمام القرطبي : الجامع لاحكام القرآن، جـ١ ص٤٠٥.

(٢) الإمام النيسابوري : غرائب القرآن ورغائب الفرقان (ط مصطفى البابي الحلبي، ط الأولى، ١٣٨١هـ-١٩٦٢م) جـ١ ص٢٩٩.

(٣) الشيخ الطوسي : التبيان في تفسير القرآن (مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان ١٩٦٤م-١٣٨٣هـ) جـ٤ ص٩٦.

والانضواء تحت لوائه قول الله تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(١) .

والواضح من النص الكريم أن أهل الكتاب من اليهود والنصارى يخفون كثيراً من الأشياء التي تنطوي عليها كتبهم، كإخفاء الحكم برجم الزاني المحصن، وإخفاء قصة أصحاب السبت الذين مسخوا قردة، وإخفائهم صفة النبي ﷺ ونعته، وكتمانهم أمر البشارات به، ناقضين بذلك العهد الذي أخذ عليهم في بيان ذلك للناس وعدم كتمانه، فاظهــر النبي ﷺ كثيـراً مما كانـوا يخفـونه، وأقام عليهم الحجـة بأنه رســول الله يوحى إليه من ربه.

« ففي مناداته – سبحانه – بقوله : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ ﴾ تأنيب لأهل الكتاب من طرف خفي؛ لأنهم يعلمون ما في التوراة والإنجيل من أمر محمد ﷺ ، وأمر الأحكام التي ينكرونها، فلو أنهم تعلموا ذلك دون أن تكون تلك الكتب بين أيديهم لكان العذر لهم، كما تقول للرجل العالم الذي لا يصلي وهو يعرف حكم الصلاة، وربما يعظ الناس بها : يا أيها العالم، إن الصلاة واجبة. وإضافة ﴿ رَسُولُ ﴾ إلى ضمير العظمة والجلال تشريف لنبيه وتأكيد لواقع أمره، وحجة على من لم يؤمن به، وقوله : ﴿ يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ ﴾ تعريض بهم وكشف لجرائمهم النفسية، وفضيحة لهم، وإزالة الثقة منهم، ووصم لهم بالكذب والنفاق وسوء السريرة، وتخويف لغيرهم حتى لا يصلوا إلى ما وصلوا إليه، وتأكيد أمر النبوة بأكثر من دلالة؛ لأن معرفة الغيب أدخل في باب المعجزة، وقوله : ﴿ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ﴾ وهذا من صفات النبوة أيضاً(٢) وفي هذ ا حجة عليهم؛

---

(١) المائدة : ١٥، ١٦.

(٢) انظر: د/فتحي أحمد عامر : المعاني الثانية في الأسلوب القرآني ص٣٢٨.

لأنهم يعلمون أنهم يخفون عن المسلمين كثيراً من المسائل؛ لئلا تكون حجة عليهم، أو هم يعلمون به، كدأب علماء السوء في كل أمة يكتمون من العلم ما يكون حجة عليهم، كاشفًا عن سوء أحوالهم، أو يحرفونه معنويًا على غير معناه المراد(١) .

وقوله : ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾ خطاب لأهل الكتاب يوجه نظرهم إلى أنه جاءهم من ربهم ﴿نُورٌ﴾ وهو محمد ﷺ أنار الله به الحق، ومحق به الضلال، وأبان لليهود كثيراً مما كانوا يخفونه من الكتاب ﴿وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾ فيه بيان ما اختلفتم فيه من توحيد الله وشرائع دينه، والكتاب هو القرآن أنزله الله على رسوله محمد ﷺ؛ ليحق الحق ويبطل الباطل، فمن خصائص هذا الكتاب أنه ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ﴾ أي طرق السلامة والسعادة ﴿وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ﴾ وتوفيقه ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ طريق الحق والصواب.

وبذلك أقام القرآن الحجة على أهل الكتاب بأن محمداً نبي ورسول يوحى إليه، وهم يعرفون ذلك لإظهاره الكثير مما يخفونه، وعفوه عن الكثير أيضًا؛ كي لا يوقعهم في الحرج بكشفه لما هم عليه؛ حرصًا منه على هدايتهم.

سادسًا : تنبيههم إلى أن مجيئه ﷺ كان على فترة من الرسل قطعًا لعذرهم :

من بين الأدلة التي ساقها القرآن الكريم في دعوة أهل الكتاب إلى الإيمان بمحمد ﷺ تنبيههم إلى أن مجيئه ﷺ كان على فترة من الرسل؛ ليذكرهم بأن كتبهم صرحت بمجيء رسول الله عقب رسلهم، وأنهم كانوا يبشرون بقرب مقدمه.

فقال الله تعالى : ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ

(١) انظر : محمد رشيد رضا : تفسير المنار جـ٦ ص٣٠٤.

الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾(١) .

« فموقع هذه الآية تكرير لموقع قوله : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ .. ﴾ إلا أنه ذكر الرسول هنا بوصف مجيئه على فترة من الرسل . . . ليبين لهم أن مجيئه لم يكن بدعًا من الرسل؛ إذ كانوا يجيئون على فترٍ بينهم »(٢) .

فيجوز أن يكون التقدير في قوله : ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ﴾ أي يبين ما كنتم تخفون، وحسن حذفه هنا لتقدم ذكره في قوله : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ ﴾ الآية .

وقوله : ﴿عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ﴾ المعنى : أي جاءكم على حين فتور من الإرسال وانقطاع من الوحي ومزيد احتياج إلى بيان الشرائع والأحكام الدينية، أو بمحذوف وقع حالاً من ضمير يبين أو من ضمير لكم، أي يبين لكم ما ذكر حال كونه على فترة من الرسل أو حال كونكم عليها أحوج ما كنتم إلى البيان . و ﴿مِّنَ الرُّسُلِ﴾ متعلق بمحذوف وقع صفة لفترة أي كائنة من الرسل مبتدأة من جهتهم(٣) .

والمراد بالرسل رسل أهل الكتاب المتعاقبين من عهد موسى – عليه السلام – إلى المسيح، أو أريد المسيح خاصة، والمشهور أن الفترة بين بعثة النبي ﷺ والمسيح – كانت ستمائة سنة(٤) .

---

(١) المائدة : ١٩.

(٢) انظر: الشيخ الطاهر بن عاشور : تفسير التحرير والتنوير جـ٦ ص١٥٨.

(٣) الإمام الجمل : الفتوحات الإلهية جـ١ ص٤٧٦.

(٤) قال قتادة : كان بين عيسى ومحمد خمسمائة وسبعون سنة، وفي رواية عنه ذكر لنا أنها ستمائة سنة، وقيل : خمسمائة وأربعون سنة (الإمام السيوطي : مفحمات الأقران في مبهمات القرآن « ط المطبعة المصرية ببولاق » ص٢٠).

جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**أنا أولى الناس بابن مريم، الأنبياء أولاد علات، وليس بيني وبينه نبي**»(١).

وقوله : ﴿**أَن تَقُولُوا**﴾ تعليل لقوله : ﴿**قَدْ جَاءَكُم**﴾ لبيان بعض الحكم من بعثة الرسول، وهي قطع معذرة أهل الكتاب عند مؤاخذتهم في الآخرة، أو تقريعهم في الدنيا على ما غيروا من شرائعهم؛ لئلا يكون من معاذيرهم أنهم اعتادوا تعاقب الرسل لإرشادهم وتجديد الديانة، فلعلهم أن يعتذروا بأنهم لما مضت عليهم فترة بدون إرسال رسول لم يتجه عليهم ملام فيما أهملوا من شرعهم، وأنهم لو جاءهم رسول لاهتدوا، فالمعنى : أن تقولوا : ما جاءنا من رسول في الفترة بعد موسى أو بعد عيسى، وذلك قوله تعالى : ﴿**أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ**﴾ أي إنما بعث الرسول ﷺ في وقت الفترة كراهة أن تقولوا في هذا الوقت : ما جاءنا من بشير ولا نذير، ثم قال الله تعالى : ﴿**فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ**﴾ فزالت هذه العلة وارتفع هذا العذر بمجيء محمد ﷺ ﴿**وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ أي فإنه سبحانه قادر على عقاب من عصاه، وثواب من أطاعه(٢).

وبذلك تكون قد نبهت الآية الكريمة أهل الكتاب إلى أن مجيء الرسول على فترة من الرسل يؤيد ما عندهم في بعثة نبي بعد عيسى عليه السلام، وهذا دليل واضح يجعلهم يثوبون إلى رشدهم ويتبعوا النبي ﷺ ، الذي بشرت به كتبهم، فمن أشد العجب بعد ذلك عدم إيمانهم.

سابعًا : تنبيههم إلى أن محمداً ﷺ أميٌّ لا يقرأ ولا يكتب :

من بين الأدلة - أيضًا - التي ساقها القرآن الكريم لحمل أهل الكتاب على

---

(١) مسلم بشرح النووي، كتاب الفضائل، فضائل عيسى - عليه السلام - جـ١٥ ص١١٩.

(٢) انظر : الشيخ الطاهر بن عاشور : تفسير التحرير والتنوير جـ٦ ص١٥٨، ومختصر تفسير ابن كثير جـ١ ص ٥٠٠، والإمام الرازي : مفاتيح الغيب جـ٥ ص٦٣٨، ٦٣٩.

الإيمان بالنبي ﷺ ودعوته، أنه نبههم إلى أن النبي أمي لا يقرأ ولا يكتب (وهذا من أوصافه في كتبهم) ومع ذلك جاءهم بأخبار التوراة والإنجيل والأمم الماضية؛ حيث يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ **وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ** ﴾(١) .

وقوله جل شأنه : ﴿ **وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾(٢) .

فالآيتان الكريمتان تسوقان دليلاً واضحًا على نبوته ﷺ وهو أنه « كان أميًّا لا يخط كتابًا بيمينه ولا يقرؤه، ولد في قوم أميين، ونشأ بين ظهرانيهم، في بلد ليس بها عالم يعرف أخبار المتقدمين، وليس فيهم منجم يتعاطى علم الكوائن، ولا مهندس يعرف التقدير، ولا فيلسوف يبصر الطبائع، ولا متكلم يهتدي رسوم الجدل ووجوه المحاجة والمناظرة والاستدلال بالحاضر على الغائب، ولم يخرج في سفر ضاربًا إلى عالم فيعكف عليه ويأخذ منه العلوم... فجاءهم بأخبار التوراة والإنجيل والأمم الماضية، وكان قد ذهب معالم تلك الكتب، ودرست وحرفت مواضعها »(٣) .

والدليل على أنه لم يوجد بمكة عالم واحد يعرف أخبار المتقدمين حتى يجلس النبي إليه ويتعلم منه، قصة الرجلين – مبعوثَيْ قريش إلى يهود المدينة – ليسألوهم عن رسول الله محمد ﷺ ؛ لقول قريش في يهود المدينة : إنهم أهل كتاب وعندهم علم ليس عندنا من علم الأنبياء(٤) .

(١) سورة العنكبوت : ٤٨ .

(٢) الشورى : ٥٢ .

(٣) الإمام البيهقي : الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث (منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط الاولى، ١٤٠١هـ-١٩٨١م) ص٢٥٨ .

(٤) راجع القصة بالتفصيل في ابن هشام : السيرة النبوية جـ١ ص٢٣١، ٢٣٢ .

فهذه القصة تؤيد أنه لم يكن أحد بمكة من اليهود؛ إذ لو وجد منهم أحد في مكة ما أوفدت قريش وفدهم إلى المدينة ليسألوا أحبار اليهود عن شأن النبي، وإذا وجد منهم ذلك فلابد أن يكونوا غير عالمين(١) ، ومحمد ﷺ منهم فهو مثلهم في ذلك.

ويشهد التاريخ - كذلك - أن الرسول ﷺ لم يجلس إلى معلم ولم يستمع من أحد قط.

يقول الدكتور محمد عبدالله دراز : «إن سكوت التاريخ عن ذلك كله حجة كافية على عدم وجوده؛ لأنه ليس من الهنات الهينات التي يتغاضى عنها الناس الواقفون لهذا الأمر بالمرصاد»(٢) .

كذلك مما يشهد بعدم أخذ الرسول ﷺ تعليماً من أحد تصوير القرآن الكريم في كثير من آياته عقيدة علماء الدين في زمنه ولا سيما علماء النصارى، فقد كان طابع الشرك في ديانتهم لا يخفى على أحد حتى إن الأميين فطنوا له فاتخذوا منه عزاءً لهم في شركهم ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾(٣) .

وكقوله : ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾(٤)، فهل ترى بعد هذا كله صورة أساتذة يتلقى عنهم صاحب القرآن علومه، أم بالعكس ترى منه معلماً يصحح لهم أغلاطهم وينعي عليهم سوء حالهم(٥) .

(١) انظر : د/إسرائيل ولفنسون : تاريخ اليهود في بلاد العرب ص٩٨.

(٢) د/محمد عبدالله دراز : النبأ العظيم، نظرات جديدة في القرآن (مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م) ص٥٠.

(٣) الزخرف : ٥٨.

(٤) النساء : ١٥٥.

(٥) انظر: د/محمد عبدالله دراز : النبأ العظيم ص٥٢، ٥٣ .

وبهذا يرشد القرآن الكريم إلى أن النبي ﷺ كان أميًا لا يقرأ ولا يكتب ولم يجلس إلى معلم قط، كما تبين ذلك من أحداث السيرة والتاريخ، وما أخبر به النبي ﷺ إن هو إلا وحي من عند الله تعالى؛ قال سبحانه : ﴿ **وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ** ﴾(١) .

وذلك من الأدلة الواضحة التي تحمل أهل الكتاب على الإيمان بالنبي ﷺ، والنقطة التالية تزيد هذا الدليل وضوحًا وثباتًا .

ثامنًا : إعلامهم بأن النبي ﷺ أخبر بالغيوب مع أنه أمي لا يقرأ ولا يكتب :

تبين - فيما سبق - أنه كان معلومًا من حال النبي ﷺ أنه أمي لا يقرأ، وأنه لم يكن يعرف شيئًا من كتب المتقدمين وأنبيائهم وسيرهم، «ولكنه أتى بجمل ما وقع وحدث من عظيمات الأمور، ومبهمات السير، من حين خلق الله آدم عليه السلام، وابتداء خلقه، وما صار إليه من الخروج من الجنة، ثم جمل من أمر ولده، وأحواله وتوبته، ثم ذكر قصة نوح عليه السلام وما كان بينه وبين قومه، وما انتهى إليه أمرهم في القرآن، والملوك والفراعنة الذين كانوا في أيام الأنبياء عليهم السلام»(٢) وغير ذلك .

وهذا إجمال يحتاج إلى شيء من التفصيل؛ حيث إن القرآن الكريم قد اشتمل على أخبار كثيرة من الغيوب التي لا علم لمحمد ﷺ بها، ولا سبيل لمثله أن يعلمها، مما يدل دلالة بينة على أن هذا القرآن المشتمل على تلك الغيوب لا يعقل أن يكون نابعًا من نفس محمد ولا غير محمد من الخلق، بل هو كلام الغيوب(٣) أوحاه الله إلى محمد لإثبات نبوته وصدق دعوته .

---

(١) النجم : ٣، ٤ .

(٢) الإمام الباقلاني : إعجاز القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر (ط دار المعارف بمصر) ص٤٣ .

(٣) انظر : محمد عبدالعظيم الزرقاني : مناهل العرفان في علوم القرآن جـ٢ ص٣٦٧ .

وهذه الغيوب التي أخبر بها النبي ﷺ ثلاثة : غيوب ماضية، وغيوب حاضرة، وغيوب مستقبلة :

أولاً : غيب الماضي :

غيوب الماضي في القرآن كثيرة، تتمثل في تلك القصص الرائعة التي يفيض بها التنزيل الحكيم والتي أخبر بها الصادق المصدوق ﷺ .

فبعد أن ذكر الله تعالى قصة نوح – عليه السلام – وما كان بينه وبين قومه، وما انتهى إليه أمرهم، قال : **﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾**(١) .

وبعد أن ذكر قصة يوسف – عليه السلام – مع إخوته ومكرهم له، قال القرآن : **﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴾**(٢) .

وفي قصة موسى – عليه السلام – يقول : **﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾**(٣) .

وبعد أن ذكر الله تعالى قصة مريم العذراء وكفالة سيدنا زكريا عليه السلام لها واصطفاءها على العالمين، قال القرآن : **﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾**(٤) .

وفي هذه الآية إشارة إلى أمرين :

الأول : أن هذا الكلام من عند الله تعالى، وأن ذلك النوع من القصص لم

(١) هود : ٤٩ .

(٢) يوسف : ١٠٢ .

(٣) القصص : ٤٤ .

(٤) آل عمران : ٤٤ .

يكن للعرب علم ولا دراية به، وكذلك أهل الكتاب.

الثاني : أن قصة مريم – عليها السلام – لم تذكر في كتب التوراة ولا الإنجيل، وما ذكر في هذه الكتب بعيد كل البعد عما ذكر في القرآن الكريم من اصطفاء السيدة مريم وتفضيلها على العالمين(١) .

ثانيًا : غيب الحاضر :

غيب الحاضر هو ما يتعلق بالله – سبحانه – وبالملائكة والجن والجنة والنار وغير ذلك.

ثالثًا : غيب المستقبل :

هو ما أخبر به النبي ﷺ من الغيوب المستقبلة في حياته، ومن بعده، وهو باب عظيم لا يمكن استقصاء جميع ما فيه لكثرته، منه ما في القرآن ومنه ما في السنة، ونكتفي بأخذ مثال واحد من القرآن ومثال من السنة للاستدلال على ما نحن بصدد الحديث عنه.

المثال الأول : «إخبار القرآن عن الروم بأنهم سيُنصرون في بضع سنين من إعلان هذا النبأ الذي يقول الله فيه : ﴿ **غُلِبَتِ الرُّومُ ۝٢ فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُم مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝٥ وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ** ﴾(٢) .

وبيان ذلك أن دولة الرومان، وهي مسيحية، كانت قد انهزمت أمام الفرس، وهي وثنية، في حروب طاحنة بينهما سنة ٦١٤م، فاغتم المسلمون بسبب أنها هزيمة لدولة متدينة أمام دولة وثنية، وفرح المشركون وقالوا للمسلمين في شماتة

(١) انظر : الإمام محمد أبو زهرة : المعجزة الكبرى القرآن ص٣٤٠، ٣٤١ .

(٢) سورة الروم : ٢–٦.

العدو : إن الروم يشهدون أنهم أهل كتاب وقد غلبهم المجوس، وأنتم تزعمون أنكم ستغلبوننا بالكتاب الذي أنزل عليكم فسنغلبكم كما غلبت فارس الروم. فنزلت الآيات الكريمة يبشر الله فيها المسلمين بأن هزيمة الروم هذه سيعقبها انتصار في بضع سنين، أي مدة تتراوح بين ثلاث سنوات وتسع... وقد راهن بعض المشركين أبا بكر على تحقق هذه النبوءة، ولكن الله تعالى أنجز وعده وتحققت نبوءة القرآن سنة ٦٢٢م الموافقة للسنة الثانية من الهجرة»(١) .

المثال الثاني : من السنة النبوية المطهرة :

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال : قال رسول الله ﷺ : « **قد مات كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله**»(٢) فكان كما أخبر الرسول، وأحداث التاريخ تشهد بذلك.

فهذه الغيوب وغيرها مما أخبر بها رسول الله ﷺ عن طريق الوحي يدفع أهل الكتاب - إن كانوا عقلاء منصفين - إلى الإيمان بالنبي ﷺ والإقرار بنبوته والاستجابة لدعوته، والعمل على تأييده ونصرته، فقد جاءهم بأخبار لا تتوفر لأي أحد معرفتها والاطلاع عليها، فلما توفر ذلك للرسول ﷺ دل على ثبوت نبوته وصدق رسالته.

تاسعًا : إقامة الحجة عليهم عن طريق شهادة بعض علمائهم :

من بين الأساليب والوسائل التي اتبعها القرآن الكريم في دعوته أهل الكتاب إلى الإيمان به ﷺ إخبارهم بشهادة علمائهم وأسيادهم على صدق النبي ﷺ . قال

---

(١) انظر: الزرقاني : مناهل العرفان، جـ٢ ص٣٦٩، والنيسابوري : أسباب النزول، ص١٥٧، ١٥٨، والإمام القرطبي : الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، وإظهار محاسن دين الإسلام، تحقيق : د/أحمد حجازي السقا (دار التراث العربي، القاهرة) جـ٣ ص٣٣٧، ٣٣٨.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي : كتاب الفتن وأشراط الساعة، جـ١٨ ص٤٣.

الله تعالى : ﴿ ويقول الذين كفروا لست مرسلاً قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب ﴾(١) . وقوله : ﴿ قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم إن الله لا يهدي القوم الظالمين ﴾(٢) . وقوله تعالى : ﴿ ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون (٨٢) وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين ﴾(٣). وقوله سبحانه : ﴿ الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون (٥٢) وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين ﴾(٤) .

والآيات الكريمة تبين أنه قد شهد للنبي ﷺ وما يدعو إليه العدول من أهل الكتاب، فلا يقدح جحود أي كافر أو مكذب بعد ذلك. قال ابن عباس – رضي الله عنهما – عن قوله تعالى : ﴿ ومن عنده علم الكتاب ﴾ « هم من اليهود والنصارى » وهو يشمل علماء أهل الكتاب الذين يجدون صفة محمد ﷺ ونعته في كتبهم المتقدمة من بشارات الأنبياء به، كما قال الله تعالى : ﴿ الذين يتبعون الرسول النبي الأمي ﴾ وقال أيضا : ﴿ أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل ﴾ وأمثال ذلك مما فيه الإخبار عن علماء بني إسرائيل أنهم يعلمون ذلك في كتبهم المنزلة »(٥) .

يقول ابن القيم في تعليقه على الآيات الكريمة السابقة مبيناً وجه الاستشهاد بها على صحة نبوة النبي ﷺ : « وإذا شهد واحد من هؤلاء لم يوزن به ملء الأرض من الكفرة، ولا تعارض شهادته بجحود أضعاف أضعاف المكذبين له

(١) الرعد : ٤٣ .
(٢) الأحقاف : ١٠ .
(٣) المائدة : ٨٢، ٨٣.
(٤) القصص : ٥٢، ٥٣.
(٥) مختصر تفسير ابن كثير جـ٢ ص٢٨٨ .

منهم.. وعلماء أهل الكتاب إن لم يدخل فيهم من لم يعمل بعلمه فليس علماؤهم إلا من آمن به وصدقه، وإن دخل فيهم من علم ولم يعمل كعلماء السوء لم يكن إنكارهم لنبوته قادحًا في شهادة العلماء العاملين بعلمهم»(١) .

وقد وبخ الله العرب الكافرين على عدم إيمانهم برسالة محمد ﷺ مع وجود آية عظيمة تدل على صدق نبوته، وثبوت رسالته، وهي معرفة علماء بني إسرائيل وشهادتهم له بأنه نبي الله، وما جاء به هو من عند الله(٢) قال تعالى : ﴿ **أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ** ﴾(٣) والاستفهام هنا للتوبيخ والتقريع، أي أو لم يكن لكفار مكة علامة على صحة ما جاء به النبي ﷺ، وهو القرآن ﴿ **أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ** ﴾ أي أن يعلم ذلك علماء بني إسرائيل الذين يجدون ذكر هذا القرآن في كتبهم كعبد الله بن سلام وأمثاله»(٤) .

ومن شهادة من آمنوا بالنبي ﷺ من علماء أهل الكتاب نكتفي بشهادة عالمين من علمائهم هما عبدالله بن سلام، والنجاشي ملك الحبشة.

أخرج البخاري عن أنس بن مالك قال : سمع عبدالله بن سلام بمقدم رسول الله ﷺ وهو في أرض يخترف (أي يجني ثمارها) فأتى النبي ﷺ فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي : فما أول أشراط الساعة ؟ وما أول طعام أهل الجنة ؟ وما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى أمه ؟ قال : « **أخبرني بهذه جبريل آنفًا** » قال : جبريل ؟ قال: « **نعم** » قال : ذاك عدو اليهود من الملائكة، فقرأ هذه الآية : ﴿ **قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ** ﴾ « **أما أول أشراط الساعة : فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة : فزيادة كبد**

---

(١) ابن القيم : هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى (دار الريان للتراث) ص١١١ .

(٢) أبو بكر الجزائري : عقيدة المؤمن، ص٢٣٨ .

(٣) الشعراء : ١٩٧ .

(٤) محمد علي الصابوني : صفوة التفاسير جـ١٠ ص٣٩٥ .

الحوت، وإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نَزَع الولد، وإذا سبق ماء المرأة نزعت» قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله. يا رسول الله: إن اليهود قوم بهت، وإنهم إن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم يبهتوني، فجاءت اليهود، فقال لهم رسول الله ﷺ: «**أي رجل فيكم عبدالله بن سلام؟** قالوا: خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا، قال لهم: «**أرأيتم إن أسلم؟**» قالوا: أعاذه الله من ذلك، فخرج عبدالله بن سلام، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، فقالوا: هو شرنا وابن شرنا، وانتقصوه، فقال: هذا الذي كنت أخاف يا رسول الله»(١).

وفي رواية أخرى: تبين أنه لما خرج عبدالله بن سلام على اليهود - وذلك بعد إسلامه بالنبي ﷺ - دعاهم إلى الإيمان بالنبي كما آمن هو، حيث قال لهم: يا معشر اليهود اتقوا الله، فو الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنه رسول الله ﷺ وأنه جاء بحق، فقالوا: كذبت، فأخرجهم رسول الله ﷺ(٢).

وأما النجاشي - ملك الحبشة - واسمه أصحمة بن الأبحر «فقد اتفق الرواة على أن النجاشي قال بعد أن قرأ كتاب رسول الله ﷺ: أشهد بالله أنه النبي الأمي... الذي ينتظره أهل الكتاب.. وأن بشارة موسى براكب الحمار كبشارة عيسى براكب الجمل... وأن العيان ليس بأشفى من الخبر»(٣).

ثم كتب النجاشي كتاباً إلى رسول الله أعلمه فيه أنه أسلم وشهد أن لا إله إلا الله، وأنه رسول الله، وذكر أن ما جاء به الرسول ﷺ لا يزيد شيئاً على ما جاء به عيسى عليه السلام (أي في الأصل). وقد تحدث عن إسلام النجاشي كثيرٌ من

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾ جـ٣ ص٩٨، ٩٩.

(٢) انظر: ابن هشام: السيرة النبوية جـ٢ ص١١٤، ١١٥، والبداية والنهاية جـ٣ ص٢٤٩ وما بعدها، وأبو الحسن بن عبدالله السمهودي: وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى (مطبعة الآداب والمؤيد سنة ١٣٢٦هـ) ص١٩٤، ١٩٥.

(٣) عبدالسلام بدوي: من أنباء الرسل جـ٢ ص٣٢١.

المصادر الإسلامية المعتمدة[١].

وفي النجاشي وغيره ممن أسلموا معه نزل قول الله تعالى : ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ الآيات[٢].

وقد روي أن النبي ﷺ أمر الصحابة أن يصلوا وراءه على النجاشي بعد أن علم بموته.

فروي عن أبي هريرة رضي الله عنه : «أن رسول الله ﷺ نعى للناس النجاشي في اليوم الذي مات فيه، فخرج بهم إلى المصلى وكبر أربع تكبيرات»[٣].

فعلماء أهل الكتاب أعلم بالكتب من غيرهم، وأعرف بالرسل وعلاماتهم فلما جاءهم الرسول ﷺ وتحققوا منه وعرفوه آمن به العقلاء منهم وصدقوه، وقالوا : ﴿ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾.

عاشراً : إقامة الحجة عن طريق الاستشهاد بهم على وجوب الإيمان بالنبي ﷺ :

من بين الأدلة القاطعة التي أقامها القرآن الكريم في دعوة أهل الكتاب إلى الإيمان بالنبي ﷺ دليل الاستشهاد بالذين عندهم علم من الكتاب على وجوب الإيمان به ﷺ. فنرى أن القرآن يقيم عليهم الحجة مرة ببيان شهادة علمائهم (كما تبين في النقطة السابقة) ومرة أخرى عن طريق الاستشهاد بهم، وهذا نوع من

(١) انظر : ابن الأثير : أسد الغابة في معرفة الصحابة (ط طهران، ١٣٣٤هـ) جـ٤ ص٨٦، وابن حجر العسقلاني : الإصابة في تمييز الصحابة (القاهرة، ١٣٢٣هـ) جـ١ ص٣٤٨، وابن جرير الطبري : تاريخ الرسل والملوك (ط دار المعارف، ١٩٦١م) جـ٢ ص٦٥٣. وابن الأثير : الكامل في التاريخ (بيروت ١٩٨٥هـ) جـ٢ ص٢١٣.

(٢) المائدة : ٨٢، ٨٣.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي : كتاب الجنائز، باب التكبير على الجنازة جـ٧ ص٢٢. وأخرجه الإمام مالك في الموطأ (المكتبة العلمية) في باب الصلاة على الميت بعد ما يدفن ص١١٢.

أنواع الأدلة التي ساقها إليهم.

قال القرآن: ﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾(١).

قيل: إن الخطاب في الآية وإن يكن موجهًا للنبي ﷺ فهو في الحقيقة موجه للسامعين، وهذا مما جرى عليه الأسلوب القرآني كثيراً، والمتبادر أنه ينطوي على تقرير استعداد أهل الكتاب للشهادة بصحة التنزيل القرآني؛ كما فيه تقرير طبيعة الوحدة بين القرآن والكتب السماوية أولاً، والاعتماد على أهل هذه الكتب بالشهادة الإيجابية ثانيًا(٢).

وإن كان الخطاب موجهًا للنبي ﷺ - خاصة - فقد أجاد صاحب الكشاف في توضيح هذا المعنى بقوله: «فإن قلت: كيف قيل لرسول الله ﷺ: ﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ ﴾ مع قوله في الكفرة ﴿ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴾ قلت: فرق عظيم بين قوله: ﴿ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴾، بإثبات الشك لهم على سبيل التأكيد والتحقيق وبين قوله: ﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ ﴾ بمعنى الفرض والتمثيل، كأنه قيل: فإن وقع لك شك مثلاً وخيل لك الشيطان خيالاً منه تقديراً ﴿ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ ﴾ والمعنى: أن الله عز وجل قدم ذكر بني إسرائيل وهم قراء الكتاب، ووصفهم بأن العلم قد جاءهم؛ لأن أمر رسول الله مكتوب عندهم في التوراة والإنجيل وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، فأراد الله أن يؤكد عليهم بصحة القرآن وصحة نبوة محمد ﷺ، ويبالغ في ذلك، فقال: فإن وقع لك شك فرضًا وتقديراً، وسبيل من خالجته شبهة في الدين أن يسارع إلى حلها وإماطتها إما بالرجوع إلى قوانين الدين وأدلته، وإما بمقادحة العلماء المنبهين على الحق، فسل علماء أهل الكتاب: يعني أنهم من الإحاطة بصحة ما أنزل إليك

(١) يونس: ٩٤.

(٢) انظر: محمد عزة دروزة: سيرة الرسول ﷺ جـ١ ص٣٣٢.

وقتلها علمًا بحيث يصلحون لمراجعة مثلك ومساءلتهم فضلاً عن غيرك، فالغرض وصف الأحبار بالرسوخ بصحة ما أنزل إلى رسول الله لا وصف رسول الله بالشك فيه»(١).

ومن مزايا هذا التعبير القرآني البليغ، تكثير الدلائل وتقويتها، لتزداد قوة ورسوخًا في القلب، وإقامة الحجة الإلزامية على صدق ما يريد الإنسان إثباته أو نفيه، كما هو الحال في هذه الآية الكريمة، فإنها أقامت الحجة على أهل الكتاب بأنهم يعلمون عن طريق كتبهم - صدق النبي ﷺ - وليس في مقدورهم إنكار ذلك(٢).

وبذلك تكون الآية الكريمة قد أقامت الحجة على أهل الكتاب بأنهم يعرفون النبي ﷺ معرفة تامة، وذلك عن طريق كتبهم، ولو طبقوا ما فيها لسارعوا إلى الإيمان بالنبي ﷺ.

حادي عشر: تذكيرهم بالعهد المؤكد الذي أخذه الله على النبيين للإيمان بالنبي ﷺ ونصرته:

قرر القرآن الكريم أنه من المعلوم لدى أهل الكتاب أن الله تعالى أخذ الميثاق على النبيين وعلى أممهم: لئن جاء محمد ﷺ ليؤمنن به ولينصرنه، وقد دل على ذلك تبشير موسى وعيسى - عليهما السلام - بالنبي شأن كل رسول قبلهما.

فقال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي(٣) قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ

(١) جار الله الزمخشري: تفسير الكشاف جـ٢ ص٢٥٢، ٢٥٣.

(٢) انظر: محمد سيد طنطاوي: بنو إسرائيل في القرآن والسنة ص١١٥.

(٣) (إصري) الإصر أصله القيد، ثم سمي العهد أو العقد إصراً؛ لأنه يقيد المتعاقدين ويلزمهم بالتزامات، وسميت التكاليف الشاقة إصراً؛ لأنها تمنع المكلف وتعوقه عن القيام بما كلف به، والمراد به هنا العهد (محمد السيد الداودي: من كنوز القرآن ص٣٣، ط دار المعارف).

ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾(١) .

قال ابن عباس – رضي الله عنهما : (ما بعث الله نبيًا من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث الله محمداً وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه، وأمره أن يأخذ على أمته الميثاق لئن بُعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به وليتبعنه)(٢) .

والمقصود من الآيتين « تعديد تقرير الأشياء المعروفة عند أهل الكتاب مما يدل على نبوة محمد ﷺ قطعًا لعذرهم وإظهاراً لعنادهم. ومن جملتها ما ذكره الله تعالى في الآية، وهو أنه تعالى أخذ الميثاق من الأنبياء الذين آتاهم الكتاب والحكمة بأنهم كلما جاءهم رسول مصدق لما معهم – وإن كان ناسخًا لبعض أحكامهم بما ولت الحكمة على اقتضاء الزمان ذلك – آمنوا به ونصروه – أيضًا – مبالغة في تشهير أمره، ولا يمنعهم ما هم فيه من العلم والنبوة من اتباع شرعه ونصره، وأخبر أنهم قبلوا ذلك، وحكم بأن من رجع منهم عن ذلك كان من الفاسقين »(٣) .

وذكر – أيضًا – أن المراد بالميثاق هو الميثاق الذي أخذه الأنبياء من أممهم للإيمان بمحمد ﷺ ونصرته إذا بُعث، وهذا قول كثير من العلماء، يقول أحدهم : « إن ظاهر الآية يدل على أن الذين أخذ الله منهم الميثاق يجب عليهم الإيمان بالنبي ﷺ عند مبعثه، وكل الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام) يكونون عند مبعث محمد ﷺ من زمرة الأموات، والميت لا يكون مكلفًا، فلما كان الذين أخذ عليهم الميثاق يجب عليهم الإيمان بمحمد ﷺ عند مبعثه، ولا يمكن إيجاب ذلك على الأنبياء عند مبعث محمد ﷺ .. علمنا أن الذين أخذ الميثاق عليهم ليسوا هم النبيين، بل هم أمم النبيين. وقال : ومما يؤكد هذا أنه تعالى حكم على

---

(١) آل عمران : ٨١، ٨٢.

(٢) البداية والنهاية جـ٦ ص ١٧٦

(٣) الشيخ جمال الدين القاسمي : محاسن التأويل (ط عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة) جـ٤ ص٨٧٥، ٨٧٦ .

الذين أخذ عليهم الميثاق، أنهم لو تولوا لكانوا فاسقين، وهذا الوصف لا يليق بالأنبياء – عليهم السلام – وإنما يليق بالأمم»(١) والله تعالى أعلم بمراده.

وقوله : ﴿ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ﴾.

«الإقرار في اللغة : منقول بالألف من قر الشيء يقر، إذا ثبت ولزم مكانه. وأقره غيره، والمقر بالشيء يقره على نفسه أي يثبته»(٢) . ومعنى ﴿ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ﴾ أي قبلتم على ذلكم عهدي بالإيمان بمحمد ﷺ ﴿ قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ توكيد على من أخذ الله منهم الميثاق.

قال صاحب محاسن التأويل : «ومن أمعن في نهج الآية علم أن هذا الميثاق قد بولغ في شأنه غاية المبالغة، وإذا كان هذا الإيجاب مع الأنبياء فمع أممهم أولى»(٣).

وبذلك يكون قد تبين أن الإيمان بالنبي ﷺ واجب على أهل الكتاب وفاء بالعهد المأخوذ عليهم في أن يؤمنوا به وينصروه، فإذا لم يوف هؤلاء بالعهد فقد دخلوا في دائرة الفاسقين، ﴿ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾.

ثاني عشر : تنبيههم إلى عالمية دعوة النبي ﷺ :

بينما يقرر القرآن الكريم أن الرسالات السابقة كانت لقوم كل نبي خاصة، تجده ينص بكل وضوح على أن رسالة النبي ﷺ ودعوته التي جاء بها موجهة للناس جميعًا، فتنبيههم إلى عالمية الدعوة إعلان بأن الإسلام دين للبشرية كلها؛ لأنه دين كامل متكامل يعم الناس جميعًا في كل زمان ومكان، وقد قرر القرآن ذلك في كثير من آياته منها :

١- قال الله تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ

---

(١) جمال الدين القاسمي : محاسن التاويل جـ٤ ص٨٧٦، ٨٧٧.

(٢) الإمام الفخر الرازي : مفاتيح الغيب جـ٤ ص٣١٠.

(٣) جمال الدين القاسمي : محاسن التاويل جـ٤ ص٨٧٦.

مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾(١) .

٢- وقال سبحانه : **﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾**(٢) .

٣- وقال عز وجل : **﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً﴾**(٣) .

٤- وقال تعالى : **﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾**(٤) .

٥- وقال : **﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيداً﴾**(٥) .

فتلك الآيات القرآنية الكريمة وغيرها، دليل قاطع على أن دعوة النبي ﷺ موجهة للناس جميعًا في كل زمان ومكان. ورد على من يزعم أنها خاصة بالعرب فقط دون غيرهم، فدعوته ﷺ «ليست موقوتة بعصر معين أو زمن مخصوص، تنتهي بانتهائه، كما هو الشأن في رسالات الأنبياء السابقين على محمد ﷺ»(٦) .

وقد ورد عدد كثير من أحاديث النبي ﷺ يؤكد هذه الحقيقة، نكتفي منها بالشاهد والمثال .

١- ما روي عن جابر بن عبدالله الأنصاري قال : قال رسول الله ﷺ **« أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد قبلي : كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت**

---

(١) الأعراف : ١٥٨.

(٢) الأنبياء : ١٠٧.

(٣) الفرقان : ١.

(٤) سبأ : ٢٨.

(٥) الفتح : ٢٨.

(٦) د/يوسف القرضاوي : الخصائص العامة للإسلام (ط مؤسسة الرسالة) ص١٠٥.

إلى كل أحمر وأسود، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وجعلت لي الأرض طيبة طهوراً ومسجداً، فأيما رجل أدركته الصلاة صلى حيث كان، ونصرت بالرعب بين يدي مسيرة شهر، وأعطيت الشفاعة»(١) .

٢- وما روي عن عرباض بن سارية، صاحب رسول الله ﷺ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**إني عبدالله وخاتم النبيين وأبي منجدل في طينته ورؤيا أمي التي رأت، وكذلك أمهات النبيين يرين، وأن أم رسول الله ﷺ رأت حين وضعته نوراً أضاءت له قصور الشام، ثم تلا ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً ﴿٤٥﴾ وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً ﴾**(٢) »(٣) .

وهكذا يقرر القرآن والسنة المطهرة أن رسالته ﷺ خاتمة الرسالات السماوية، فمحمد بن عبدالله هو خاتم الأنبياء والمرسلين؛ إذ يقول الله تعالى : **﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً ﴾**(٤) .

« فمحمد رسول الله وخاتم النبيين بمنطوق هذه الآية، والقرآن الكريم هو الكتاب المنزل عليه، فهو آخر الكتب السماوية؛ إذ لا رسول بعده »(٥) .

ويلزم من كونه ﷺ خاتم النبيين كونه خاتم المرسلين، والمراد بكونه عليه الصلاة والسلام خاتمهم انقطاع حدوث وصف النبوة في أحد الثقلين بعد تحليه عليه الصلاة والسلام بها في هذه النشأة(١) .

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي : كتاب المساجد ومواضع الصلاة جـ٥ ص٣، ٤ .

(٢) الأحزاب : ٤٥، ٤٦ .

(٣) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده (دار صادر، بيروت) جـ٤ ص١٢٧، ١٢٨، والحاكم في المستدرك جـ٢، ص٦٠، وقال : (هذا حديث صحيح الإسناد وأقره الذهبي، وذكره الهيثمي في (مجمع الزوائد) جـ٨، ص٢٢٣، وقال: (رواه أحمد والطبراني، والبزار) وذكره البيهقي في دلائل النبوة جـ٢ ص١٣٠ .

(٤) الأحزاب : ٤٠ .

(٥) حنفي أحمد : التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن (ط دار المعارف، ط الثالثة ١٩٨٠م).

يقول نظمي لوقا : لقد تمت فكرة التوحيد، وتم خطاب العقل وتم البلاغ إلى الناس كافة أحمرهم وأسودهم، وتمت كرامة الإنسان وصلته بربه وبدنياه، وتركت لهم مصالحهم المرسلة يعالجونها على ذلك الأساس حسبما يستجد لهم من أمور، فكل رسالة بعد ذلك قول معاد ليس فيه جديد سيفاد. وبسبب من طبيعة الرسالة ومن الحاجة الطبيعية للناس إليها كان من الطبيعي أن يكون هذا الرسول - سيدنا محمد ﷺ - خاتم الرسل؛ لأن رسالته كانت خاتمة الرسالات(٢) .

فعقيدة ختم النبوة والرسالة حقيقة يؤيدها العقل وينطق بها الواقع وتشهد لها أحداث التاريخ.

ولما كانت رسالته ﷺ هي الرسالة العامة وكان خاتمًا للنبيين ورحمة للعالمين، فقد اقتضى ذلك أن تبلغ دعوته كل أقطار الأرض، ولهذا أرسل - عليه السلام - في ذي الحجة من السنة السادسة للهجرة - وبعد عودته من الحديبية - الكتب إلى الملوك والرؤساء، فبعث دحية الكلبي إلى هرقل إمبراطور الروم، وعبدالله بن حذافة السهمي إلى كسرى فارس، وعمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي ملك الحبشة، وحاطب بن أبي بلتعة اللخمي إلى المقوقس عامل هرقل على مصر، وغيرهم.

وقد بلغت بعوث النبي ﷺ هذه حداً من الفقه والحصافة يستحق الإعجاب البالغ(٣) .

نخلص من ذلك أن رسالة النبي ﷺ جبت ما قبلها من الرسالات، وقد حوت الرسالة الخاتمة ما في الرسالات السابقة من مبادئ وزادت عليها ما تحتاجه البشرية في كل جوانب الحياة طول مسيرتها المديدة إلى يوم الدين(١) .

---

(١) الألوسي : روح المعاني جـ٢٢ ص٣٤.

(٢) محمد الرسالة والرسول (طبع دار الكتب الحديثة، القاهرة، ط الثانية ١٩٥٩م) ص٩٣، وانظر : أبو الحسن الندوي : النبي الخاتم ﷺ (المختار الإسلامي، ط الأولى ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م) ص٤٦.

(٣) ابن سعد : الطبقات الكبرى جـ١ ص٢٦٠، وانظر : محمد الغزالي : فقه السيرة (دار الريان للتراث، ط الأولى، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م) ص٣٧٩.

وأن رسالة الإسلام هي الواجب اعتناقها والإيمان بصاحبها ﷺ .

ثالث عشر : إعلامهم بشهادة الله تعالى وملائكته بالنبوة لمحمد ﷺ :

ساق القرآن الكريم دليلاً من الأدلة الواضحة يدعو فيه أهل الكتاب إلى الإيمان بسيدنا محمد ﷺ ، وهو : إعلامهم بشهادة الحق عز وجل وملائكته بنبوة الرسول ﷺ وصدقه في كل ما ينطق به، وإنها لشهادة مغنية عن كل شهادة . قال سبحانه : ﴿ **لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيداً** ﴾(٢) ، وشهادته وحده كافية بدون ما ينتظر من الآيات كما قال تعالى : ﴿ **قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ** ﴾(٣) وقد وصف الله عز وجل من كتم شهادته – سبحانه – لنبيه ﷺ بأنه لا أحد أظلم منه فقال : ﴿ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ** ﴾(٤) وهؤلاء هم أهل الكتاب كتموا ما أخبر به – سبحانه – في كتبهم، عن صفة النبي ﷺ وبعثته ورسالته .

ولولا قبح النفوس وحمقها، وظلمات الجهل بالله تعالى التي تطمس قلوب كثير من الناس ما ذكر مع شهادة الله تعالى شاهد أبداً . فنقضي على ما ذكر من شهادات بشهادة الله تعالى؛ لتكون مسك الختام، والتي لا تُرَدُّ من رجل عاقل أبداً .

وشهادة الله تعالى لنبيه ﷺ تنقسم قسمين :

الأول : شهادة إخبار .   الثاني : شهادة معجزات .

فشهادة الإخبار : وهي إخباره – سبحانه – في كتابه عن اصطفائه رسوله

---

(١) انظر : د/أحمد شلبي : الإسلام (مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط الثانية، ١٩٨٥م) ص١١٦ .

(٢) النساء : ١٦٦ .

(٣) الرعد : ٤٣ .

(٤) البقرة : ١٤٠ .

محمداً ﷺ بالنبوة، وتأييده له، من ذلك قوله تعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾(١) وقوله : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً ﴾(٢) . وقوله سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً ﴿٤٥﴾ وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً ﴾(٣) . وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ وَإِن لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾(٤). وقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْراً لَكُمْ ﴾(٥). وقوله : ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾(٦) .

فهذه الآيات دليل واضح يبين شهادة الله تعالى لنبيه ﷺ بأنه نبي ورسول يوحى إليه من عنده – سبحانه – .

أما شهادة المعجزات : فهو كل أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي، سالم عن المعارضة(٧) .

و« لقد أكرم الله نبيه محمداً ﷺ بالعديد من الآيات والمزيد من البراهين الساطعة المؤيدة لرسالته الناطقة بصدقه الدامغة لأعدائه ومكذبيه، وأظهر على يديه الكثير من الخوارق شاهدة على صدقه، معلنة نبوته، مؤكدة أنه رسول الله، وأعظم تلك الآيات والبراهين هذا القرآن الكريم الذي أنزله عليه وقد كان أميًّا لا يعرف القراءة ولا الكتابة، فإنه أكبر آية وأعظم برهان عرفه الوجود البشري »(١).

---

(١) الفتح : ٢٩.

(٢) البقرة ١١٩.

(٣) الأحزاب : ٤٥، ٤٦ .

(٤) المائدة : ٦٧.

(٥) النساء : ١٧٠.

(٦) الأنعام : ١٢٤.

(٧) الإمام السيوطي : الإتقان في علوم القرآن (المكتبة الثقافية بيروت – لبنان ١٩٧٣م) جـ٢ ص١٦٦ .

فإن القرآن معجزة قاهرة، فهو قول الله تعالى، وفيه شهادة الله بما أخبر به الرسول ﷺ، فإنزاله على محمد وإتيانه به آية وبرهان، وذلك من فعل الله، إذ كان البشر لا يقدرون على مثله كما قال الله تعالى : ﴿ **قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا** ﴾(٢) . (٣) .

وقد أكد هذه الحقيقة النبي ﷺ في قوله : « **ما من نبي من الأنبياء إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أوتيته وحيًا أوحى الله إلى، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة** »(٤) . « فكان القرآن يساوي جميع ما أوتيه الأنبياء قبله ﷺ من الآيات والبراهين ويعادلها كلها، بل يفوقها في الدلالة على الصدق وعلى ثبوت الرسالة »(٥) . والقرآن الكريم يكفي وحده لإثبات نبوة محمد ﷺ لقوله تعالى : ﴿ **وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٥٠ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ** ﴾(٦) .

وإنما صار القرآن معجزًا؛ لأنه جاء بأفصح الألفاظ، وفي أحسن نظام وتأليف، متضمنًا أصح المعاني من توحيد الله وتنزيهه في صفاته والدعوة إلى طاعته، وبيانه لطريق عبادته من تحريم وتحليل وغير ذلك... وقد ذكر العلماء للقرآن الكريم وجوهًا كثيرة من الإعجاز منها؛ الأسلوب البديع، والإخبار بأحوال المستقبل الآتية، والدرجة العالية في البلاغة مما ليس مقدورًا للبشر(١) . وهذا بلا شك غيض من فيض، وقليل من كثير من وجوه إعجاز القرآن الكريم.

---

(١) عبدالله بن حمد الشبانة : يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء (دار الهدى للنشر، الرياض، ط الأولى ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م) ص٩٩.

(٢) الإسراء : ٨٨.

(٣) انظر : الشيخ جمال الدين القاسمي الدمشقي : دلائل التوحيد، (مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مطبعة المدني، ط الأولى، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م) ص١٦٧.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي : باب وجوب الإيمان برسالة النبي ﷺ جـ٢ ص١٨٦.

(٥) عبدالله الشبانة : يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء ص١٠١.

(٦) العنكبوت : ٥٠، ٥١.

وهناك آيات كثيرة تدعو أهل الكتاب إلى الإيمان بالقرآن الكريم معجزة الرسول ﷺ الكبرى، منها :

قوله تعالى : ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾(٢) .

وفي الآية تنبيه لأهل الكتاب إلى أن القرآن الكريم الذي أنزله الله على رسوله محمد ﷺ مصدق للكتب السماوية السابقة بما فيهم كتبهم - التوراة والإنجيل - ومهيمناً عليها .

فقوله سبحانه : ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ﴾ أي أنه مصدق لأصله السماوي . ومقر للحق الذي جاء فيه ومبطل للباطل الذي دخل عليه؛ ولذلك نرى أن « جميع الكتب المنزلة من عند الله تعالى لا دخل فيها للأنبياء عليهم السلام .. ولا دخل فيها للملك، وكلام الله لا يحصر ولا ينفد أبداً، وكلامه لا يشبهه كلام المخلوقين »(٣) . وهو يصدق بعضه بعضاً، فأصول ما أنزله الله تعالى واحد، فحينما قال الله تعالى : ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾(٤) . إنما يؤكد حقيقة عقدية، الحقيقة العقدية التي لا تتغير مع كل رسول أبداً، وإن تغيرت بعض التشريعات، فإنما هو التغير المناسب للبيئات .. أما الأسلوب العقدي، أما الصلة الشعائرية التي بين الله وعباده، فهذا قاسم مشترك بين كل الديانات »(١) .

فقوله : ﴿بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ تعبير عن أسبقية وتقدم الكتب الإلهية السابقة على القرآن الكريم .

---

(١) انظر : القاضي عياض : الشفا بتعريف حقوق المصطفى (دار الفكر، بيروت - لبنان) جـ١ ص٢٦٠ وما بعدها، والشيخ رحمة الله الهندي : إظهار الحق جـ٣ ص٧٨٦ وما بعدها، ومجلة العربي الكويتية : (عدد ٤٤٦ السنة ٣٩ يناير ١٩٩٦م) ص ٥٢ وما بعدها .

(٢) المائدة : ٤٨ .

(٣) فتحي عبدالفضيل بن علي : تحت لواء القرآن (المطبعة الإسلامية بالقاهرة سنة ١٤٠٦هـ) ص٧٧ .

(٤) سورة الأعلى : ١٨، ١٩ .

﴿ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ المهيمن. هو الأمين والشاهد والحاكم، فالقرآن هو الأمين والشاهد والحاكم على كل كتاب سماوي قبله.

قال الدكتور محمد عبدالله دراز : « أضاف القرآن الكريم إلى كونه مصدقًا لما بين يديه من الكتاب صفة أخرى إذ أعلن أنه جاء أيضًا مهيمنًا على تلك الكتب، أي حارسًا أمينًا عليها . . . ومن قضية الحراسة الأمينة على تلك الكتب، ألا يكتفي الحارس بتأييد ما خلده التاريخ فيها من حق وخير، بل عليه فوق ذلك أن يحميها من الدخيل الذي عساه أن يضاف إليها بغير حق، وأن يبرز ما تمس الحاجة إليه من الحقائق التي عساها أن تكون قد أخفيت منها. وهكذا كان من مهمة القرآن أن ينفي عنها الزوائد، وأن يتحدى من يدعي وجودها في تلك الكتب ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ . . . فعلاقته تصديق لما بقى من أجزائها الأصلية، وتصحيح لما طرأ عليه من البدع والإضافات الغريبة عنها »(٢).

وجملة القول، فإن هذا التصديق يدعو أهل الكتاب إلى المسارعة والإيمان بالقرآن وبالنبي ﷺ.

ويقول الله تعالى في آية أخرى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ﴾(٣) .

وللأستاذ الدكتور محمد عبدالله دراز كلام رصين عند حديثه عن هذه الآيات فقال – رحمه الله – :

« يقول الله تعالى في ذكر حجاج اليهود : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ

(١) الشيخ محمد متولي الشعراوي : المختار من تفسير القرآن العظيم (ط دار الجيل، القاهرة، نشر مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة) جـ١ ص١٨.

(٢) الدين (بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان) (سنة ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م، مطبعة السعادة، القاهرة) ص١٨٩.

(٣) البقرة : ٩١.

تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين﴾.

هذه قطعة من فصل من قصة بني إسرائيل، والعناصر الأصلية التي تبرزها لنا هذه الكلمات القليلة تتلخص فيما يلي:

١- مقالة ينصح بها الناصح لليهود؛ إذ يدعوهم إلى الإيمان بالقرآن.

٢- إجابتهم لهذا الناصح بمقالة تنطوي على مقصدين.

٣- الرد على هذا الجواب بركنيه من عدة وجوه.

وأقسم لو أن محاميًا بليغًا وُكلت إليه الخصومة بلسان القرآن في هذه القضية، ثم هدى إلى استنباط هذه المعاني التي تختلج في نفس الداعي والمدعو لما وسعه في أدائها أضعاف أضعاف هذه الكلمات، ولعله بعد ذلك لا يفي بما حولها من إشارات واحتراسات وآداب وأخلاق. قال الناصح لليهود: آمنوا بالقرآن كما آمنتم بالتوراة، ألستم قد آمنتم بالتوراة التي جاء بها موسى؛ لأنها أنزلها الله؟ فالقرآن الذي جاء به محمد ﷺ أنزله الله، فآمنوا به كما آمنتم بها. فانظر كيف جمع القرآن هذا المعنى الكثير في هذا اللفظ الوجيز: ﴿آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾، وسر ذلك أنه عدل بالكلام عن صريح اسم القرآن إلى كتابته، فجعل دعاءهم إلى الإيمان به دعاءً إلى الشيء بحجته، وبذلك أخرج الدليل والدعوى في لفظ واحد. ثم انظر كيف طوى ذكر المنزل عليه فلم يقل: آمنوا بما أنزل الله (على محمد). مع أن هذا جزء متمم لوصف القرآن المقصود بالدعوة أتدري لم ذلك؟ لأنه لو ذكر لكان في نظر الحكمة البيانية زائداً، وفي نظر الحكمة الإرشادية مفسداً؛ أما الأول: فلأن هذه الخصوصية لا مدخل لها في الإلزام، فأدير الأمر على القدر المشترك وعلى الحد والأوسط الذي هو عمود الدليل، وأما الثاني: فلأن إلقاء هذا الاسم على مسامع الأعداء من شأنه أن يخرج أضعانهم ويثير أحقادهم، فيؤدي إلى عكس ما قصده الداعي من التأليف والإصلاح.. وكان جواب اليهود أن قالوا: إن الذي دعانا

للإيمان بالتوراة ليس هو كونها أنزلها الله فحسب، بل إننا آمنا بها؛ لأن الله أنزلها علينا، والقرآن لم ينزله علينا، فلكم قرآنكم ولنا توراتنا، ولكل أمة شرعة ومنهاجًا. هذا هو المعنى الذي أوجزه القرآن في قوله تعالى: ﴿نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ وقد زاد في إيجاز هذه العبارة أن حذف منها فاعل الإنزال وهو لفظ الجلالة؛ لأنه تقدم ذكره في نظيرتها. ثم تراه لا يبدأ بمحاورتهم في دعوى إيمانهم بكتابهم، بل يتركها مؤقتًا كأنها مسلمة ليبني عليها وجوب الإيمان بغيره من الكتب فيقول: كيف يكون إيمانهم بكتابهم باعثًا على الكفر بما هو حق مثله ؟ لا بل ﴿وَهُوَ الْحَقُّ﴾ كله، وهل يعارض الحق الحق حتى يكون الإيمان بأحدهما موجبًا للكفر بالآخر ؟..

والقرآن مصدق لما هو قائم من الكتاب في زمنهم وبأيديهم ويدرسونه بينهم، فبماذا يعتذرون، وأنى يذهبون ؟ هذا المعنى كله يؤديه لنا القرآن بكلمة ﴿لِّمَا مَعَهُمْ﴾ فانظر إلى الإحكام في صنعة البيان: إنما هي كلمة رفعت وأخرى وضعت في مكانها عند الحاجة إليها، فكانت هذه الكلمة حسمًا لكل عذر، وسدًا لكل باب من أبواب الهرب... ثم بين أن داء الجحود فيهم داء قديم فقد أشربوه في قلوبهم، ومضت عليه القرون حتى أصبح مرضًا مزمنًا وأن الذي أتوه اليوم من الكفر بما أنزل على محمد ﷺ ما هو إلا حلقة متصلة بسلسلة كفرهم بما أنزل عليهم.. فقال: ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾(١). فصار اليهود بهذا مكذبين لكتابهم نفسه، فعليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

ومن هنا فقد وصمهم القرآن الكريم بالنبذ لكتاب الله واتباع السحر والأوهام الشيطانية، وهذا دأبهم في مختلف العصور. قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ (١٠١) وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ

(١) انظر: د/محمد عبدالله دراز: النبأ العظيم ص١١٣ وما بعدها.

سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ.. ﴾(١) .

وفي الآيات إنكار لما صدر عن اليهود من تكذيب للرسول ﷺ ونبذ لتعاليم الله عز وجل، وكأنهم لا يعلمون أن التوراة تأمرهم باتباع محمد ﷺ والإيمان بما أنزل عليه وهو القرآن، وفي وصف القرآن للرسول بأنه آت من عند الله وأنه مصدق لما معهم من التوراة مبالغة في إنكار عدم إيمانهم، وعبر عن تركهم العمل بالكتاب بالنبذ مبالغة في تركه وعدم الاعتداد به.

فقوله : ﴿ نَبَذَ ﴾ نبذ الشيء نبذاً طرحه ورمى به لقلة الاعتداد به، ويقال: نبذ الأمر : أهمله، ونبذ العهد نقضه، ونبذ الكتاب طرح ما جاء فيه(٢) . وقوله : ﴿ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ تعجيب من شأنهم؛ لأنهم نبذوا الكتاب مع أنهم هم الذين أوتوه، وكان أهون لو كان النابذ غيرهم.

والناظر إلى أقوالهم في مختلف العصور يجد أنهم لم يتمسكوا بتعاليم الكتب السماوية ولم يلتزموا بها، والأمثلة التالية تكشف عن ذلك :

المثال الأول : عدم تمسكهم بالشرائع وتحايلهم على هدمها :

من ذلك قصة أمرهم بذبح البقرة - عند تحاكمهم إلى سيدنا موسى عليه السلام - لمعرفة القاتل الذي قتل شيخًا كبيرًا منهم، قال الله تعالى في سورة البقرة: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ

---

(١) سورة البقرة : ١٠١، ١٠٢.

(٢) محمد أحمد إسماعيل : معجم الألفاظ والأعلام القرآنية ص٢٢٠.

الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾(١) .

فلو أن اليهود لم يعترضوا لأجزأت أدنى بقرة، ولكنهم شددوا فشدد الله عليهم.

وفي الآيات تذكير لليهود المعاصرين للعهد النبوي ليعتبروا ويخضعوا لأوامر الدين وأوامر الأنبياء – عليهم السلام – . فمن الجهل الكبير الاستهزاء بأوامر الدين وأوامر الأنبياء.

ومن ذلك – أيضًا – قصة أصحاب السبت، فهي أكبر دليل على تلاعبهم بأحكام الله تعالى وتفانيهم في حب الدنيا، فقد أخذ الله عليهم عهداً بأن يتفرغوا للعبادة في يوم السبت ولا يشتغلون فيه بطلب الرزق، ولكنهم نقضوا عهد الله تعالى معهم واصطادوا الحيتان فيه؛ وفي ذلك يقول القرآن : ﴿ وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لا يَسْبِتُونَ لا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (١٦٣) وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (١٦٤) فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (١٦٥) فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾(٢) . فمسخ الله المردة قردة، وطردهم من رحمته وأبعدهم عن الصفات التي يكرم بها الإنسان، فإن الخسوء هو الصغار والطرد(١) .

المثال الثاني : نقضهم للعهود والمواثيق المأخوذة عليهم في كتب الله المنزلة عليهم: وقد وبخهم القرآن على ذلك في قول الله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ

(١) البقرة : ٦٧ – ٧٤.

(٢) الأعراف : ١٦٣ – ١٦٦.

تَشْهَدُونَ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ فَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلا هُمْ يُنصَرُونَ﴾(٢) .

وحول هذه الآية التي تكشف عن دقة التعبير القرآني يقول صاحب المنار : «وقد أورد – سبحانه – النهي عن سفك بعضهم دم بعض، وإخراج بعضهم بعضاً من ديارهم وأوطانهم بعبارة تؤكد وحدة الأمة، وتحدث في النفس أثراً شريفاً يبعثهم على الامتثال إن كان هناك قلب يشعر، ووجدان يتأثر، فقال تعالى : ﴿لا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾ فجعل دم كل فرد من أفراد الأمة كأنه دم الآخر عينه، حتى إذا سفكه كان كأنه ذبح نفسه وانتحر بيده وقال : ﴿وَلا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ﴾ على هذا النسق، وهذا التعبير المعجز ببلاغته خاص بالقرآن الكريم»(٣) .

فنقض اليهود عهودهم ولم يوفوا بها، فقتل بعضهم بعضاً، وأخرج بعضهم بعضاً من ديارهم، وتظاهروا على إخوانهم في الاعتداء عليهم بمن ليس على دينهم، فوبخهم الله تعالى على ذلك بقوله : ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ وأصدر حكمه عليهم، وهو الخزي في الحياة الدنيا والعذاب الشديد يوم القيامة.

ومثل ذلك قوله تعالى : ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ الآية(٤)، فخالف اليهود ما كتبه الله عليهم في التوراة عمداً وعناداً.

وقد أخذ عليهم – أيضاً – العهد أن يحملوا التوراة ويؤمنوا بكل ما جاء فيها من عقائد وشرائع، ولكنهم كانوا – كما أخبر القرآن – في قوله تعالى : ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ

(١) انظر: عبدالرحيم فودة : من معاني القرآن (دار الكتاب العربي للطباعة والنشر) ص٢٨٠ .
(٢) البقرة : ٨٤–٨٦.
(٣) محمد رشيد رضا : تفسير المنار جـ١ ص٣٧٢.
(٤) المائدة : ٤٥ .

الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾(١).

ويمثل التشبيه في الآية الدقة في انتقاء التعبير لإعطاء صورة جلية واضحة وهو من خصائص القرآن الكريم(٢) .

والحمار عند العرب مثل للحماقة والبلادة، واتخذه القرآن ليتمثل به علماء اليهود، فالحمار يحمل أثقالاً من الكتب وهو لا يفقه ما فيها، كاليهود يدعون العلم ولا يفقهون ما بالتوراة، وفيها تبشير بالرسول محمد ﷺ(٣) .

ومن هنا أنكر عليهم القرآن دعواهم التمسك بالكتاب في حين أنهم يعرضون عنه عندما يدعون إلى التحاكم إلى ما فيه. قال تعالى : **﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾**(٤) .

وقد قص القرآن الكريم على اليهود الحق والصواب فيما اختلفوا فيه مما يجعلهم يعترفون به ويؤمنون، قال الله تعالى : **﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٧٦) وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ (٧٧) إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ (٧٨) فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾**(١) .

فالقرآن الكريم يقص على اليهود، وهم حملة التوراة أكثر الذي هم فيه يختلفون، كاختلافهم في عيسى عليه السلام، وكاختلافهم في شأن النسخ، وهذا ما سنوضحه بشيء من التفصيل.

---

(١) الجمعة : ٥.

(٢) انظر : سميح عاطف الزين : الأمثال، المثل، والتمثل، والمثلات في القرآن الكريم (دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م) ص٣٦١، ٣٦٢.

(٣) انظر : عمر السلامي : الإعجاز الفني في القرآن (نشر وتوزيع مؤسسات عبدالكريم بن عبدالله) ص١٤٧.

(٤) آل عمران : ٢٣.

اختلاف اليهود في شأن النسخ ورد القرآن عليه :

النسخ في اللغة : الإزالة أو النقل والتحويل(٢) .

وفي اصطلاح أهل الإسلام أو في عرف الشرع : بيان مدة انتهاء الحكم العملي بخطاب، لولا هذا الخطاب لاستمر الحكم على مشروعيته بمقتضى النص الذي تقرر به أولاً(٣) .

واختلاف اليهود في شأن النسخ وجدالهم فيه، بغيتهم من وراء ذلك إثارة الفتنة والطعن في نبوته ﷺ، والتشكيك فيما أنزل عليه من القرآن. فقد جحد اليهود أن يبدل الله آية بآية، أو حكمًا بحكم، وأن يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، وجعلوا هذه الشبهة سدًّا منيعًا في جحدهم لنبوة محمد ﷺ.

وقد رد عليهم القرآن الكريم فيما يلي :

أولاً : قوله تعالى : ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾(١) .

أثبت القرآن الكريم أن النسخ جائز وواقع - مكذبًا اليهود في إنكارهم وقوع

---

(١) النحل : ٧٦ - ٧٩.

(٢) النسخ يأتي في اللغة بمعنيين أساسيين هما : المعنى الأول : الإبطال والإزالة : يقال : نسخت الريح الآثر، ونسخت الشمس الظل، ومنه قوله تعالى : ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ فجاءت كلمة النسخ هنا بمعنى إبطال الشيء وإقامة آخر مقامه. المعنى الثاني : النقل والتحويل : يقال : نسخ الكتاب أي نقله وكتبه حرفًا بحرف، ومنه قوله تعالى : ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي نستنسخ ما تكتب الحفظة فيثبت عند الله، فجاءت كلمة السخ هنا بمعنى نقل الشيء من مكان إلى مكان وهو هو. [لسان العرب (ط دار المعارف) ٤٤٠٧، والقاموس المحيط «البابي الحلبي» جـ١ ص٢٨١، والمعجم الوسيط «مطبعة مصر» جـ٢ ص٩٢٤].

(٣) الشيخ رحمة الله الهندي : إظهار الحق، جـ٣ ص٦٤٣، ود/محمد سيد طنطاوي : بنو إسرائيل في القرآن والسنة، ص١٥٤.

النسخ -، ثم ساق القرآن « جملة كريمة في صورة الاستفهام التقريري، مخاطبًا بها الأمة الإسلامية في شخص نبيها ﷺ؛ لتكون دليلاً على هذا الثبوت، وهذه الجملة هي قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ والمعنى: أن الله - تعالى - متمكن من أن يفعل ما يشاء على الوجه الذي تقتضيه حكمته وإرادته، ومن كان هذا شأنه فله أن يأمر في وقت، ثم ينسخه أو يستبدله بآخر تبعًا لمقتضيات الظروف والأحوال. ثم أقام - سبحانه - الدليل على كمال قدرته وشمولها لكل شيء، فقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾. وإذن فأنتم - أيها اليهود - ما قدرتم الله حق قدره، لزعمكم أن النسخ محال على الله لأن المالك لكل شيء، من حقه أن يمحو ما يشاء، ويثبت ما يريد على حسب ما تقتضيه حكمته ومشيئته. فالآية الكريمة واقعة موقع الدليل على ما تضمنته الجملة السابقة من إحاطة قدرته - سبحانه - بكل شيء. ثم حذر القرآن المؤمنين من الاستماع إلى وساوس اليهود؛ تثبيتًا لقلوبهم، وتقوية لإيمانهم، فقال تعالى: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ...﴾. فالاستفهام في الآية الكريمة للإنكار، وفي أسلوبها مبالغة من التحذير من الوقوع فيما وقع فيه اليهود من تعنت مع رسولهم، إذ جعل محط الإنكار إرادتهم للسؤال، وفي النهي عن إرادة الشيء، فهي عن فعله بأبلغ عبارة(٢).

وبذلك تكون الآيات الكريمة قد ردت على اليهود في إنكارهم للنسخ واعتراضهم على أحكام الله تعالى وأوامره، فلا يمنعه - سبحانه - أي شيء من أن يأمر بشيء لأمة ثم ينهى عنه أمة أخرى أو يحرمه على أمة ويبيحه لأمة أخرى أو يفعل ذلك في الشريعة الواحدة بحسب المصلحة؛ لأنه هو المالك

---

(١) البقرة: ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨.

(٢) انظر: د/محمد سيد طنطاوي: بنو إسرائيل في القرآن والسنة، ص١٥٤، ١٥٥، ١٥٦.

والمتصرف، ينسخ ما يشاء، ويثبت ما يشاء.

ثانيًا : قوله تعالى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاً لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٩٣) فَمَنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٩٤) قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾(١) .

والآية شروع في الرد على اليهود، وبيان أن النسخ الذي أنكروا وقوعه وجوازه قد وقع، فإن الله – تعالى – قد نص في كتابهم التوراة أن نوحًا – عليه السلام – لما خرج من السفينة أباح الله له جميع دواب الأرض يأكل منها، ثم بعد هذا حرم إسرائيل على نفسه لحوم الأبل وألبانها، فاتبعه بنوه فيما حرم على نفسه، وجاءت التوراة بتحريم ذلك، وبتحريم أشياء أخرى زيادة على ذلك، وهذا هو النسخ بعينه(٢) ؛ فلمَ ينكره اليهود ويكذبون وقوعه؟

وقوله : ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ أي إن كنتم تزعمون أن ما حرم عليكم كان حرامًا على من قبلكم من الأمم وليس تحريمًا حادثًا، فالتوراة موجودة بين أيديكم وليست ببعيدة عنكم فأحضروها واقرءوا ما فيها إن كنتم صادقين في مدعاكم، وفي تعبير القرآن بـ ﴿إن﴾ في قوله : ﴿إن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ إشارة إلى عدم صدقهم في الدعوى، وشك في الشرط.

وكان عدم إتيانهم للتوراة « خبر من الله – تعالى – عن كذبهم؛ لأنهم لا يجيئون بذلك أبدًا على صحته، فأعلم الله بكذبهم عليه نبيه ﷺ ، وجعل إعلامه إياه ذلك حجة له عليهم؛ لأن ذلك إذا كان يخفى على كثير من أهل ملتهم، فمحمد ﷺ وهو أمي من غير ملتهم – لولا أن الله أعلمه ذلك بوحي من عنده –

(١) آل عمران : ٩٣ – ٩٥.

(٢) انظر : تفسير ابن كثير : (دار المنار، القاهرة) جـ ١ ص ٣٨٣ ، والإمام ابن القيم : إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان جـ ٢ ص ٣١٥، ٣١٦ .

كان أحرى ألا يعلمه؛ فكان في ذلك له ﷺ من أعظم الحجة عليهم بأنه نبي الله إليهم؛ لأن ذلك من أخبار أوائلهم، وهو من خفي علومهم التي لا يعلمها إلا خاصتهم(١) .

فكان امتناعهم عن إخراج التوراة دلالة على كذب مدعاهم وحجة على صدقه ﷺ .

ثم توعد الله – تعالى – على هذا الكذب والجحود للحق مع معرفته بقوله : ﴿فَمَنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ أي الكاذبون المتجاوزون لحدوده، ثم أمر الله – تعالى – بدعوتهم الى اتباع ملة ابراهيم، الملة الحنيفية وترك الباطل الذي هم عليه : ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ فإبراهيم لم يكن يهوديًا ولا نصرانيًا ولكن كان حنيفًا مسلمًا، فعليكم اتباع الإسلام إن كنتم تزعمون اتباع ملة إبراهيم.

بقي أن نخرس ألسنة اليهود في قولهم ببطلان النسخ فنسوق أمثلة على جواز النسخ من أسفارهم المقدسة عندهم :

الأول : نقول لهم : هل كان قبل نزول التوراة شرع أم لا؟ فإن جحدوا، كذبوا بما نطق به الجزء الثاني من السفر الأول من التوراة؛ إذ شرع الله على نوح – عليه السلام – القصاص في القتل، وذلك قوله : «سافك دم الإنسان، بالإنسان، ما يسفك دمه؛ لأن الله على صورته، عمل الإنسان»(٢)، وبما شهد به الجزء الثالث من السفر الأول من التوراة؛ إذ شرع الله على إبراهيم – عليه السلام – ختانة المولود في اليوم الثامن من ميلاده، وهذه وأمثالها شرائع «يختن منكم كل ذكر، فتختنون في لحم غرلتكم، فيكون علامة عهد بيني وبينكم ابن ثمانية أيام يختن منكم كل

(١) انظر: تفسير ابن جرير (ط البابي الحلبي، القاهرة) جـ٤ ص٥.

(٢) سفر التكوين ٩ : ٦.

ذكر في أجيالكم . .إلخ»[١] .

قلنا لهم : ما تقولون في التوراة، هل أتت بزيادة على تلك الشرائع أم لا ؟

فإن لم تكن أتت بزيادة فقد صارت عبثًا؛ إذ لا زيادة فيها على ما تقدم، ولم تغن شيئًا، فلا يجوز أن تكون صادرة عن الله تعالى، فيلزمكم أن التوراة ليست من عند الله تعالى، وذلك كفر على مذهبكم، وإن كانت التوراة أتت بزيادة، فهل في تلك الزيادة تحريم ما كان مباحًا أم لا ؟

فإن أنكروا ذلك بطل قولهم من وجوه :

أحدهما : أن التوراة حرمت الأعمال الصناعية في يوم السبت بعد أن كان ذلك مباحًا. وهذا بعينه النسخ.

والثاني : أنه لا معنى للزيادة في الشرع إلا تحريم ما تقدمت إباحته أو إباحة ما تقدم تحريمه[٢] .

الثالث : أنه تزوجت الإخوة بالأخوات في عهد آدم عليه السلام وسارة زوجة إبراهيم – عليه السلام – كانت علاتية (أي أخته من أبيه فقط وليست أخته من أمه) وهذا ما نص عليه سفر التكوين في قوله : (وبالحقيقة أيضًا هي أختي ابنة أبي غير أنها ليست ابنة أمي، فصارت لي زوجة)[٣] .

والنكاح بالأخت حرام مطلقًا في الشريعة الموسوية (أي التي جاء بها موسى – عليه السلام –) عيذية (أي أخت شقيقة من أب وأم واحدة) كانت الأخت أو علاتية (أخت لأب) . . ومساو للزنا، والنكاح ملعون وقتل الزوجين واجب. جاء

---

(١) سفر التكوين ١٧ : ١٠ – ١٤.

(٢) انظر : السموأل بن يحيي المغربي : إفحام اليهود، تحقيق د/محمد عبدالله الشرقاوي (دار الهداية، القاهرة ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م) ص٨٦ وما بعدها.

(٣) الإصحاح العشرين : ١٢.

في سفر التثنية (ملعون من يضطجع مع أخته بنت أبيه أو بنت أمه)[١] فلو لم يكن هذا النكاح جائز في شريعة آدم وإبراهيم – عليهما السلام – يلزم أن يكون الناس كلهم أولاد الزنا، والناكحون زانين وواجبي القتل وملعونين فكيف يظن هذا في حق الأنبياء – عليهم السلام – ؟[٢] . فلابد من أن يعترفوا بأن ذلك كان جائزاً في شريعتهما ثم نسخ.

وعلى هذا فأهل الكتاب مكذبون للقرآن ولكتبهم على حد سواء، فكانوا بذلك ناقضين عهود الله، متعدين حدوده، محرفين مبدلين كتبه، حتى أنهم يكذبون كتبهم في هذه المسألة.

ومن كل ما سبق يتضح أن القرآن الكريم هو معجزة الرسول الكبرى الدالة على صدقه وصدق رسالته، وهو حجة على العالمين، وبذلك فهو حجة على أهل الكتاب في دعوته إياهم إلى الإيمان بخاتم الرسل محمد ﷺ .

بقي أن نشير إلى أن القرآن الكريم ليس هو معجزة الرسول محمد ﷺ الوحيدة بل هناك معجزات خارقة تدل على صدق نبوته، منها : انشقاق القمر آية له ﷺ . قال تعالى : ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ﴾[٣] ، ونبع الماء وتكثيره له ﷺ ، وفي كلام الشجر، وكثير من الجمادات وشهادتهم له بالنبوة، وفي إبراء النبي المرضى، وذوي العاهات، وإجابة دعائه وفيما أخبر به مما أطلعه الله من الغيب، وفي عصمته من أراد كيده، وغيرها من المعجزات التي تحمل أهل الكتاب على الإيمان به ﷺ والإقرار بنبوته ورسالته.

وبعد، فهذا طرف من الدلائل الكثيرة التي ساقها القرآن الكريم بأسلوب بليغ، وحجة قوية، يدعو فيها أهل الكتاب إلى الإيمان بخاتم الرسول محمد ﷺ

---

(١) الإصحاح السابع والعشرين : ٢٢ .

(٢) انظر : الشيخ رحمة الله الهندي : إظهار الحق جـ٣ ص٦٤٨ ، ٦٤٩ .

(٣) القمر : ١ .

والانضواء تحت لوائه. وعلى الدعاة إلى الله عز وجل أن يراعوا منهج القرآن الكريم في دعوة غير المسلمين إلى الإسلام وخاصة أهل الكتاب، حتى تنتشر دعوة الإسلام، وتكلل بالنجاح وتؤتي الثمار الطيبة النافعة والمرجوة.

* * *

المبحث الثاني
إخبار كتب أهل الكتاب بمحمد ﷺ

جدير بالذكر - قبل التعرض لذكر أهم النصوص التي وردت في كتب أهل الكتاب (المقدسة عندهم) تدعوهم إلى الإيمان بسيدنا محمد ﷺ إلقاء الضوء - في إيجاز - على هذه الكتب.

من المعلوم أن أهم كتب أهل الكتاب «التوراة والإنجيل»، فالتوراة كتاب اليهود والإنجيل كتاب النصارى.

فأما التوراة فتستعمل كثيراً للدلالة على كل الكتب المقدسة عند اليهود فتشمل الزبور وغيره[١].

ولكن الحقيقة هي أن التوراة جزء من أجزاء العهد القديم الخاص باليهود «وقد تطلق التوراة على العهد القديم من باب إطلاق الجزء على الكل، أو لأهمية التوراة ونسبتها إلى موسى؛ لأنه أبرز أنبياء بني إسرائيل»[٢].

وأعظم الكتب المقدسة عند اليهود كتابان: العهد القديم والتلمود.

والعهد القديم: هو التسمية العلمية لأسفار اليهود، وتنقسم أسفاره إلى أربعة أقسام:

الأول: كتب موسى (الأسفار الخمسة)، وهي: سفر التكوين أو سفر الخلق،

---

(١) انظر: د/أحمد أمين: ضحى الإسلام، (نشر النهضة المصرية، القاهرة، ط التاسعة، ١٩٧٧م) جـ١ ص٢٣٨.

(٢) د/أحمد شلبي: اليهودية، ص ٢٣٠.

وسفر الخروج، وسفر التثنية، وسفر اللاويين، وسفر العدد.

وتمثل هذه الأسفار في نظر اليهود التوراة، وكلمة توراة «كلمة عبرانية، ومعناها الشريعة أو الناموس»(١) .

الثاني : يسمى بالأسفار التاريخية؛ وهي اثنا عشر سفراً تعرض لتاريخ بني إسرائيل مكونة من : أسفار يوشع والقضاة وراعوث وصموئيل (سفران) والملوك (سفران) وأخبار الأيام (سفران) وعزرا ونحميا واستير.

الثالث : أسفار الأناشيد، وعددها خمسة أسفار، وهي : سفر أيوب، ومزامير داود، وأمثال سليمان، والجامعة من كلام سليمان، ونشيد الأناشيد لسليمان.

الرابع : أسفار الأنبياء؛ وعددها سبعة عشر سفراً، يعرض كل منها لتاريخ الأنبياء الذين أرسلوا بعد موسى وهارون(٢) .

وأما التلمود فهو من اختراع أحبار اليهود، اخترعوه نتيجة تسلط المادة على اليهود وتغليبها على الروح فاستحدثوا هذا الكتاب وأسموه باسم (التلمود)، ولا تقل قدسيته عندهم عن العهد القديم، بل يعدونه أهم من التوراة، أطلقوا على جزء منه لفظ (المشناة)، وعلى الثاني منه لفظ (الجمارا)(٣) .

وقد تعرض التلمود بالحديث عن الذات الإلهية وعن الملائكة حديثًا لا يليق بهم، ويزعمون أن كل شيء موجود به.

---

(١) خليل مطران : الأديان والإنسان (دار الفكر والفن، ١٩٧٦م) ص١٨٧ .

(٢) انظر : د/علي عبدالواحد وافي : الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ص١٣ وما بعدها، واليهودية واليهود، ص١٠ وما بعدها، ومحمد فؤاد الهاشمي : الأديان في كفة الميزان (مطابع الطناني، دار الحرية، القاهرة، ١٩٨٦م) ص٣٩، وإسكندر جديد : عصمة التوراة والإنجيل (ط مركز الشبيبة، بيروت – لبنان) ص٤٠، ٤١، وانظر فهرست الكتاب المقدس.

(٣) المشناة هو الأصل (المتن) والجمارا شرح مشناة (راجع: روهلنج : الكنز المرصود في قواعد التلمود، ترجمة يوسف نصر الله، نقلاً عن عبدالله التل : خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية (نشر دار القلم، القاهرة، ط الثانية) ص٦٩ .

« ويتكون التلمود في جملته من أسفار ستة ... وقد جمع التلمود الحالي من أصلين : أحدهما يسمى الأورشليمي والآخر النابولي (أو البابلي)، والأول أقدم من الثاني »[١] .

وأما الإنجيل فهو ما يطلق عليه النصارى مع أسفار أخرى (العهد الجديد)، والعهد الجديد يتكون من سبعة وعشرين سفراً. وتنقسم أسفار العهد الجديد إلى أربع مجموعات كما يلي :

١- الأناجيل الأربعة المنسوبة إلى : متى ومرقس ولوقا ويوحنا[٢] .

٢- أعمال الرسل، وتنسب إلى لوقا وفقًا لإقراره (أعمال الرسل ١ : ١، ٢).

٣- الرسائل وهي إحدى وعشرين رسالة على هذا النحو :

(أ) أربع عشرة رسالة منسوبة إلى بولس، والرسالة الرابعة عشر منها وهي الرسالة إلى العبرانيين موضع ديبة. فإن بعض اللاهوتين لا يقرون بصحتها.

(ب) ثم الرسائل السبع الباقية ويطلق عليها (الرسائل الكاثوليكية) وهي منسوبة إلى يعقوب، وبطرس، ويوحنا، ويهوذا.

٤- سفر (رؤيا يوحنا) ويطلق عليه كذلك (مشاهدات يوحنا)[٣] .

تقرير القرآن الكريم تحريف هذه الكتب :

أخبرنا القرآن الكريم أن أهل الكتاب بدلوا وحرفوا في كتب الله تعالى التي أنزلها الله تعالى على رسله - قبل محمد ﷺ - ولم يكونوا أمناء على الوحي الإلهي.

---

(١) انظر : محمود أبو الفيض المونى الحسيني : الدين المقارن - بحث في سائر الديانات العالمية (ط نهضة مصر) ص١٢٠ .

(٢) راجع بالتفصيل : د/موريس بوكاي : دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة (الفتح للإعلام العربي، القاهرة) ص٧٩ وما بعدها.

(٣) انظر : إبراهيم خليل أحمد : محاضرات في مقارنة الأديان (دار المنار) ص١٢ .

وقد أثبت القرآن هذا التحريف ونعى على اليهود التغيير والتبديل الذي أدخلوه على التوراة[١] . وذلك في قوله تعالى : ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[٢] وتأمل قوله تعالى : ﴿ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ دليل على أن التحريف متعمد ومقصود، وهذا جرم عظيم منهم وفحش كبير. وقوله سبحانه: ﴿ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ ﴾[٣] ، وقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[٤] . وقوله سبحانه : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾[٥]. وقوله في الآية : ﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ ﴾ أي يتأولون التوراة على غير ما أنزلها الله ويقولون فيها ما ليس منها. « فهم تجرءوا على كتاب الله فحرفوه ليخفوا ما فيه من الحق، ونسوا قدراً مما ذكرهم الله به »[٦] . وقوله سبحانه عن تحريفهم أيضًا : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ﴾[١].

---

(١) الشيخ سيد سابق : العقائد الإسلامية (دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان) ص٦٦.

(٢) البقرة : ٧٥.

(٣) النساء : ٤٦.

(٤) آل عمران : ٧٨.

(٥) المائدة : ١٣.

(٦) سيد سابق : العقائد الإسلامية، ص١٦٧.

وقد ورد في سبب نزول الآيات السابقة أحاديث منها ما رواه مسلم في صحيحه عن البراء بن عازب قال : «مُرَّ على رسول الله بيهودي محمماً مجلوداً، فدعاهم فقال : «**هكذا تجدون حدَّ الزاني في كتابكم ؟**» فقالوا : نعم، فدعا رجلاً من علمائهم فقال : «**أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم ؟**» فقال : **لا والله، ولولا أنك ناشدتني بهذا لم أخبرك، نجده الرجم، ولكنه كثر في أشرافنا. فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه، وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد**، قلنا : **تعالوا فلنجتمع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع، فجعلنا التحميم والجلد مكان الرجم**. فقال رسول الله ﷺ : «**اللهم إني أول من أحيا أمرك إذا أماتوه فأمر به فرجم**، فأنزل الله عز وجل ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ**﴾ الآيات»(٢) .

وقد هددهم الله تعالى على هذا التحريف، وبغيتهم أن يشتروا به ثمناً قليلاً بقوله : ﴿**فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ**﴾(٣) .

ويقول الله تعالى في شأن النصارى مبيناً شهادة القرآن عليهم بأنهم لم يحفظوا جميع ما وعظهم به المسيح من الوحي المسمى بالإنجيل : ﴿**وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ**﴾(٤) .

والآية تقيم الحجة على النصارى أنهم مقصرون في أداء ما طلب منهم في الإنجيل، وقد اعترف بذلك بعض كبراء النصرانية، منهم القس الماروني في تفسيره الذي سماه [ذخيرة الألباب] حيث قال : «إن الإنجيل لا يستغرق كل أعمال

(١) المائدة : ٤١ - ٥٠.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في كتاب الحدود، باب حد الزنا جـ١١ ص٢٠٩، ٢١٠.

(٣) البقرة : ٧٩.

(٤) المائدة : ١٤.

المسيح ولا يتضمن كل أقواله، كما شهد القديس يوحنا في إنجيله »(١) .

« فليس في المسيحية شيء يمثل الدقة، فلا يوجد كتاب واحد محكم دقيق لتعاليم المسيحية يشبه القرآن الكريم »(٢) .

ومن المعلوم أن النصارى يعترفون بأن كتبهم المقدسة التي يطلقون عليها العهد الجديد كتبت بعد المسيح بأزمنة مختلفة وليس لها ولا لكتب العهد العتيق أسانيد يحتجون بها(٣) .

وقد أشار إلى ذلك الشيخ رحمة الله الهندي في قوله : « طلبنا مراراً من علمائهم الفحول السند المتصل فما قدروا عليه، واعتذر بعض القسيسين في محافل المناظرة التي كانت بيني وبينهم فقال : إن سبب فقدان السند عندنا وقوع المصائب والفتن على المسيحيين إلى مدة ثلاثمائة وثلاث عشرة سنة »، وتفحصنا في كتب الإسناد لهم فما رأينا فيها شيئًا غير الظن والتخمين، يقولون بالظن ويتمسكون ببعض القرائن، وقد قلت : إن الظن في هذا الباب لا يغني شيئًا، فما دام لم يأتوا بدليل شاف وسند متصل فمجرد المنع يكفينا »(٤) .

يتبين إذًا بما لا يدع مجالاً للشك تحريف أهل الكتاب لكتبهم عن عمدٍ منهم وإصرار؛ ليحصلوا على عرض من أعراض الدنيا، فالويل لهم جزاء كذبهم على الله، وتجاوزهم لحدوده.

وإذا كان القرآن الكريم قد أثبت بالأدلة القاطعة تحريف أهل الكتاب كتبهم؛ فإننا لا نعدم – على الرغم من هذا التحريف – أدلة نسوقها للتدليل على إخبار

(١) من مقال للأستاذ/ محمد عبدالرحمن السحرتي، موضوعه (دراسة في شان الأناجيل الأربعة) (نشر بمجلة منار الإسلام الإماراتية، العدد ٣، السنة ٢١ لعام ١٩٩٥م) ص٣١.

(٢) مايكل هارت : الخالدون مائة أعظمهم محمد رسول الله ﷺ، ترجمة: أنيس منصور (المكتب المصري الحديث، ط الخامسة، ١٩٨٤م) ص١٧.

(٣) انظر : محمد رشيد رضا : شبهات النصارى وحجج الإسلام ص٣.

(٤) الشيخ/ رحمة الله الهندي : إظهار الحق، جـ١ ص١١١.

هذه الكتب بنبوة سيدنا محمد ﷺ ؛ وردت هذه الأدلة في التوراة والإنجيل، ونذكر بعضها على النحو التالي :

أولاً : إقامة الأدلة من التوراة :

أرشدنا القرآن الكريم – كما بينًا في المبحث السابق – إلى أن اسم النبي ﷺ ونعته موجود في التوراة والإنجيل، وذلك في قوله تعالى : ﴿ **الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ** ﴾.

وقد استخرج غير واحد من العلماء من الكتب الموجودة الآن في أيدي اليهود والنصارى من البشارات بنبوته مواضع متعددة تدعوهم إلى الإيمان بالنبي ﷺ رغم تحريفهم وتبديلهم لها.

وقد جاء في السنة ما يوضح كلام القرآن في هذا الشأن : من ذلك ما أخرجه الإمام البخاري عن عبدالله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما – قال : « قرأت في التوراة صفة النبي ﷺ : عبدي ورسولي، سميته المتوكل، ليس بفظ، ولا غليظ، ولا صخاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، بل يعفو ويصفح، ولن أقبضه حتى أقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله »(١) .

كذلك مما يشهد بوجود صفته ﷺ في التوراة أن عمر بن الخطاب– رضي الله عنه – سأل أبا مالك ثعلبة بن هلال وكان من أحبار اليهود فقال : أخبرني بصفات النبي ﷺ في التوراة. فقال : إن صفته في توراة بني هارون التي لم تغير ولم تبدل هي : « أحمد من ولد إسماعيل بن إبراهيم، وهو آخر الأنبياء، وهو النبي العربي الذي يأتي بدين إبراهيم الحنيف. يأتذر على وسطه ويغسل أطرافه، في عينيه حمرة وبين كتفيه ختم النبوة، ليس بالقصير ولا بالطويل، يلبس الشملة، ويجتزئ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب كراهة الصخب في الأسواق جـ٣ ص٨٣ واللفظ له، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده (دار صادر، بيروت) عن عبدالله بن عمرو بن العاص، جـ٢ ص١٧٤ .

بالبغلة، ويركب الحمار، ويمشي في الأسواق، سيفه على عاتقه، لا يبالي من لقى من الناس. . . »[١] .

ونسوق فيما يلي أهم النصوص التي جاءت في التوراة تبشر بالنبي ﷺ حتى لا تكون لأهل الكتاب حجة يحتجونها أمام الله يوم القيامة بسبب عدم إيمانهم به ﷺ :

(١) تقول التوراة :

« وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه. ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيراً جداً. اثنى عشر رئيساً وأجعله أمة كبيرة »[٢] .

والترجمة الحرفية لهذا النص عن اللغة العبرية :

« وأما إسماعيل فقد سمعت له فيه. ها أنا أباركه وأثمره وأكثره بما دماد » ومعناها الصريح باللفظ العربي وأكثره « بمحمد » .

والربانيون والأحبار من اليهود العبرانيين واليهود السامريين الذين أسلموا والذين لم يدخلوا في الإسلام اعترفوا بأن محمد موضوع بدله عمداً إما كلمة (بمادماد) أو كلمة (لجَوي جدول) والتي ترجمت إلى اللغة العربية إلى أمة كبيرة، وذلك ليعرفه علماؤهم وأحبارهم وحدهم إذا بعثه الله، ويكونون في حل من إنكاره إذا أرادوا. وكلمة بمادماد أو أمة كبيرة باللغة العربية . . . ومجموع حروفها ٩٢، وكلمة (محمد) مجموع حروفها ٩٢، وذلك كله بحساب حروف

---

(١) انظر : ابي الفداء محمد عزت محمد عارف : نهاية اليهود، (مؤسسة بدران للطباعة والنشر، القاهرة سنة ١٤١٠هـ) ص٤١، ومحمد عزت الطهطاوي : محمد نبي الإسلام في التوراة والإنجيل والقرآن (مكتبة النور، ط الثانية ١٩٨٦م) ص٤، ٥.

(٢) سفر التكوين، ١٧ : ٢٠.

الجمل، ورمز لاسم النبي المنتظر من آل إسماعيل لتبدأ به بركة الأمم في آل إسماعيل مثلما بدأت بركة الأمم في آل إسحاق بموسى – عليه السلام – صاحب الشريعة المقابلة للقرآن(١) .

وقد جاء في كتاب (إفحام اليهود) في هذا الشأن : قال الله تعالى في الجزء الثالث من السفر الأول من التوراة، مخاطبًا إبراهيم الخليل – عليه السلام – : (وأما في إسماعيل فقد قبلت دعاءك، ها أنا قد باركت فيه، وأثمره وأكثره جدًا جدًا) .

ذلك قوله : (وليشماعيل شمعيتخا هني يبرختي أو نوا وهفريتي أوثوا وهِزبيثي أوثوا بمادماد) . فهذه الكلمة (بماداماد) إذا عددنا حساب حروفها بالجمل(٢) كان : اثنين وتسعين، وذلك عدد حساب حروف اسم (محمد) ﷺ، فإنه أيضًا اثنان وتسعون . وإنما جعل ذلك في هذا الموضوع ملغزًا؛ لأنه لو صرح به لبدلته اليهود، أو أسقطته من التوراة، كما عملوا في غير ذلك من النصوص(٣) .

فهذا نص من نصوص أسفارهم المقدسة يبشر – بوضوح – بالنبي ﷺ « فقد صارت أمة العرب التي هي من نسل إسماعيل بن إبراهيم وعلى رأسها قبيلة قريش التي من نسل قيدار أمة إسلامية كبيرة، وكان منها النبي محمد ﷺ »(٤) .

---

(١) انظر : المستشار محمد عزت الطهطاوي : محمد نبي الإسلام في التوراة والإنجيل والقرآن، ص١٣ .

(٢) وهي طريقة معروفة في الحساب القديم، وهو قائم على أن كل حرف من الحروف الابجدية يساوي عدداً معينًا كالتالي :

أ=١، ب=٢، ج=٣، د=٤، هـ=٥، و=٦، ز=٧، ح=٨، ط=٩، ي=١٠، ك=٢٠، ل=٣٠، م=٤٠، ن=٥٠، س=٦٠، ع=٧٠، ... إلخ، وبحساب الحروف تكون (بماد ماد) تساوي : ب=٢ + م=٤٠ + أ=١ + د=٤ =٤٧، م=٤٠ + أ=١ + د=٤ =٤٥ فيصبح مجموع هذه الحروف كالتالي = ٤٧+٤٥=٩٢ وهو عدد حروف اسم محمد م=٤٠ + ح = ٨ + م = ٤٠ + د = ٤ والمجموع = ٩٢ حرفًا . (انظر الإمام المهتدي السموأل بن يحيى المغربي : إفحام اليهود ص١١٥، ١١٦، ورحمة الله الهدي : إظهار الحق جـ٤ ص١١٣٧) .

(٣) السابق : ص١١٦ .

(٤) انظر : محمد عزت الطهطاوي : محمد في التوراة والإنجيل والقرآن ص١٤ .

(٢) وتقول التوراة أيضًا :

« لا يزول قضيب من يهوذا ومشترع من بين رجليه حتى يأتي شيلون وله يكون خضوع شعوب »(١) .

والمراد بالقضيب : الملك والصولجان، والمراد بالمشرع : الأنبياء والعلماء الذين يعلمون الناس شريعة التوراة ويستنبطون الأحكام منها، والمراد بشيلون : النبي المنتظر، الذي يلقبونه بلقب (مسيا) الذي تفسيره المسيح هو نبي الإسلام ﷺ الذي متى جاء تخضع له الشعوب وتطيع، والمعنى العام للنص : يظل لبني إسرائيل ملك ظاهر في الأرض، وأنبياء بني إسرائيل الذين أسلموا، وعلماؤهم يعلمون الناس شريعة الله في ظل ملوك بني إسرائيل؛ حتى يأتي النبي المنتظر ليتسلم منهم الملك والشريعة. وهو المعبر عنه بشيلون(٢) .

فهذا نص واضح في البشارة بنبي الإسلام يدعوهم إلى الإيمان به .

(٣) وتقول التوراة :

« أقيم لهم نبيًّا من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه، فيكلمهم بكل ما أوحيه به، ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطالبه »(٣) .

هذه النبوءة حفظها الله من التحريف وظنها أحبار اليهود ورجال اللاهوت المسيحيون أنها تنطبق على يسوع المسيح رجاء اليهود وأملهم(٤) .

---

(١) سفر التكوين ٤٩ : ١٠ .

(٢) انظر : د/أحمد حجازي السقا : البشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل (دار البيان العربي، القاهرة، ١٩٧٧م) جـ١ ص١٥٤ .

(٣) سفر التثنية ١٨ : ١٨، ١٩ .

(٤) انظر : إبراهيم خليل أحمد : محاضرات في مقارنة الأديان ص٤٥ .

هذه البشارة أو النبوءة ليست بشارة بيوشع - عليه السلام - كما يزعم الآن أحبار اليهود، ولا بشارة بعيسى - عليه السلام - كما زعم علماء البروتستانت(١)، بل هي بشارة بسيدنا محمد ﷺ للأدلة الآتية :

الأول : أن اليهود المعاصرين لعيسى - عليه السلام - كانوا ينتظرون نبيًا آخر مبشراً به.... وكان هذا المبشر به عندهم غير المسيح، فلا يكون هذا المبشر به يوشع ولا عيسى عليهما السلام(٢) .

الثاني : قوله في النص : « من وسط إخوتهم » يقصد به من بني إسماعيل، ولو كان النبي من بني إسحاق لكان من أنفسهم لا من إخوتهم، وهذا الاستعمال مألوف في كتبهم، فمن ذلك ما جاء عن إسماعيل وذريته : « وسكنوا من حويلة إلى شور التي أمام مصر حينما تجيء نحو آشور أمام جميع إخوته نزل »، (سفر التكوين، ٢٥ :١٨) والبشارة إنما وقعت بنبي من إخوة بني إسرائيل، لا من بني إسرائيل أنفسهم، والمسيح من بني إسرائيل، فلو كان المراد بها هو المسيح لقال : أقيم لهم نبيًا من أنفسهم، كما قال الله تعالى : ﴿ **لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ** ﴾(٣) . وإخوة بني إسرائيل هم بنو إسماعيل، ولا يعقل في لغة إمة من الأمم أن بني إسرائيل هم إخوة بني إسرائيل، كما أن إخوة زيد لا يدخل فيهم زيد نفسه(٤) .

الثالث : قوله : « مثلك » تعني النبي المنتظر، سيكون مثل موسى - عليه

---

(١) علماء البروتستانت نسب إلى البروتستانتية، أي نحلة الاحتجاج والاعتراض، وقد نشأ المذهب البروتستانتي في أوائل القرن السادس عشر الميلادي. د/علي عبدالواحد وافي : الأسفار المقدسة ص١٣ .

(٢) انظر : الشيخ رحمة الله الهندي : إظهار الحق جـ٤ ص١١١٦ .

(٣) آل عمران : ١٦٤ .

(٤) انظر : كتاب المؤتمر العالمي الرابع للسيرة والسنة النبوية، والمؤتمر العاشر لمجمع البحوث الإسلامية ١- السيرة النبوية (مطابع الشروق، القاهرة سنة ١٤٠٦هـ-١٩٨٥م) ص١٠٥، وإبراهيم خليل أحمد : محاضرات في مقارنة الأديان ص٤٦، وابن القيم : هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ص ١١٦، ١١٧ .

السلام – فالمراد أنه مثله في كونه صاحب شريعة جديدة ناسخة لما قبلها، وليس المقصود في أنه مثله في كونه من بني إسرائيل، فقد جاء في سفر التثنية : «ولم يقم بعدُ نبي في إسرائيل مثل موسى الذي عرف الرب وجهًا لوجه»(١) .

وفي القرآن ما يفيد مثلية نبي الإسلام بموسى. يقول الله تعالى : ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِداً عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولاً ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذاً وَبِيلاً﴾(٢) وليس في الإنجيل ما يفيد مثلية عيسى بموسى(٣) . فقد قال عيسى – عليه السلام – في مخاطبة اليهود الذين أنكروه : «كيف تقدرون أن تؤمنوا وأنتم تقبلون مجداً بعضكم من بعض، والمجد الذي من الإله الواحد لستم تطلبونه ؟ لا تظنوا أني أشكوكم إلى الآب. يوجد الذي يشكوكم وهو موسى الذي عليه رجاؤكم»(٤) .

الرابع : قوله : «وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به»(٥) . وهذا دليل قاطع ضد المستشرقين الذين يفترون على رسول الله أن القرآن من وضعه، فالله يقول في هذه النبوءة «وأجعل كلامي في فمه» لأن الرسول ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ بل كان يتكلم بما يوحي به الله – سبحانه – إليه ... فالويل لمن يكفر بالرسول ﷺ وويل لكل أمة تناوئ هذا النبي الخاتم.

(٤) وتقول التوراة أيضًا :

«وهذه هي البركة التي بارك بها موسى رجل الله بني إسرائيل قبل موته. فقال :

(١) الإصحاح، ٣٤ : ١٠، وانظر: تفسير المنار جـ٩ ص ٢١٦.

(٢) المزمل : ١٥، ١٦.

(٣) انظر : د/أحمد حجازي السقا : البشارة بنبي الإسلام، جـ١ ص٢٣١، ٢٣٢.

(٤) يوحنا، ٥ : ٤٤، ٤٥.

(٥) مناظرة بين الإسلام والنصرانية لمناقشة العقيدة الدينية بين مجموعة من رجال الفكر من الديانتين الإسلامية والنصرانية ص٢٢١.

(٦) سفر التثنية ٣٣ : ١، ٢.

جاء الرب من سيناء، وأشرق لهم من سعير، وتلألأ من جبل فاران، وأتى من ربوات القدس وعن يمينه نار شريعة لهم »(٦) .

جاء في (الملل والنحل) ما نصه : « وقد ورد في التوراة : أن الله – تعالى – جاء من طور سيناء وظهر بساعير وعلن بفاران » .

وساعير : جبال بيت المقدس، التي كانت مظهر عيسى – عليه السلام – وفاران : جبال مكة التي كانت مظهر المصطفى ﷺ(١) .

وفي إفحام اليهود ما نصه : « إن الله – تعالى – من سيناء تجلى، وأشرق نوره من سعير، واطلع من جبال فاران ومعه ربوات القدس ... وفي الإشارة إلى هذه الأماكن الثلاثة، التي كانت مقام نبوة هؤلاء الأنبياء، ما يقتضي للعقلاء أن يبحثوا في تأويله المؤدي إلى الأمر باتباع مقالتهم »(٢) .

فسيناء هو الجبل الذي كلم الله – تعالى – فيه موسى – عليه السلام – وساعير: هو جبل الخليل بالشام، وكان المسيح – عليه السلام – يتعبد فيه، ويناجي ربه، وفاران جبل بني هاشم الذي كان محمد ﷺ يتحنث فيه ويتعبد، فإقبال الله – تعالى – من سيناء إقبال برسالته، وتجليه من ساعير ظهور فضله بإرسال عيسى – عليه السلام – بإحياء ما في التوراة، وظهوره من جبال فاران، وفاران مكة باتفاق أهل الكتاب، ولذلك عندهم أن إسماعيل وهاجر كان ببرية فاران، وهما كانا بمكة، فظهوره تعالى ظهور الرسالة المحمدية إلى جميع البرية(٣) .

---

(١) انظر : الإمام الشهرستاني : الملل والنحل جـ١ ص١٩٤، وابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل (مكتبة المثنى، بغداد) جـ١ ص١١١، ١١٢، والشيخ ابن تيمية : الجواب الصحيح جـ٣ ص٣٠٠– ٣٠٦ ، و د/أحمد حجازي السقا، البشارة بنبي الإسلام جـ١ ص٢٦٣ .

(٢) السموال المغربي : إفحام اليهود ص١١٨ .

(٣) انظر: الإمام القرافي : الأجوبة الفاخرة في الرد على الأسئلة الفاجرة (دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط الأولى ١٤٠٦هـ–١٩٨٦م) ص٣٤ .

وقد ربط بعض الباحثين بين نص التوراة - الذي نحن بصدده - وبين صدر سورة (التين) حيث قال تعالى : ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾(١) فالتين والزيتون مجاز عن منابتهما بالأرض المباركة وفيها مهاجر إبراهيم، ومولد عيسى ومسكنه - عليهما السلام - وطور سنين الجبل الذي كلم الله عليه سيدنا موسى - عليه السلام - والبلد الأمين مكة المكرمة التي ولد فيها وبعث منها أشرف الخلق وهو سيدنا محمد ﷺ، وفيها البيت العظيم(٢) .

فعبرت التوراة - في النص السابق - عن طلوع صبح الشريعة والتنزيل بالمجيء على ظهور سيناء، وعن طلوع الشمس بالظهور على ساعير، وعن البلاغة إلى درجة الكمال والاستواء بالإعلان والتلألؤ على فاران، وفي هذه الكلمة إثبات نبوة المسيح والمصطفى ﷺ(٣) ، وفي ذلك حجة ودليل واضح يدعو أهل الكتاب إلى الإيمان بالنبي ﷺ .

كذلك وجدت بشارات بالنبي ﷺ في غير أسفار التوراة نذكر للاستشهاد بعض ما جاء في سفر أشعيا - أحد أسفار الأنبياء - :

(أ) يقول السفر ما نصه : (لترفع البرية ومدنها صوتها الديار التي سكنها قيدار لتترنم سكان سالع من رءوس الجبال ليهتفوا. ليعطوا الرب مجداً ويخبروا بتسبيحه في الجزائر. الرب كالجبار يخرج كرجل حروب ينهض غيرته ويهتف ويصرخ ويقوى على أعدائه)(٤) . المقصود بالديار التي سكنها قيدار أرض العرب، فإن قيدار أحد أبناء إسرائيل الاثنى عشر، كما جاء في سفر التكوين

(١) التين ١، ٢، ٣.

(٢) انظر: إبراهيم خليل أحمد : محمد في التوراة والإنجيل والقرآن ص٦٦، والسموأل المغربي : إفحام اليهود ص١١٨، ١١٩ .

(٣) انظر: محمد عبدالقادر العماوي : هذا هو الإسلام، (دار الفكر الحديث، القاهرة، ط الثالثة ١٩٧٣م) ص٩٣، ٩٤ .

(٤) سفر أشعيا ٤٢ : ١١، ١٢، ١٣ .

(إصحاح ٢٥ : ١٣) ... (وسالع) هو جبل سلع بالمدينة، وقد جاء في الأصل العبراني (سلع) بدون ألف. والمقصود من رفع أصوات سكان البرية ومدنها وسكان سلع وهتافهم وترنيمهم من فوق رءوس الجبال، تلبيتهم دعوة الله على لسان إبراهيم – عليه السلام – بالحج قوله: (لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لهك لبيك . .)، ولفظ الرب في قوله: (والرب كالجبال) بمعنى السيد الذي يرعى غيره ويربيه. ومنه رب البيت، أي: رئيسه القائم على تربيته، والمقصود منه محمد ﷺ فقد كان كالجبار في الحق يخرج كرجل حروب لنصرة الحق على الباطل، فيقوى على أعدائه بحفظ الله وإمساكه إياه(١) .

(ب) وقال أشعيا مخاطبًا مكة زادها الله شرفًا : (سيري واهتزي أيتها العاقر التي لم تلدي، وانطقي بالتسبيح واخرجي، إذ لم تحبلي، فإن أهلك يكونون أكثر من أهلي) يعني بأهله (بيت المقدس) ويعني بالعاقر (مكة) شرفها الله؛ لأنها لم تلد نبيًّا قبل نبينا محمد ﷺ، ولا يمكن أن يقال: إن المراد بالعاقر بيت المقدس؛ لأنه بيت للأنبياء ومعدن الوحي، ومنه وفيه خرج الكثير منهم فلم يزل ولادًا لهم وليس عاقرًا(٢) .

وبعد، فهذا قليل من كثير، وغيض من فيض من نصوص أسفار التوراة وغيرها من الأسفار تدعو اليهود – والنصارى أيضًا ، فإن كتاب اليهود المقدس وكتاب النصارى المقدس يجمعهما كتاب واحد يطلق عليه (الكتاب المقدس) – تدعوهم إلى الإيمان بسيدنا محمد ﷺ ، فهلا يستجيب أهل الكتاب لنداءات أسفارهم المقدسة ؟.

---

(١) كتاب المؤتمر العالمي الرابع للسيرة والسنة النبوية، والمؤتمر العاشر لمجمع البحوث الإسلامية ١–السيرة النبوية ص١١٠، ١١١.

(٢) انظر : الشيخ ابن تيمية : الجواب الصحيح جـ٣ ص٣٢٧ . وعبدالله بن حمد الشبانة : يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء ص٤٠، ٤١ .

ثانيًا : إقامة الأدلة من الإنجيل :

ورد عن السيدة عائشة – رضي الله عنها – أنها قالت : «إن رسول الله ﷺ مكتوب في الإنجيل لا فظ ولا غليظ ولا صخاب بالأسواق ولا يجزي بالسيئة مثلها بل يعفو ويصفح»(١) .

وورد أيضًا عن مقاتل بن حيان : «أوحى الله عز وجل إلى عيسى بن مريم جد في أمري ولا تهزل. واسمع واطع يا ابن الطاهرة البكر البتول. إني خلقتك من غير فحل فجعلتك آية للعالمين. فإياي فاعبد. وعليّ فتوكل، فسر لأهل سوران بالسريانية. بلغ من بين يديك أني أنا الله الحى القيوم الذى لا أزول. صدقوا النبى الأمي العربي صاحب الجمل والمدرعة والعمامة، وهى التاج والنعلين والهراوة وهى القطيب، الجعد الرأس – الصلت الجبين – المفروق الحاجبين – الأنجل العينين – الأهدب الأشفار... – الكث اللحية – عرقه في وجهه كأنه اللؤلؤ...له شعرات من لبته إلى سرته تجري كالقطيب، ليس على صدره وعلى بطنه شعر غيره، إذا جاء مع الناس غمرهم، وإذا مشى كأنما يتقلع من الصخر. وينحدر في صبيب. ذو الناس القليل»(٢). وكأنه أراد الذكور من صلبه.

والمدقق النظر في أناجيل النصارى يجد أن هناك نصوصًا كثيرة تبشر بالنبي ﷺ وتدعو النصارى إلى الإيمان به.

وسوف نكتفي هنا بذكر ما يقوم حجة وبرهانًا على النصارى، واليهود كذلك، ومن ذلك ما يلي :

١– جاء في إنجيل متى(٣) ما نصه :

«قال لهم يسوع : أما قرأتم قط في الكتب الحجر الذي رفضه البناءون، هو قد

(١) ابن سعد : الطبقات الكبرى (دار صادر، بيروت) جـ١ ص٣٦٣.

(٢) انظر : ابن كثير : البداية والنهاية جـ٦ ص٦٢. وانظر : محمد عزت الطهطاوي : محمد نبي الإسلام في التوراة والإنجيل والقرآن ص١١٨.

(٣) يمثل إنجيل متى بين الأناجيل الأربعة المكانة الأولى في نظام ترتيب أسفار العهد الجديد، وهذا الإنجيل امتداد للعهد القديم، يشكل ما فقد من كتب؛ ليثبت أن المسيح (يكمل تاريخ بني إسرائيل) (د/موريس بوكاي : دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ص٧٩).

صار رأس الزاوية. من قبل الرب كان هذا وهو في أعيننا؛ لذلك أقول لكم : إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره»[١] .

ومن الواضح أن الحجر الذي رفضه البناءون كناية عن النبي ﷺ، وتأمل قول الرسول ﷺ : **«مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بنيانًا، فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون به ويعجبهم البناء فيقولون : ألا وضعت هنا لبنة فيتم البناء ؟ قال ﷺ : فأنا اللبنة، جئت، فختمت الأنبياء»**[٢] .

يؤيد ذلك قوله تعالى : **﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ ۝٤١ وَلا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٤٢ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾**[٣] .

وقوله : «إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره» يؤيده قول الله تعالى : **﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾**[٤] .

٢- ورد في إنجيل يوحنا ما نصه :

«وهذه شهادة يوحنا حين أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين ليسألوه من أنت. فاعترف ولم ينكر، وأقر أني لست المسيح، فسألوه إذًا ماذا. إيليا أنت ؟ فقال : لست أنا. النبي أنت ؟ فأجاب لا»[٥] .

فهذه شهادة يوحنا المعمدان وهو يحيى بن زكريا - عليهما السلام -، وتفيد

---

(١) الإصحاح، ٢١ : ٤٢، ٤٣.

(٢) سبق تخريجه في الفصل الأول من الباب الأول ص٤٥.

(٣) سورة الحاقة : ٤٠-٤٣.

(٤) آل عمران : ١١٠.

(٥) الإصحاح الأول : ١٩ - ٢١.

هذه الشهادة بوضوح. أن اليهود كانوا في انتظار ثلاثة أنبياء مختلفين، أولهم إلياس الذي ظنوا أنه سيظهر بجسده، وثانيهم المسيح، وأخيرًا نبي ذو شهرة عالمية، حتى إنهم لم يروا ضرورة إضافة صفة أقوى إليه فاكتفوا بقولهم «أذلك النبي أنت؟ وكلمة (ذلك) كانت وافية إلى من يقصدون[1] وهو محمد ﷺ .

٣- وجاء في إنجيل يوحنا أيضًا :

«إن كنتم تحبون فاحفظوا وصاياي. وأنا أطلب من الآب فيعطيكم (معزيًا) آخر ليمكث معكم إلى الأبد»[2] .

وورد أيضًا : «ومتى جاء (المعزي) الذي سأرسله أنا إليكم من الآب روح الحق الذي من عند الآب ينبثق، فهو يشهد لي. وتشهدون أنتم أيضًا لأنكم معي من الابتداء»[3] .

(المعزي) بضم الميم وكسر الزاي مشددة كلمة مترجمة عن لفظة يونانية، تعني شخصًا بشريًا يأتي بعد عيسى عليه السلام، ليبلغ الناس شريعة الله، «والمعزي» : كان أحد أسماء المسيابين اليهود (مناهيم) أي (المعزي)، والكلمة اليونانية التي وضع بدلها لفظ المعزي كما يقول الأب متى المسكين : «كلمة يونانية قديمة مكونة من مقطعين : الأول «بارا» ويفيد الملازمة والثاني «كليتوس» ويفيد الدعوة للمعونة»[4] .

---

(١) انظر : مولاي محمد على : محمد رسول الله، ترجمة مصطفى فهمي، وعبدالحميد جودة السحار (مكتبة مصر، دار مصر للطباعة ١٩٧٨م) ص٣٦، ٣٧.

(٢) الإصحاح ١٤ : ١٥، ١٦.

(٣) الإصحاح ١٥ : ٢٦، ٢٧.

(٤) انظر : متى هنري : تفسير إنجيل يوحنا (طبعة ١٩٦٨م بمصر) جـ٣ ص٣٠٨، وانظر : متى المسكين : البار الكيت الروح القدس في حياة الناس (طبعة ١٩٧٣م بمصر) ص١١، وانظر د/أحمد حجازي السقا : (بيركليت) اسم نبي الإسلام في إنجيل عيسى عليه السلام (مكتبة المطيعي، ط الثانية ١٩٨٨م) ص٣٣ وما بعدها.

والمعنى الحرفي لكلمة باركليتوس اليونانية هو أحمد، وهو من أسماء الرسول الله ﷺ، وأمته الحامدون الذين يحمدون الله على كل حال، ومفتاح صلاتهم الحمد لله، وبالإفرنجي Pericletas »[١] .

وجاء في كتاب « خير البِشَر بخير البَشَر »[٢] عن النص الثاني « ومتى جاء المعزي . . »! ومما رضوا ترجمته من الإنجيل قولهم : « إنه إذا جاء « الفارقليط » الذي أرسل إليكم من عند أبي . روح الحق الذي يخرج من الأب فهو يشهد لي، وأنتم تشهدون لي أيضاً لكينونتكم معي في أول أمري » ومن الملاحظ أن النص الذي ذكره ابن ظفر تختلف عبارته عن الوارد في إنجيل يوحنا الآن، وواضح ما في العبارة من تلفيق الألوهية والبنوة لعيسى - عليه السلام - فقوله : (روح الحق الذي يخرج من الآب) كناية عن الكلام المنزل على رسوله ﷺ، وقوله : (يشهد له) تصريح بنبوة محمد ﷺ إذ لم يشهد للمسيح بالنبوة والنزاهة مما افتري عليه، وبأنه روح الله وكلمته وصفيه ورسوله - كتاب سوى القرآن، ولم تزل الأمم تكذب المتبعين للمسيح - عليه السلام - واليهود يفترون في أمره العظائم من البهتان حتى بعث الله محمداً ﷺ، فشهد للمسيح بما شهد له أصحابه وحواريوه، ولفظ « الفارقليط »[٣] المعنى الدقيق له : الذي له حمد كثير، وبأسلوب التفضيل « أحمد » وهذا ما ورد في القرآن الكريم على لسان عيسى - عليه السلام -[٤] ﴿ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾[٥] « فالبرقليط بالرومية : المنحمنا

---

(١) انظر : محمد عزت الطهطاوي : محمد نبي الإسلام في التوراة والإنجيل والقرآن ص٣٧ .

(٢) للإمام أبو عبدالله محمد بن ابي محمد بن ظفر الصقلي الحموي، ولد في صقلية سنة ٥٠٠هـ، واستقر به المقام في حماة، وبها توفى سنة ٥٦٥هـ ١٩٨٩م (انظر : مجلة الأزهر، السنة ٦٢، ١٤١٠هـ ١٩٨٩م جـ٣ ص٢٠٣).

(٣) « البارقليط » أو « الفارقليط » كان هذا الاسم الشريف سبباً في إسلام القس انسلم تورميدا الشهير بعبدالله الترجمان الاندلسي (راجع : تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب ص٤٢ وما بعدها، وكتاب المؤتمر العالمي الرابع للسيرة والسنة النبوية ص١٠٠، ١٠١).

(٤) راجع: مجلة الأزهر جـ١٣ لسنة ٦٢، ص٢٠٤، ٢٠٥ .

(٥) الصف : ٦.

بالسريانية، وهو : محمد بالعربية، فتأمل هذه البشائر التي لا ينكرها إلا معاند مجاهر. فقد أخبر به المسيح : بالعين والاسم والأفعال[١] ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلالُ﴾[٢] .

٤- بشارة إنجيل برنابا[٣] بالرسول ﷺ :

إنجيل برنابا من ضمن الأناجيل الكثيرة التي رفضها النصارى، وذلك لاشتماله على أمور كثيرة تهدم قصر المسيحية، ولوجود اسم النبي الأعظم ﷺ فيه، وقد بشر هذا الإنجيل على لسان المسيح بالنبي ﷺ، نذكر أهم ما جاء فيه :

(أ) جاء فيه ما نصه : «وقد جاء الأنبياء كلهم إلا رسول الله الذي سيأتي بعدي لأن الله يريد ذلك حتى أهيئ طريقه»[٤] .

(ب) وجاء أيضًا : «اصبر يا محمد لأني لأجلك أريد أن أخلق الجنة والعالم وجمًّا غفيرًا من الخلائق التي أهبها لك حتى من يباركك يكون مباركًا ومن يلعنك يكون ملعونًا. ومتى أرسلتك إلى العالم أجعلك رسولي للخلاص وتكون كلمتك صادقة، حتى أن السماء والأرض تَهِنَانِ ولكن إيمانك لا يَهِنُ أبدًا. إن اسمه المبارك محمد. حينئذ رفع الجمهور أصواتهم قائلين : «يا الله أرسل لنا رسولك، يا محمد تعالى سريعًا لخلاص العالم»[٥] .

---

(١) انظر: الإمام القرطبي : الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ص٣٦٩، وابن هشام : السيرة النبوية جـ١ ص١٧٨.

(٢) يونس : ٣٢.

(٣) برنابا اسم أرامي معناه «ابن الوعظ» وهو لاوي قبرصي الجنس «سماه الرسل «برنابا» أي ابن الوعظ بعد ما كان اسمه يوسف كان كبير القلب كريمًا، باع حقلاً له وأتى بالدراهم ووضعها عند أرجل الرسل (انظر : سفر أعمال الرسل ٤ :٣٦، ٣٧، و د/محمود على حماية : دراسات في الكتاب المقدس ص١٠٨).

(٤) إنجيل برنابا : الفصل السادس والثلاثون : ٦.

(٥) الفصل السابع والتسعون : ١٥ - ١٨.

(جـ) وجاء فيه : «وأجاب يسوع بابتهاج قلب : «إنه محمد رسول الله»(١).

(د) وفي مكان آخر من إنجيل برنابا يضع المسيح النقط على الحروف، فيما يتصل.. برسالة محمد رسول الله، فيقول :

«ولكن رسول الله متى جاء يعطيه الله ما هو بمثابة خاتم يده فيحمل خلاصاً ورحمة لأمم الأرض الذين يقبلون تعليمه. وسيأتي بقوة على الظالمين. ويبيد عبادة الأصنام، بحيث يخزي الشيطان؛ لأنه هكذا وعد الله إبراهيم قائلاً : (انظر فإني بنسلك أبارك كل قبائل الأرض، وكما حطمت يا إبراهيم الأصنام تحطيماً هكذا سيفعل نسلك»(٢).

فهذه النصوص في تبشيرها بالنبي ﷺ من الوضوح بمكان، بحيث لا تدع لأهل الكتاب وغيرهم مجالاً للإنكار، فقد ورد اسمه ﷺ صريحاً واضحاً.

كذلك فإن التبشير بالنبي ﷺ والدعوة إلى الإيمان به موجودة في كتب كُتِبَت ووجدت قبل ظهوره بعشرات القرون وقبل وجود كتب أهل الكتاب أيضاً .

وعلى سبيل المثال ما جاء في كتاب (محمد في الأسفار الدينية العالمية) لمولانا عبدالحق فديارتي – من مسلمي شبه القارة الهندية – يقول فيه : (إن اسم الرسول العربي «أحمد» مكتوب بلفظه في السامافيدا من كتب البراهمة «وهي كتب الديانات الأسيوية الكبرى» فقد ورد في الفقرة السادسة والفقرة الثامنة من الجزء الثاني ونصها أن «أحمد تلقى الشريعة من ربه، وهي مملوءة بالحكمة، وقد قبس منه النور كما يقبس من الشمس».

---

(١) الفصل الثالث والستون بعد المائة : ٨، وانظر: د/عبدالغني عبود : الله والإنسان المعاصر (دار الفكر العربي، ط الثانية ١٩٨١م) ص٩٥.

(٢) الفصل الثالث والأربعون : ١٥-١٩، وانظر د/عبدالغني عبود المسيح والمسيحية والإسلام (دار الفكر العربي، ط الأولى ١٩٨٤م) ص١٩٥.

وفي مواضع كثيرة من كتب البراهمة يرى المؤلف أن النبي محمداً مذكور بوصفه الذي يعني الحمد الكثير والسمعة الطيبة(١) .

يتضح - مما سبق - كثرة النصوص التي جاءت دالة على نبوة محمد ﷺ في كتب أهل الكتاب، وعليه فهم مطالبون بأن يؤمنوا بمحمد ﷺ بنص كتبهم التي بين أيديهم، فقد قامت بتلك النصوص الحجة البالغة والتي إن عارضوها كانوا مناقضين لأنفسهم، فضلاً عن أنهم لا سبيل لهم إلى إنكارها والجدال فيها، مع العلم أن تلك النصوص لا يعتد بها عندنا نحن المسلمين، وإنما سقناها لإلزامهم الحجة من كتبهم التي يقدسونها.

---

(١) انظر : عباس محمود العقاد : مطلع النور أو طوالع البعثة المحمدية (ط المكتبة العصرية، بيروت - صيدا) ص١٢ وما بعدها، وانظر : أحمد عبدالوهاب : النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام، ص١٦٠، ١٦١.

المبحث الثالث
موقف أهل الكتاب
من دعوة القرآن إلى الإيمان بمحمد ﷺ

لقد كان من المنتظر أن يكون أهل الكتاب - وخاصة يهود يثرب - أول من يؤمن بالرسول الجديد وبالرسالة الجديدة، فقد كان القرآن يتنزل مصدقًا لما جاء في التوراة في عمومه، وكانوا يتوقعون بين لحظة وأخرى ظهور هذا الرسول؛ لوجود أوصافه في البشارات التي يتضمنها كتابهم، ألم يكونوا يستنصرون به على المشركين ؟ أليس في هذا دليل قاطع على أنه رسول من عند الله عز وجل ؟

كان الحري بهم أن يؤمنوا به ويناصروه، ولكن الذي حدث هو العكس، فقد كادوه وجحدوا رسالته؛ لا لشيء إلا للحسد الذي ملأ قلوبهم.

ويبين القرآن الكريم أن الكثير منهم حاول القضاء على الإسلام ورسوله، من هذه المحاولات التي قصها علينا القرآن ما يلي :

أولاها : كتمانهم صفة النبي ﷺ ونقضهم لعهد الله تعالى على الإيمان به :

فقد كتم أهل الكتاب صفة النبي ﷺ الموجودة في كتابهم على الرغم من معرفتهم له أكثر من معرفتهم لأبنائهم، حيث يقول القرآن مبينًا ذلك : ﴿ **الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾(١) .

---

(١) البقرة : ١٤٦.

ويقول أيضًا : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ (١٥٩) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾(١) .

ويقول : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾(٢) .

وفي الآيات « توبيخ من الله وتهديد لأهل الكتاب الذين أخذ الله عليهم العهد على ألسنة الأنبياء أن يؤمنوا بمحمد ﷺ وأن ينوهوا بذكره في الناس فيكونوا على أهبة من أمره، فإذا أرسله الله تابعوه، فكتموا ذلك وتعوضوا عما وعدوا عليه من الخير في الدنيا والآخرة بالدون الطفيف، والحظ الدنيوي السخيف، فبئست الصفقة صفقتهم، وبئست البيعة بيعتهم، وفي هذا تحذير للعلماء أن يسلكو مسلكهم فيصيبهم ما أصابهم »(٣) .

فقد ذمهم القرآن على هذا الكتمان، « ووصفهم بأنهم يكتمون تارة بخلاً به، وتارة اعتياضًا عن إظهاره بالدنيا، وتارة خوفًا أن يحتج عليهم بما أظهروه منه »(٤) .

وتوجد كذلك في قوله تعالى : ﴿ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ استعارة في النبذ والاشتراء، شبه عدم التمسك والعمل به (أي بالميثاق المأخوذ عليهم) بالشيء الملقى خلف ظهر الإنسان وباشتراء ثمن قليل ما تعوضوه من الحطام على كتم آيات الله وصفة رسول الله محمد ﷺ(٥) .

---

(١) البقرة : ١٥٩، ١٦٠.

(٢) آل عمران : ١٨٧.

(٣) مختصر تفسير ابن كثير جـ١ ص٣٤٥.

(٤) الشيخ ابن تيمية : اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ، تحقيق : محمد حامد الفقي، (مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ط الثانية) ص٧.

(٥) انظر : محمد علي الصابوني : صفوة التفاسير (ط مكتبة الغزالي، دمشق) جـ٢ ص٢٥١.

وقد توعدهم الله تعالى على هذا الكتمان بالعذاب المهين الذي سيلحقهم يوم القيامة، عبر القرآن عن ذلك في قول الله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(١) .

ثانيتها : طعنهم في نبوة النبي ﷺ والجدال فيها :

طعن أهل الكتاب – وخاصة اليهود – في نبوة محمد ﷺ، واتبعوا في ذلك عدة مسالك منها :

(أ) تصريحهم بأن محمداً ليس هو النبي الذي بشرت به الكتب السماوية:

وقد حكى القرآن هذا الكذب عنهم بقوله : ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾(٢) .

فبينت الآية أنهم تنكروا للنبي ﷺ وأظهروا له العداوة والتكذيب بعد أن عرفوا أنه هو النبي الذي بشرت به كتبهم.

(ب) تعللهم في عدم الإيمان به بعلل واهية :

وقد حكى القرآن عنهم ذلك في الآيات التالية :

الآية الأولى : قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾(٣) .

(١) البقرة : ١٧٤.

(٢) البقرة : ٨٩.

(٣) آل عمران : ١٨٣.

فالآية تحكي شبهة من شبههم الواهية، وهي أن الله عهد إليهم في كتبهم ألا يؤمنوا لرسولٍ حتى يكون من معجزاته أن من تصدق بصدقة من أمته فقبلت منه أن تنزل نار من السماء فتأكلها. وقد طلب هؤلاء هذه المعجزة على سبيل التعنت لا علي سبيل الاسترشاد والتبصر، فرد عليهم القرآن بما يثبت كذبهم ويبطل دعواهم بأنه قد جاءتهم الرسل بالحجج والبراهين وبما قالوه ثم سعوا في قتلهم. وهذا ما يؤيد صدق النبي ﷺ في كل ما يبلغه عن ربه .

الآية الثانية : قال الله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ لَوْلا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾(١) .

ورد في سبب النزول عن ابن عباس قال : «قال رافع بن حرملة اليهودي لرسول الله ﷺ : يا محمد، إن كنت رسولاً من الله كما تقول، فقل لله فيكلمنا حتى نسمع كلامه، فأنزل الله في ذلك قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ... ﴾(٢).

فكان رد القرآن بأن قولهم هذا ترديد لما قاله أسلافهم للذين أرسلوا إليهم من الرسل لهدايتهم، فقد تشابهت قلوب هؤلاء وهؤلاء في العناد والضلال. مع أن آيات الله واضحة وبينة في ذاتها لمن أخلص في طلب الحق والإنصاف.

الآية الثالثة : قال الله تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُوراً وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً ﴾(٣) .

ورد في سبب النزول عن محمد بن كعب القرظي قال : «أمر الله محمداً ﷺ أن يسأل أهل الكتاب عن أمره وكيف يجدونه، فحملهم حسد محمد أن كفروا

(١) البقرة : ١١٨.

(٢) تفسير ابن جرير : جـ١ ص٥١٢.

(٣) الأنعام : ٩١.

بكتاب الله ورسوله، وقالوا : ما أنزل الله على بشر من شيء، فأنزل الله تعالى هذه الآية[١] .

فشبهتهم أنهم ينكرون نزول الوحي على رسول الله ﷺ وأن ما يقوله ليس من عند الله وإنما من عند نفسه، وهذا مبالغة منهم في إنكار القرآن الكريم.

فرد عليهم القرآن بأن الله تعالى أنزل إليهم التوراة - التي جاء بها موسى - عليه السلام - نوراً وهداية لهم، ولكنهم كتبوها في قراطيس مقطعة وورقات مفرقة، يبدون منها ما يخدم مصالحهم وأغراضهم ويخفون منها ما فيه حجة عليهم لمحمد ﷺ، فالله تعالى الذي أنزل التوراة هو - سبحانه - منزل القرآن، وبذلك تكون قد لزمتهم الحجة وردت عليهم شبهتهم الواهية.

(جـ) جدالهم في تحويل القبلة بقصد الطعن في نبوته ﷺ :

لا شك أن شريعة الإسلام لم تنشئ هذه القبلة إنشاءً (أي قبلة المسجد الحرام)، وإنما جاءت مصدقة ومقررة للقبلة التي أسستها النبوات السابقة، وهذا من أوضح الأدلة على سماحة الإسلام وشدة حرصه على جمع كلمة النبيين، وتوحيد رابطة المؤمنين بالأديان السماوية كلها، ولقد حقق الإسلام هذه الوحدة على مرحلتين متصاعدتين :

ففي المرحلة الأولى انضم إلى صف إخوانه من أنبياء بني إسرائيل، وفي المرحلة الثانية والأخيرة صعد إلى الأصل الأصيل.. إلى الكعبة التي هي أول بيت وضع للناس، منضماً بذلك إلى صف أبي الأنبياء الذي يؤمن كل أهل الأديان به وبقبلته، وإن لم يستقبلوها في صلاتهم[٢] .

إذن ما وجه اعتراض اليهود على هذا ؟ في الحقيقة أنه لا وجه لهم إلا الطعن

---

(١) الإمام النيسابوري : أسباب النزول (ط مطبعة البابي الحلبي، القاهرة) ص١٠١.

(٢) انظر: د/محمد عبدالله دراز : نظرات في الإسلام ص٢٩.

في نبوة الرسول ﷺ وتشكيك الناس في رسالته للانصراف عنها.

قال القرآن : ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(١) .

روي أنه «لما صرفت القبلة عن الشام إلى الكعبة .. أتى رسول الله جماعة من اليهود، فقالوا : يا محمد، ما ولاك عن قبلتك التي كنت عليها وأنت تزعم أنك على ملة إبراهيم ودينه ؟ ارجع إلى قبلتك التي كنت عليها نتبعك ونصدقك. وإنما يريدون بذلك فتنته عن دينه، فأنزل الله تعالى فيهم : ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ﴾ . إلى قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾(٢) .

وكان الهدف من قولهم هذا الطعن في نبوته ﷺ والتشكيك في أمره لحقدهم وحسدهم الذي يأكل قلوبهم نحوه. فرد عليهم القرآن بقول الله تعالى : ﴿ قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ أي هو المالك المتصرف الحاكم الذي لا معقب لحكمه. ثم بين القرآن في رده عليهم، أن الكفرة من أهل الكتاب يعلمون أن تحويل القبلة أمر من الله لما يجدونه من صفة النبي في كتبهم وأن المدينة ستكون مهاجره، وأن اتجاهه إلى الكعبة بأمر من الله، فقال : ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ﴾ .

(د) زعمهم أن محمداً ﷺ لم يرسل إليهم ولكنه مرسل للعرب خاصة :

ادعى أهل الكتاب – وخاصة النصارى – أن الرسول ﷺ أرسل إلى العرب فقط ولم يرسل إلى الناس كافة، وقد روج – بعد ذلك – لهذا الادعاء كثير من المستشرقين المتعصبين، فزعموا أن القول بعالمية الرسالة الخاتمة قد جاءت فيما بعد،

---

(١) البقرة : ١٤٢–١٥٠ .

(٢) النسابوري : أسباب النزول ص٢٠، ٢١، وانظر : سيرة ابن هشام جـ٢ ص١٥٣، ١٥٤، ١٥٥ .

ولم تصدر عن محمد، بل جاءت في عهد خلفائه التواقين للقتال والتوسع، كما أورد ذلك المستشرق (وليم موير) في كتابه الخلافة[١] .

وهذا بلا شك طعن في عالمية نبوته ورسالته ﷺ، وكذب وافتراء وحقد وعداء، رده القرآن الكريم، وأبطله في آيات كثيرة - تعرض البحث لذكر أبرزها في مواضعها - والتي منها : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[٢] وقوله سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً﴾[٣] .

وقد بدت طبيعة الإسلام العالمية من المراحل الأولى للإسلام، فقد جاء في كتب السيرة، أن الرسول ﷺ خرج يومًا على أصحابه فقال : **«أيها الناس إن الله قد بعثني رحمة للناس»** ثم ذكر لهم أنه مرسل إلى هرقل إمبراطور الروم، وكسرى ملك فارس، ونجاشي الحبشة، والمقوقس حاكم مصر من قبل القسطنطينية، والحارث الغساني ملك الحيرة وغيرهم[٤].

فهذا يدل على عالمية الدعوة الإسلامية، وكذب أهل الكتاب في زعمهم خصوصيتها بالعرب فقط، فلقد أكدت الدعوة الإسلامية منذ ظهورها أنها دعوة عامة صالحة لكل زمان ومكان، وأنها صالحة لكل جنس، وصالحة لكل عقل؛ لأنها دين الفطرة، والفطرة أصل عند كل إنسان.

ثالثتها : إصرارهم على عداوة الرسول ﷺ ما لم يتبع ملتهم :

وقد حكى القرآن الكريم ذلك بقوله مخاطبًا الرسول ﷺ : ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ

---

(١) انظر : الشيخ عطية صقر : الدين العالمي ومنهج الدعوة إليه (طبع مجمع البحوث الإسلامية، ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م) ص١٥، وانظر توماس أرنولد : الدعوة إلى الإسلام ص٥٠، هامش، وانظر د/محمد احمد دياب : اضواء على الاستشراق والمستشرقين (دار المنار للنشر والطبع، القاهرة، ط الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م)، ص ٥٣.

(٢) الأنبياء : ١٠٧.

(٣) سبأ : ٢٨.

(٤) انظر : فتحي رضوان : مع الإنسان في الحرب والسلام (ط دار المعارف بمصر) ص ٤٣.

الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ﴾(١) .

يخبر القرآن الكريم أن أهل الكتاب من اليهود والنصارى لا يرضيهم من الرسول ﷺ إلا أن يدخل في دينهم ويترك دينه، والنتيجة إن لم يتبع الرسول ملتهم تاركًا دينه، فستظل كراهيته وعداوته في قلوبهم باقية لا تمحى إلا بمحو الرسول ودعوته وكذلك أتباعه.

وفي الآية «علق رضاهم عن الرسول ﷺ بأمر مستحيل الوقوع من النبي ﷺ»(٢) .

وفي قوله : «﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ﴾ «فإيراد الهدى معرفًا بأل في قوله: ﴿هُوَ الْهُدَىٰ﴾ مع اقترانه بضمير الفصل (هو) يفيد قصر الهداية على دين الله، فهو من باب قصر الصفة على الموصوف، فالإسلام هو الهدى كله وما عداه فهو هوى وعمى»(٣) . فعدم إيمانهم بهذا الدين مع أنه هدى ونور، يدل على العداء الشديد لهذا الدين ورسول هذا الدين ﷺ، وهذا العداء وهذه الكراهية هي السمة التي تميز موقف أهل الكتاب من الرسول ﷺ .

رابعتها : توجيه الأسئلة المتعنتة إلى النبي ﷺ ؛ لإظهاره بمظهر العاجز عن إجابتها :

حكى القرآن الكريم عنهم هذا العداء الخبيث ضد النبي ﷺ ووبخهم عليه، في قوله تعالى : ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا

---

(١) البقرة : ١٢٠ .

(٢) أبو حيان : البحر المحيط جـ١ ص٣٦٨، وانظر: محمد عبدالخالق عضيمة : دراسات لأسلوب القرآن (مطبعة السعادة، ط الأولى سنة ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م) م١ جـ٢ ص١٠٦ .

(٣) محمد على الصابوني : صفوة التفاسير جـ١ ص٩٢ .

الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا (١٥٣) وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴾(١) .

وقد روي في سبب النزول أنه : «جاء أناس من اليهود إلى رسول الله ﷺ فقالوا : إن موسى جاء بالألواح من عند الله، فأتنا أنت بالألواح من عند الله حتى نصدقك، فأنزل الله ﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ... ﴾ الآيات(٢) . وسؤالهم هذا على سبيل التعنت والجحود؛ لأن الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة قائمة أمامهم تبين صدق النبي ﷺ فوبخهم القرآن على هذا السؤال بقوله: ﴿فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ﴾. قال صاحب الكشاف : ﴿ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ ﴾ جواب لشرط مقدر معناه : إن استكبرت ما سألوك عنه فقد سألوا موسى أكبر من ذلك، وإنما أسند السؤال إليهم وإن وجد من آبائهم في أيام موسى؛ لأنهم كانوا على طريقتهم وراضين بسؤالهم ومضاهين لهم في العنت»(٣).

فكانوا قد سألوا موسى - عليه السلام - رؤية الله جهرة، وهذا يدل على جرأتهم الشديدة على الله تعالى، فكان جزاؤهم على ذلك أن أخذتهم الصاعقة، وهي نار نزلت عليهم من السماء لها صوت رهيب فصعقتهم. وهذا تذكير للأخلاف بما فُعل بالأسلاف ليتركوا العنت والجحود، وإلا فعل بهم كما فعل بأسلافهم.

ومن قبيل الأسئلة المتعنتة التي وجهت للنبي ﷺ سؤالهم إياه عن الروح، وعن طعام أهل الجنة وشرابهم وغير ذلك. وقصدهم من وراء ذلك إحراجه وتعجيزه والإساءة إليه.

---

(١) النساء : ١٥٣، ١٥٤.

(٢) انظر : تفسير ابن جرير، جـ٦ ص٧.

(٣) الإمام الزمخشري : تفسير الكشاف جـ١ ص٣٩٤.

ومن أمثلة ذلك ما جاء في الصحيحين عن عبدالله بن مسعود قال: «بينما أنا أمشي مع النبي ﷺ في حرث وهو متكئ على عسيب[١] إذ مر بنفر من اليهود فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح، فقالوا: ما رابكم إليه لا يستقبلكم بشيء تكرهونه، فقالوا: سلوه فقام إليه بعضهم فسأله عن الروح قال: فأسكت النبي ﷺ، فلم يرد عليه شيئًا، فعلمت أنه يوحى، فقمت مكاني، فلما نزل الوحي قال: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾[٢].

خامستها: عداؤهم لجبريل - عليه السلام - لنزوله بالوحي من عند الله على النبي ﷺ:

لقد سمع اليهود أن جبريل - عليه السلام - ينزل بالوحي من عند الله على رسول الله - وهم يحسدونه على النبوة - فلج بهم الحقد والغيظ إلى أن أعلنوا عن عدائهم لجبريل، وافتروا عليه الأكاذيب والأباطيل، وناقضوا ما وصفه الله به من أنه روح القدس، وأنه الروح الأمين، وأنه السفير بين الله وأنبيائه، فزعموا أنه ملك الفظاظة والغلظة والإعسار والتشديد والعذاب وسفك الدماء[٣].

ووصفوا جميع الملائكة بالحسد، فهم يقولون: إن الملائكة يجهلون اللغة السريانية والكلدانية حتى لا يحسدوا اليهود على صلاتهم، وأن جبريل مخصص للنار وإنضاج الثمار[٤].

---

(١) العسيب هو: جريد النخل.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في كتاب التوحيد، جـ٤ ص٢٩٠، ٢٩١، وأخرجه الإمام مسلم - واللفظ له - في كتاب (صفة القيامة والجنة والنار) باب سؤال اليهود النبي ﷺ عن الروح، جـ١٧ ص١٣٦، ١٣٧.

(٣) انظر: د/محمد سيد طنطاوي: بنو إسرائيل في القرآن والسنة ص٣٩٨، وانظر: أحمد محمد جمال: القصص الرمزي في القرآن الكريم ص١١٥.

(٤) انظر: د/محمد عبدالله الشرقاوي: الكنز المرصود في فضائح التلمود (مكتبة الوعي الإسلامي ١٩٩٠م) ص١٨٠.

يقول الله تعالى : ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ (٩٧) مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ﴾(١).

وفي النص القرآني الكريم يقيم القرآن الحجة على بطلان شبهتهم في عدم الإيمان بالنبي ﷺ.

وقوله : ﴿فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ قال الشيخ محمد عبده : «وإذا كان يناجي روحك ويخاطب عقلك بإذن الله لا افتياتًا من نفسه فعداوته لا يصح أن تصد عن الإيمان بك، وليس للعاقل أن يتخذها تعلة وينتحلها عذراً، فإن القرآن من عند الله لا من عنده، فقوله : ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ حجة أولى عليهم»(٢).

وقوله : ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي : حال كونه موافقًا للكتب التي تقدمته في الأصول التي تدعو إليها من التوحيد واتباع الحق والعمل الصالح، ومطابقًا لما فيها من البشارات بالنبي الذي يجيء من أبناء إسماعيل، كأنه يقول : آمنوا به لهذه المطابقة والموافقة، لا لأن جبريل واسطة في تبليغه وتنزيله، وهذه حجة ثانية، ثم عززها بثالثة وهي قوله ﴿وَهُدًى﴾ أي : نزله هاديًا من الضلالات والبدع الذي طرأت على الأديان، فألقت أهلها في حضيض الهوان، والعاقل لا يرفض الهداية التي تأتيه وتنقذه من ضلال هو فيه، فإن هذا الرفض من عمل الغبي الجاهل الذي لا يعرف الخير بذاته، وإنما يعرفه بمن كان سببًا في حصوله، ثم أيد الحجج الثلاث برابعة فقال : ﴿وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾(٣) المتبعين طريق الإيمان يبشرهم برضا الله تعالى عنهم في الدنيا والآخرة، أما الضالون فقد أنذرهم بسوء المصير.

أخرج الإمام أحمد في سبب نزول الآية السابقة عن ابن عباس – رضي الله

---

(١) البقرة : ٩٧، ٩٨.

(٢) محمد رشيد رضا : تفسير المنار : جـ١ ص٣٢٤.

(٣) انظر : السابق : جـ١ ص٣٢٤.

عنهما - (أن اليهود بعد أن سألوا النبي ﷺ أسئلة أجابهم عنها، قالوا له : صدقت، فحدثنا من وليك من الملائكة فعندها نجامعك أو نفارقك. قال : وليي جبريل، لم يبعث الله نبيًا قط إلا وهو وليه، قالوا : فعندها نفارقك، ولو كان وليك سواه من الملائكة لتابعناك وصدقناك قال : فما يمنعكم أن تصدقوه ؟ قالوا : إنه عدونا، فأنزل الله تعالى قوله : ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ.. ﴾ الآيات(١) .

ومن عجيب تهافت اعتقادهم أنهم يثبتون أنه ملك مرسل من عند الله، ومع ذلك يبغضونه، وهذا أحط دركات الانحطاط في العقل والعقيدة، ولا شك أن اضطراب العقيدة من أكبر مظاهر انحطاط الأمة؛ لأنه ينبئ عن تضافر آرائهم على الخطأ والأوهام(٢) .

لقد امتنع اليهود عن الإيمان بالنبي ﷺ والدخول في الإسلام من أجل أن جبريل ينزل بالوحي على رسول الله فلا يؤمنون بوحي يجيء هو به.

وقد نبههم القرآن إلى أن عداءهم لجبريل - عليه السلام - هو في الحقيقة عداء لله تعالى : ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ ﴾.

وقد خص الله - عز وجل - جبريل وميكائيل بالذكر بعد ذكر جميع الملائكة، وهذا من باب عطف الخاص على العام، ولأن السياق يتناول الحديث عن عداوة اليهود لجبريل وزعمهم أن ميكائيل وليهم.

وقوله سبحانه في ختام الآية الكريمة : ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ ﴾ «ولم يقل فإن الله عدو له ولهم؛ ليدل على أن عداوة كل واحد ممن اشتملت الآية الكريمة

---

(١) المسند جـ١ ص٢٧٨.

(٢) انظر: الطاهر بن عاشور : تفسير التحرير والتنوير (الدار التونسية) جـ١ ص٢٢١ .

على ذكرهم كفر وجحود، وليكون اندراجهم تحت هذا الحكم العام من باب إثبات الحكم بالدليل، وللإشعار بأن عداوة الله تعالى لهم سببها كفرهم، فإن الله لا يعادي قومًا لذواتهم ولا لأنسابهم، وإنما يكره لهم الكفر ويعاقبهم عليه معاقبة العدو للعدو»(١) . فمن الملاحظ أن عداء اليهود لجبريل - عليه السلام - دافعه الحسد الذي ملأ قلوبهم للنبي ﷺ ولدعوته، وكراهيتهم أن يُنزل الله عليه من فضله.

سادستها : تحالفهم مع أعداء الرسول ﷺ للقضاء عليه وعلى دعوته :

من مظاهر عداوة اليهود - وأيضًا النصارى - للرسول ﷺ ولدعوته مظاهرتهم لكل مناوئ لهما وتحالفهم معه. حكى القرآن الكريم عنهم ذلك في قول الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥١) فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾(٢) .

وفي الآيتين الكريمتين ينهى الله تعالى المؤمنين عن موالاة اليهود والنصارى أعداء الله، ويكشف - سبحانه - عن تحالف جبهتي اليهود والمنافقين ضد رسول الله ﷺ وبغيتهم القضاء عليه وعلى دعوته.

وقوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً (٥١) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا (٥٢) أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذًا

---

(١) د/محمد سيد طنطاوي : بنو إسرائيل في القرآن والسنة ص٤٠٣ .

(٢) المائدة : ٥١، ٥٢ .

لاَ يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيراً ﴿٥٣﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ... ﴾ الآيات(١) .

نزلت هذه الآيات في وفد من اليهود - هذا الوفد هو الذي حزب الأحزاب ضد الرسول ﷺ - ذهبوا إلى قريش وإلى غيرها من القبائل العربية، يزينون لهم إثارة الحرب ضد الرسول ﷺ وأتباعه، فقالت لهم قريش : يا معشر يهود أديننا خير أم دين محمد؟ ولم يتورع اليهود - لبغضهم الشديد للرسول - عن القول : بأن الأصنام والشرك خير من دين التوحيد والعدل، فقالوا لهم : بل دينكم خير من دينه، وأنتم أولى بالحق منه؛ فأنزل الله هذه الآيات(٢) فأدى بهم هذا الأمر إلى غضب الله تعالى عليهم وطردهم وإبعادهم من رحمته لمناوأتهم للحق وتفضيلهم للباطل.

سابعتها : إيذاء الرسول ﷺ بالقول القبيح والخطاب السيئ :

من مظاهر عداء اليهود للنبي ﷺ خطابه بكلام فيه تورية، ليؤدي غرضهم السيئ وهو إيذاؤه ﷺ والتقليل من شأنه لصرف الناس عنه.

يقول تعالى : ﴿ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾(٣) .

لقد وصل الأمر باليهود زيادة على جحودهم أن خرجوا عن حدود الأدب مع النبي ﷺ وتجاوزوا هذا النطاق من الجحود وزادوا عليه السخرية والبذاءة...

(١) النساء : ٥١ - ٥٥.

(٢) انظر : اسباب النزول للنيسابوري ص٧٢، و د/عبدالحليم محمود : الجهاد والنصر (دار الكتاب العربي للنشر، القاهرة ١٩٦٨م) (ص١٠٠ وما بعدها).

(٣) النساء : ٤٦.

فكانوا يلوون ألسنتهم بكلمة (راعنا) حتى تؤدي إلى نعت النبي بالرعونة، ويجهرون بعصيانه فيما يأمر ويدعو؛ ويستعملون كلمة (عصينا) على (سمعنا) استخفافًا به(١) . ولقد نهى القرآن عن مشابهة الكفار من اليهود والنصارى في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٠٤) مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾(٢) .

والآية تبين أن اليهود كانت تقول للنبي ﷺ : راعنا سمعك، يستهزؤن بذلك. وكانت في اليهود قبيحة، وروي أيضًا أنه : كان يأتي ناس من اليهود فيقولون : راعنا سمعك؛ حتى قالها ناس من المسلمين. فكره الله لهم ما قالت اليهود(٣) .

ثامنتها : الغدر بالنبي ﷺ ، ونقض عهودهم معه :

لم يكتف اليهود بالمكايدات والمكابرات والمحاكات الكلامية مع رسول الله ﷺ فنقضوا العهود معه وغدروا به وحاولوا قتله، فيذكر الله تعالى المؤمنين بنعمته عليهم، وكيف أنه - سبحانه - نجى نبيهم من غدر اليهود وآذاهم فقال : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾(٤) .

وقد رجح العلماء أن سبب نزول هذه الآية هو محاولة بني النضير من

---

(١) انظر : محمد عزة دروزة : سيرة الرسول جـ٢ ص١١٢، وانظر : د/عبدالغفار عزيز : الدين والسياسة في الأديان الثلاثة، (الحقيقة للإعلام الدولي، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م) ص١٣٤.

(٢) البقرة : ١٠٣، ١٠٤.

(٣) انظر: الشيخ ابن تيمية : اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ص٤٥، ٤٦، و د/محمد كمال عبدالعزيز : إعجاز القرآن في حواس الإنسان (ط مكتبة القرآن، القاهرة، ١٩٨٧م) ص٤٧.

(٤) المائدة : ١١.

اليهود قتل النبي ﷺ(١).

فقام الرسول بإجلاء اليهود عن المدينة، جزاء غدرهم ومكرهم. وكان أول من أجلاهم عن المدينة هم: يهود بنو قينقاع - وذلك لما كانت وقعة بدر - أظهروا البغي والحسد ونبذوا العهد والمدة، فأنزل الله تعالى فيهم ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ فقال النبي: إني أخاف بني قينقاع(٣).

وقد دعاهم النبي ﷺ إلى الإسلام فأبوا، فتم إجلاؤهم عن المدينة.

أما يهود بني النضير فغدروا بالنبي ﷺ وأرادوا قتله؛ فحاصرهم النبي وأجبرهم على الاستسلام، وقد حكى القرآن في سورة الحشر حادثة إجلائهم عن المدينة.

أما يهود بني قريظة، فعداؤهم للرسول وللمسلمين كان شديداً، فقد ألبوا أحزاب المشركين على رسول الله، ومالئوهم أثناء حصارهم للمدينة، واتفقوا معهم على قتال المسلمين؛ فعزم الرسول على القضاء عليهم نهائيًا، فحاصرهم المسلمون مدة خمس عشرة ليلة من أواخر ذي القعدة وأوائل ذي الحجة، وحُكم عليهم بقتل رجالهم وسبي ذراريهم وتقسيم أموالهم.

وأما يهود خيبر فسار إليهم النبي ﷺ ونزل عليهم ليلاً ولم يعلموا بذلك فخرجوا في الصباح إلى عملهم، فلما رأوه عادوا، وقالوا: محمد والخميس، ويعنون الجيش، فقال النبي ﷺ: الله أكبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم ﴿فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ﴾ ثم حاصرهم وضيق عليهم، وبدأ بالأموال يأخذها مالاً مالاً، ويفتحها حصنًا حصنًا.. وأصاب منهم رسول الله سبايا منهم صفية بنت حيي(٤)

---

(١) انظر: النيسابوري: أسباب النزول، ص٨٩.

(٢) الأنفال: ٥٨.

(٣) انظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى (دار صادر، بيروت) جـ٢ ص٢٩.

(٤) صفية بنت حيي: هي أم المؤمنين صفية بنت حيي بن أخطب الإسرائيلية، من سبط هارون بن عمران، قتل زوجها كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق النضري يوم خيبر، وصارت صفية مع السبي، فاصطفاها=

فاصطفاها النبي ﷺ لنفسه ، وكان ذلك في أواخر المحرم للسنة السابعة من الهجرة(١) .

وقد شهدت صفية بنت حيي بعداء أبيها وعمها للرسول ﷺ ، فروي عنها أنها قالت : « كنت أحب ولد أبي إليه وإلى عمي أبي ياسر، لم ألقهما قط مع ولداهما إلا أخذاني دونه، قالت : فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة، ونزل قباء في بني عمرو بن عوف غدا عليه أبي حيي بن أخطب، وعمي أبو ياسر بن أخطب، مغلسين (أي في ظلمة آخر الليل) قالت : فلما يرجعا حتى كانا مع غروب الشمس، قالت : فأتيا كالين كسلانين ساقطين يمشيان الهوينى، قالت : وسمعت عمي أبا ياسر وهو يقول لأبي حيي بن أخطب : أهو هو ؟ قال : نعم والله، قال : أتعرفه وتثبته ؟ نعم. قال : فماذا في نفسك منه ؟ قال : عداوته – والله – ما بقيت »(٢) .

وفي عهد سيدنا عمر بن الخطاب كان قد بلغه أن رسول الله ﷺ قال في أيامه الأخيرة : لا يجتمعن في جزيرة العرب دينان، وبعد أن تثبت عمر – رضي الله عنه – من صحة حديث الرسول الكريم أرسل إلى بقايا يهود خيبر يأمرهم بالجلاء إلا من كان عنده عهد من رسول الله ﷺ .

= الرسول لنفسه، وأسلمت، فاعتقها، وتزوجها، وجعل عتقها صداقها، وسألها الرسول عن اثر لطمة في وجهها، فاخبرته أنها رأت في المنام ان القمر وقع في حجرها. فذكرت ذلك لأمها، فلطمتها على وجهها قائلة : إنك لتمدين عنقك ان تكون عند ملك العرب، وقد توفيت – رضي الله عنها – بالمدينة المنورة في رمضان سنة ٥٠ هـ، وروت عشرة أحاديث (الإصابة جـ٤ ص٣٤٦، ط الحلبي، والاستيعاب جـ٤ ص٣٤٦. بهامش الإصابة، والإعلام جـ٣ ص٢٩٦) .

(١) راجع : ابن الاثير : الكامل في التاريخ (دار صادر، بيروت) جـ٢ ص٢١٧ .

(٢) انظر ابن هشام : السيرة النبوية جـ٢ ص١١٦، ودلائل النبوة للبيهقي جـ٢ ص٥٣٣ .

تاسعتها : عداؤهم لأتباع النبي ﷺ ومحاولة فتنتهم وردهم عن دينهم :

حاول اليهود بكل ما أوتوا من خبث ومكر وإثارة الفتن بين المسلمين وردهم عن دينهم، وذلك لما رأوا أن النبي ﷺ أصبح أقوى منهم، وأن قوته تتجه إلى المجال الخارجي، وأن دعوته امتدت إليهم، واعتنق الإسلام رجل من علمائهم هو عبدالله بن سلام القينقاعي. فوبخهم القرآن على هذا المسلك الخبيث ودعاهم إلى تركه، فقال تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ۝٧٠ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾(١).

وتنكر الآيات الكريمة محاولة اليهود إضلال المسلمين وردهم عن دينهم عن طريق كفرهم بآيات الله تعالى وهم يعلمون صدقها ، وعن طريق كتمانهم صفة النبي ﷺ الموجودة في كتبهم وهم يعرفون أيضًا ذلك ويتحققونه.

ثم يكشف القرآن عن محاولة من محاولات اليهود الخبيثة يريدون بها إدخال اللبس على الضعفاء في أمر دينهم، وهي الدخول في الإسلام أول النهار والصلاة مع المسلمين، فإذا جاء آخر النهار ارتدوا إلى دينهم، فيتكلم الضعفاء بأنهم ارتدوا إلى دينهم لوجود نقيصة في دين المسلمين.

قال تعالى : ﴿ وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝٧٢ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَى اللَّهِ أَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ۝٧٣ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾(٣) .

---

(١) انظر البلاذري : فتوح البلدان (دار النشر للجامعيين، بيروت ١٩٥٧م) ص٣٩.

(٢) آل عمران : ٧٠، ٧١.

(٣) آل عمران : ٧٢-٧٤.

فالناظر إلى موقف اليهود من أتباع الرسول ﷺ لا يجد إلا تاريخًا من العداء والعناد والحرب الدائبة والكيد الدائم الذي لا يفتر على مدار التاريخ.

وكذلك النصارى فإنهم يحاولون في كل زمان ومكان - وخاصة المبشرين منهم - تنصير المسلمين وإخراجهم من دينهم، فقد أقيمت المؤتمرات تلو المؤتمرات لوضع الخطط القوية لنجاح هذا العمل، فغايتهم وأمنيتهم رد المسلمين عن إيمانهم ودينهم، وذلك للحسد الذي يملأ نفوسهم من بعد ما تبين لهم الحق.

ومن هنا وردت آيات عديدة في تحذير المسلمين من تولي الأعداء واتخاذهم بطانة لهم وموادتهم مهما كان السبب؛ لما في ذلك من تعريض مصلحة المسلمين وكيانهم للخطر، ومن دلالة على ضعف التضامن بينهم. ومن منافاة للإخلاص الواجب لتلك المصلحة وذلك الكيان وهذا التضامن منافاة ينتفي بها الإخلاص للدين والصدق في الإيمان(١) كما هو واضح في الآيات التالية :

يقول الله تعالى : ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾(٢).

وقال تعالى أيضًا : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾(٣).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾(٤).

---

(١) انظر : محمد عزة دروزة : الدستور القرآني والسنة النبوية في شئون الحياة (ط عيسى البابي الحلبي وشركاه) جـ٢ ص٢٢.

(٢) آل عمران : ٢٨.

(٣) آل عمران : ١١٨.

(٤) المائدة : ٥١.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾(١) .

وقد نزلت هذه الآيات بمناسبة ما كان من أمر اليهود عندما أثاروا بين الأنصار الأحقاد القديمة حتى كادوا أن ينسوا الأخوة التي أرساها بينهم الإسلام، فلقنهم القرآن أن الاعتصام بحبل الله وعدم الفرقة قوة لهم، وحصنًا منيعًا من أعدائهم.

ومما سبق يتبين أن أهل الكتاب على يقين من نبوة محمد ﷺ، وعلى اطلاع تام على ما أثبتته كتبهم من الحديث عنه ﷺ، ولكنهم كانوا عبيداً لعصبيتهم وتكبرهم، وذلك هو سبب الكفر عند الكثير ممن يتظاهر بعدم الإيمان والفهم(٢).

وقد تمثل هذا الكفر في العداء له والرغبة الشديدة في القضاء عليه وعلى دعوته ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾(٣).

---

(١) آل عمران : ١٠٠ – ١٠٣.

(٢) انظر : د/محمد سعيد رمضان البوطي : فقه السيرة (دار الفكر للطباعة، ط الثامنة ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م) ص٣٠٨.

(٣) الصف : ٨.

الباب الثالث

دعوة القرآن الكريم أهل الكتاب عن طريق تذكيرهم بنعم الله تعالى عليهم

الباب الثالث

دعوة القرآن الكريم أهل الكتاب عن طريق تذكيرهم بنعم الله تعالى عليهم

تحدث القرآن الكريم في كثير من آياته – وباستفاضة – عن ألوان النعم التي أنعم الله بها على أهل الكتاب – وخاصة اليهود – وذلك لحملهم على الإيمان والطاعة والقيام بواجب الشكر لله سبحانه.

وإذا نظرنا وجدنا أن الشكر لله تعالى من أعلى مستويات العبادة؛ لعدة أسباب هي :

أولاً : أن الشكر يقين بأن النعمة من الله وحده.. وهذا توحيد.

ثانيًا : الإحساس بفضل النعمة على الشاكر.. وهذا معرفة بقدر الله.

ثالثًا : ثم إن الشاكر يصرف نعمته تعالى فيما خلقت له.. وهذا يعني أن الشاكر خائف.. وَجِلٌ.. منقاد للحق تعالى.. خاضع له سبحانه.. إنه شاعر بأنه عبدالله منتفع بعطاء ربوبيته.. فكيف لا يعطى حق وحدانيته ؟ وينشأ عن هذا كله : حب العبد ربه.. والثناء عليه، وبهذا يستجمع الشاكر خصائص العبودية.. المحتسبة.. المعترفة بالجميل.. لواهب الجميل سبحانه(١) .

وهذا ما يريده القرآن من أهل الكتاب عند تذكيرهم بنعم الله عليهم، فإن تعريفهم بفضل الله عز وجل دعوة لهم إلى الاستقامة والطاعة، وتنبيه إلى زيادة هذا

(١) من بحث لـ د/محمود محمد عمارة : موضوعه (النعمة بين الشكر والكفر) (نشر بمجلة الوعي الإسلامي الكويتية، العدد ٣٦٣ السنة ٣٢ سنة ١٤١٦هـ-١٩٩٦م) ص٧٩.

الفضل إن هم قاموا بشكر الله عز وجل، ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾(١) .

ونحاول في الفصول التالية تجلية أهم النعم التي أنعم الله بها على أهل الكتاب وموقف أهل الكتاب منها، وذلك في ضوء القرآن الكريم، وهذه الفصول هي :

الفصل الأول : تذكير القرآن الكريم اليهود بنعم الله عليهم، والغاية من ذلك.

الفصل الثاني : تذكير القرآن الكريم النصارى بنعم الله عليهم، والغاية من ذلك.

الفصل الثالث : إنصاف القرآن الكريم أهل الكتاب ودعوته إلى التسامح معهم.

---

(١) إبراهيم : ٧.

الفصل الأول

تذكير اليهود بنعم الله تعالى عليهم، والغاية من ذلك

عدد القرآن الكريم في كثير من آياته ألوان النعم التي أنعم الله بها على اليهود، وذكر الهدف من ذلك، وقد أتى حديث القرآن تارة مجملاً، وتارة أخرى مفصلاً.

فقد أجمل القرآن الكريم في بعض المواضع نعم الله تعالى على اليهود، ومن ذلك قوله - سبحانه - : ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ (٤٠) وَآمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ (٤١) وَلا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (٤٢) وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾(١).

وفي النص الكريم أضيف بنو إسرائيل إلى أبيهم يعقوب - عليه السلام - فإسرائيل اسم ليعقوب - إضافة تشريف لهم وتكريم، وحث لهم على الاقتداء به في الطاعة والعبادة، وذلك في قوله تعالى : ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ..﴾.

«ويستعمل مثل هذا التعبير في مقام الترغيب والترهيب، بناء على الحسنة في نفسها حسنة، وهي من بيت النبوة أحسن، والسيئة في نفسها سيئة وهي من بيت النبوة أسوأ، ففي هذا النداء خير داع لذوي الفطرة السليمة منهم إلى الإقبال على

---

(١) البقرة : ٤٠ - ٤٣.

ما يرد بعده من التذكير بالنعمة واستعمالها فيما خلقت له»[١] .

وقوله : ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ أي كونوا دائمًا وأبدًا متنبهين بعقولكم لهذه النعم، ذاكرين لها، شاكرين عليها، قائمين بحقوقها؛ فإن ذلك يوجب زيادتها ودوامها.

ثم أمرهم القرآن في مقابل تلك النعم أن يوفوا بما عاهدهم الله عليه من الطاعة والإيمان بكل ما أنزله عز وجل إليهم من وحي، ونهاهم عن أن يكونوا هم أول كافر بالقرآن الذي أنزله على رسوله محمد ﷺ، فإنه نعمة كبرى من الله تعالى عليهم؛ فهو الهادي إلى الصراط المستقيم، ولأنهم أدرى الناس بأنه من عند الله؛ لأنه يوافق أصول ما جاء في كتبهم من توحيد الله تعالى والإيمان برسله جميعًا وما جاء فيها عن صفة رسول الله محمد ﷺ واسمه، تحدث القرآن عن هذا كله في قوله تعالى : ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ إلى قوله : ﴿وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ (٤١)﴾ ونهاهم عن تلبيسهم الحق بالباطل وكتمانهم له وهم يعلمون، وهذا جرم عظيم منهم في حق أنفسهم، فقال سبحانه : ﴿وَلا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾. وأمرهم كذلك بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والدخول في جماعة المخلصين الطائعين لله تعالى؛ فإن في ذلك من الوسائل ما يصلح حالهم ويطهر قلوبهم، وذلك في قوله : ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ والمراد بالركوع هنا الصلاة، وهو من باب تسمية الكل باسم الجزء؛ فقد أطلق الركوع وأريد به الصلاة.

ثم فصل القرآن الكريم في مواضع أخرى الحديث عن نعم الله تعالى على اليهود، فذكر كل نعمة على حدة، ونذكر – فيما يلي – بعض هذه النعم :

---

(١) انظر : د/محمد سيد طنطاوي : بنو إسرائيل في القرآن والسنة ص٣٢٩.

أولاً: نعمة تفضيلهم على العالمين في زمانهم:

قال الله تعالى: ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾(١).

وفي الآية يعيد القرآن الكريم النداء على اليهود مرة أخرى، «فما الفائدة في تكرار قوله: ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾ فقد تقدم ذكر هذه العبارة في قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾، وأعادها هنا؟ والإجابة؛ لأنه لما كانت نعم الله سبحانه هي الأصل فيما يجب شكره، احتيج إلى تأكيدها، كما يقال: اذهب اذهب: عجل عجل؛ ولأنه في الآية الأولى ذكرهم بنعمه عليهم، وفي هذه الآية ذكرهم بنعمه على آبائهم»(٢)، وأيضاً تنبيههم إلى ما يشتمل عليه هذا النداء من أوامر ونواه، ومن أساليب القرآن: تكرار الأمر المشتمل على شيء يستوجب مزيداً من الاهتمام والعناية، ومن ذلك ما نحن بصدده من تكرار ذكر النعم؛ فإن هذا التكرار يقنع النفس الطيبة بفضل واهب هذه النعم سبحانه وتعالى؛ مما يدعوها إلى حبه وطاعته، وقوله: ﴿ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ عطف على ﴿ نِعْمَتِيَ﴾، أي عالمي زمانهم، يريد به تفضيل آبائهم الذين كانوا في عصر موسى – عليه الصلاة والسلام – وبعده قبل أن يغيروا ما منحهم الله تعالى من العلم والإيمان والعمل الصالح، وجعلهم أنبياء وملوكًا مقسطين(٣).

وفي تذكير الأخلاف بهذه النعمة التي منحها الله للأسلاف شرف عظيم لهم، ودعوة لهم إلى الإيمان والطاعة، وتنبيه إلى إعطائهم مثل هذه النعم في حالة القيام بشكر النعم التي كانت على الأسلاف وفاءً بحقها.

(١) البقرة: ٤٧.

(٢) انظر: الشيخ خليل ياسين: أضواء على متشابهات القرآن (بيروت – لبنان، ١٣٨٨هـ-١٩٦٩م) ص٥٦.

(٣) انظر: تفسير البيضاوي (مطبوعات أسعد محمد الحبال وأولاده بجدة) ص٩.

وفي مثل الآية السابقة يقول الله تعالى : ﴿ وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَآتَيْنَاهُم مِّنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ ﴾(١) .

وبعد أن ذكرهم الله تعالى بهذه النعمة من نعمه العظيمة، حذرهم من التقصير في العمل الصالح، فإن أمامهم يومًا عظيمًا فيه الحساب والجزاء على ما قدمت النفس من أعمال صالحة أو سيئة، يقول الله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾(٢) .

ثانيًا: نعمة إنجائهم من عدوهم فرعون وقومه:

قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ (٣) .

وفي الآية تذكير من القرآن لهم بنعمة أخرى، وهي إنجاؤهم من عدوهم فرعون، فقال : ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم ﴾ أي اذكروا وقت أن نجينا آباءكم - والخطاب للأبناء المعاصرين للنبي ﷺ - وفي نجاة آبائهم نجاة لهم ﴿ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ ﴾(٤) أي من أتباعه وخاصته، فهم عون له ﴿ يَسُومُونَكُمْ ﴾ « سامه يسومه أولاه وألزمه، وقيل: من السوم بمعنى الدوام، أي يديمون تعذيبكم »(٥) .

﴿ سُوءَ الْعَذَابِ ﴾ أي أشد العذاب وأسوأه، « وقيل : يصرفونكم في العذاب

---

(١) الدخان : ٣٢ - ٣٣ .

(٢) البقرة : ٤٨ .

(٣) البقرة : ٤٩ .

(٤) (فرعون) قيل : هو اسم ذلك الملك بعينه، وقيل : إنه اسم لكل ملك من ملوك العمالقة أولاد عمليق بن لاوز بن إرم بن سام بن نوح، كما يسمى من مَلَكَ الفرس كسرى، ومن ملك الروم قيصر، ومن ملك الحبشة النجاشي . وقيل فرعون : اسم على كل من كان يملك مصر من القبط والعماليق (انظر : صديق خان : فتح البيان في مقاصد القرآن ص١٣٦ ، ١٣٧) .

(٥) انظر : محمد السيد الداودي : من كنوز القرآن ص٩٧ .

مرة كذا ومرة كذا، وذلك أن فرعون جعل بني إسرائيل خدمًا وخولاً، وصنفهم في الأعمال أصنافًا، صنف يبنون ويزرعون، وصنف يخدمونه، ومن لم يكن في عمل وضع عليه الجزية»[١] .

﴿ **يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ** ﴾ أي أن من ألوان العذاب الذي كان آل فرعون يلحقونه بكم : ذبح أبنائكم الذكور، وترك بناتكم للحياة، ﴿ **وَفِي ذَلِكُم بَلاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ** ﴾ أي اختبار وامتحان، والبلاء يطلق على النعمة العظيمة، وعلى المحنة الشديدة؛ ليختبر الله على النعمة بالشكر وعلى الشدة بالصبر، فإن حُمل قوله تعالى : ﴿ **وَفِي ذَلِكُم بَلاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ** ﴾ على صنع فرعون كان من البلاء والمحنة، وإن حُمل على الإنجاء كان من النعمة[٢]، وفي النجاة من الهلاك اختبار من الله تعالى حتى يظهر شكر الناجي .

وقد تكرر تذكير بني إسرائيل بهذه النعمة العظيمة (نعمة الإنجاء) في مواضع عدة من القرآن الكريم، والهدف من التكرار تنبيههم لعظم هذه النعمة؛ ليقوموا بشكر الله تعالى عليها وعدم نسيانها، فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ **وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ** ﴾[٣]، وقوله : ﴿ **وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ** ﴾[١] . وقوله : ﴿ **وَلَقَدْ نَجَّيْنَا**

---

(١) تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل (ط مصطفى البابي الحلبي بمصر، ط الثانية ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م) ص٥٦ .

(٢) انظر : د/محمد محمود حجازي : التفسير الواضح (ط السادسة، ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م) جـ١ص٣٨، وقد روي في سبب تعذيب فرعون بني إسرائيل والتنكيل بهم (أنه رأى ناراً اطلقت من بيت المقدس واحاطت بمصر وانزعج من هذه الرؤيا، وفسرت له بانه سيخرج ولداً من بني إسرائيل يذهب ملكك على يديه فاخذ يقتل الذكور ويترك النساء ومع هذا فقد نجى الله بني إسرائيل من العذاب المهين. (راجع تفسير الخازن جـ١ ص٥٧، والتفسير الواضح جـ١ ص٣٧) .

(٣) الأعراف : ١٤١ .

بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ (٣٠) مِن فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ ﴾(٢)
وفي هذه الآية وصف من الله تعالى لتعذيب فرعون لبني إسرائيل وقسوته عليهم؛ ليكشف مدى الامتنان عليهم بإنجائهم من ذلك العذاب، ولما كان الغرض من التهويل بشأن فرعون تأكيد شدة العذاب الذي نجى الله بني إسرائيل منه أكده بقوله : ﴿ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ ﴾(٣) .

ثم ذكرهم الله تعالى بنعمة عظيمة – أيضًا – حصل بها تمام الإنجاء من عدوهم فرعون وقومه، وهي نعمة فرق البحر لهم، فقال – سبحانه – : ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾(٤) .

والآية الكريمة تشير إلى قصة نجاة بني إسرائيل وغرق فرعون وقومه إجمالاً، وقد فصلها القرآن في قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (٦١) قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ (٦٢) فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ (٦٣) وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ ﴾(٥). وكان فرق البحر معجزة كونية(٦) أيد الله بها موسى – عليه السلام –، وقد أسندها الله تعالى إلى ذاته في قوله: ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ ﴾ للدلالة على أن نجاة بني إسرائيل كان بعناية الله تعالى ورعايته. وفي قوله : ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ أي وأنتم تشاهدون هلاك عدوكم باعينكم، ولا شك أن في هذه المشاهدة عبرة عظمى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، فكان ينبغي عليهم بعد

---

(١) إبراهيم : ٦.

(٢) الدخان : ٣٠، ٣١.

(٣) انظر : د/محمد محمد خليفة، وعبدالحكيم حسن : مفتاح البلاغة (ط الهيئة المصرية العامة للكتاب) ص٣٩.

(٤) البقرة : ٥٠.

(٥) الشعراء : ٦١-٦٦.

(٦) يزعم البعض أن هذا الحدث حدث طبيعي – وليس معجزة – نشأ عن المد والجزر، وهو زعم لا دليل عليه ولا برهان.

مشاهدتهم فرق البحر لهم ونجاتهم وهلاك عدوهم أن يطئطئوا الرءوس سجداً وركعًا لله رب العالمين على هذه النعمة العظيمة. ولكنهم - للأسف - ما قاموا بهذا أبدًا، فحقت عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

ثالثا: نعمة بعثهم من بعد موتهم:

من نعم الله تعالى على اليهود نعمة بعثهم من بعد أن أماتهم الله على أثر الصاعقة التي أخذتهم وهم ينظرون، وعن هذا يقول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ (٥٥) ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾(١).

لقد أخذت بني إسرائيل الصاعقة بعد أن طلبوا من موسى - عليه السلام - رؤية الله جهرة - أي معاينته - وطلبهم هذا ينبئ عن مدى إيمانهم بالحس وحبس تفكيرهم في دائرته. فقد علقوا إيمانهم بنبيهم على رؤية الله جهرة، فلن يؤمنوا به حتى يتحقق هذا المطلب المادي.

ذكر جمهور المفسرين أن الذين طلبوا هذا الطلب هم السبعون الذين اختارهم موسى للذهاب معه إلى ميقات ربه(٢)، فسمعوا صوتًا فصعقوا - أي ماتوا - قال ابن جرير: «الصاعقة: كل أمر هائل رآه الرائي أو عاينه أو أصابه، حتى يصير من هوله وعظيم شأنه إلى هلاك وعطب وذهاب عقل. صوتًا كان ذلك أو نارًا أو زلزلة أو رجفة»(٣).

فكان طلبهم تعديًا للحدود وتعنتًا منهم، فكان الجزاء أن أخذتهم الصاعقة وهم يشاهدون ذلك بأعينهم، وهذا تحذير لليهود المعاصرين للنبي ﷺ من

---

(١) البقرة: ٥٥، ٥٦.

(٢) انظر: مختصر تفسير ابن كثير جـ١ ص٦٦.

(٣) تفسير ابن جرير (ط البابي الحلبي) جـ١ ص٢٩٠.

رد الحق ومحاربته حتى لا يتعرضوا لمثل ما تعرض إليه أسلافهم.

وقوله: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ هذا تذكير لهم بنعمة من نعم الله تعالى، والجملة الكريمة معطوفة على قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ ودل العطف بثم على أن بين أخذ الصاعقة والبعث زمانًا تتصور فيه المهلة والتأخير. والمراد ببعثهم إحياؤهم من بعد موتهم، وهو معجزة لموسى - عليه السلام - استجابة لدعائه، فهذا لون جديد من نعم الله تعالى عليهم ما أجدرهم بشكرها لو كانوا يعقلون»(١).

رابعًا: نعمة تمكينهم من دخول بيت المقدس وسوء استقبالهم لذلك:

قال الله تعالى موضحًا ذلك: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ(٢) فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾(٣).

من نعم الله تعالى على اليهود نعمة تمكينهم من دخول بيت المقدس، وذلك بعد تخليصهم من عناء التيه الذي ظلوا فيه أربعين سنة؛ جزاء امتناعهم عن دخول مدينة الجبارين وقتالهم مع نبيهم موسى - عليه السلام -، حكى القرآن الكريم ذلك بقوله: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا

(١) انظر: د/محمد سيد طنطاوي: بنو إسرائيل في القرآن والسنة ص٣٦٣.

(٢) المراد بالقرية (بيت المقدس) على أرجح الأقوال، وقيل: إن القرية هي الطور وما حوله.

(٣) البقرة: ٥٨-٥٩.

إن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٣) قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ (٢٤) قَالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (٢٥) قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾(١) .

ولكنهم قابلوا هذه النعمة - نعمة تمكينهم والإذن لهم في دخول بيت المقدس - بالمخالفة وسوء الاستقبال وعدم الرعاية.

فقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ ﴾ تذكير للأخلاف المعاصرين للعهد النبوي بنعمة أنعم الله بها على أسلافهم وهي دخول بيت المقدس والأكل من خيراتها متمتعين بكثرة ثمارها واتساعها فقوله : ﴿ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ ﴾ فيه إشعار بكمال النعمة عليهم واتساعها، وكثرتها؛ حيث أذن لهم في التمتع بثمرات القرية وأطعمتها من أي مكان شاءوا، وهذا يدعوهم إلى الشكر والإذعان.

وقوله : ﴿ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ ﴾ ، ﴿ حِطَّةٌ ﴾ «فعلة من الحط كالجلسة، وهي خبر مبتدأ محذوف، أي مسألتنا حطة، والأصل فيها النصب بمعنى : حط عنا ذنوبنا حطة، وإنما رفعت لتعطي معنى الثبات»(٢)، وهذا إرشاد لهم إلى ما يجب عليهم نحو خالقهم من الشكر والخضوع.

ثم بين القرآن جزاء طاعة الله تعالى بقوله : ﴿ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ ﴾ قوله : ﴿ نَّغْفِرْ ﴾ أصل الغفر : التغطية والستر، فكل ساترٍ شيئًا فهو غافر، والخطايا : جمع خطية - بغير همز - كالمطايا جمع مطية...(٣) .

---

(١) المائدة : ٢١-٢٦.

(٢) تفسير الكشاف : جـ١ ص٢١٦.

(٣) تفسير ابن جرير، جـ١ ص٣٠٢.

والمعنى نمحو ذنوبكم ونغفر سيئاتكم، وهذا يدفعهم - إن كانوا عقلاء - إلى الامتثال والطاعة.

وقوله : ﴿ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ هذا وعد من الله تعالى بزيادة الخير في الدنيا والآخرة لمن أطاع وخضع للخالق سبحانه وتعالى فنعمة دخولهم الأرض المقدسة التي كتبها الله لهم من أجل نعم الله تعالى عليهم ولكن مالذي فعله بنو إسرائيل في مقابل هذه النعمة الجليلة؟ إنهم بدلوا ماأمروا به قولاً وفعلاً، وهذا قوله تعالى : ﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ ﴾، روي في ذلك عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ أنه قال : « **قيل لبني إسرائيل : ادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة فبدلوا ودخلوا يزحفون على أستاهم، وقالوا : حبة في شعيرة** »(١).

قال ابن كثير : « وحاصل ماذكره المفسرون ودل عليه السياق أنهم بدلوا أمر الله لهم في الخضوع بالقول والفعل، فأمروا أن يدخلوا سجداً فدخلوا يزحفون على أستاهم رافعي رؤوسهم، وأمروا أن يقولوا حطة أي احطط عنا ذنوبنا وخطايانا فاستهزأوا فقالوا حنطة في شعيرة، وهذا في غاية مايكون من المخالفة والمعاندة، ولهذا قال : ﴿ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزاً مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾(٢). وهذا توبيخ على مخالفتهم لأوامر الله عز وجل قولاً وعملاً، وبيان لنتيجة المخالفة والعصيان، والتمرد على نعم الله تعالى » .

وقوله : ﴿ رِجْزاً مِّنَ السَّمَاءِ ﴾ الرجز هو العذاب بأنواعه وبين القرآن أنه قد نزل عليهم من السماء؛ إشعار بأنه من عند الله تعالى ولا يمكن رده إلا إذا أراد الله تعالى. وقوله : ﴿ عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ وصف لهم بصفة هي من أقبح الصفات،

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (ط دار إحياء الكتب العربية)، باب ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ ﴾ من كتاب التفسير جـ٣ ص ٩٨، وراجع ابن حجر : فتح الباري في شرح صحيح البخاري جـ٨ ص١٦٤، ٣٠٤.

(٢) انظر : مختصر تفسير ابن كثير جـ١ ص٦٩.

وهى الظلم، وإشعار بأن ما نزل بهم إنما كان جزاء ظلمهم ومخالفتهم لأوامر الله تعالى .

فهذه نعمة من نعم الله تعالى على اليهود وقعت للأسلاف فذكر بها الأخلاف المعاصرين للعهد النبوي، والغاية من ذكرها : تنبيههم إلى أن يقوموا بشكرها ورعايتها، وتحذيرهم من مغبة المخالفة والعناد، والوقوع فيه، وإلا أصابهم ما أصاب أسلافهم من ذل وعذاب أليم .

خامساً: ثلاث نعم خصهم الله بها دون غيرهم:

النعمة الأولى : كثرة الأنبياء فيهم . الثانية : تحررهم من العبودية وجعلهم ملوكًا . الثالثة : اختصاص الله لهم بنعمة خاصة لم تكن لأهل زمانهم .

تقول الآية الكريمة التي اشتملت على هذه النعم : ﴿ **وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ** ﴾(١) .

ومن الملاحظ « أن النعم التي وهبها الله تعالى لبني إسرائيل فيما يتعلق بالنبوة والتحرر من العبودية، ذكرت في إطار من التخصيص، وبعد ذلك، بينت الآية بأن بني إسرائيل حظوا بنعم إلهية لم يحصل عليها أحد في زمانهم، دون ذكر لتلك النعم في هذا الموضع، وهذا معناه أن الجزء الأخير من الآية . . ، قُدِّم في إطار من التعميم . ويكفي أن نذكر، بأن مسألة عرض النعم المنزلة على بني إسرائيل من خلال إطار يجمع التخصيص والتعميم يشكل عنصراً هامًّا من عناصر الإعجاز في الأسلوب القرآني »(٢) .

وفيما يلي تفصيل لتلك النعم الثلاث التي خص الله بها بني إسرائيل :

---

(١) المائدة : ٢٠ .

(٢) انظر : د/زاهية الدجاني : أحسن القصص، ص١٧٤، ١٧٥ .

النعمة الأولى : كثرة الأنبياء فيهم :

قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾. ذكر موسى – عليه السلام – قومه بنعم الله تعالى عليهم وآلائه العظيمة التي تدعوهم إلى شكر الله تعالى عليها، وهذا تذكير للأخلاف بما ذكر به الأسلاف.

ثم ذكر – سبحانه – النعمة الأولى بقوله : ﴿إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاءَ﴾ والتذكير في قوله ﴿أَنبِيَاءَ﴾ للتكثير والتعظيم، أي تذكروا يا بني إسرائيل نعم الله عليكم وأحسنوا شكرها؛ حيث جعل فيكم أنبياء كثيرين يهدونكم إلى الرشد وإلى الطريق المستقيم.

قال صاحب الكشاف : «لم يبعث الله في أمة ما بعث في بني إسرائيل»[١] أي من الأنبياء .

ولا شك أن هذه النعمة من أشرف النعم؛ لأنه يندرج فيها ما لا يحصى من النعم الدينية والدنيوية[٢] .

وكانوا كلما هلك نبي خلفه فيهم نبي من لدن أبي الأنبياء إبراهيم – عليه السلام – إلى من بعده، وظل فيهم الأنبياء كذلك حتى ختموا بعيسى عليه السلام. ثم ختمت الرسالات برسالة محمد ﷺ الموصول نسبه إلى إسماعيل بن إبراهيم – عليهما السلام – .

النعمة الثانية : جعلهم ملوكًا :

وتتمثل هذه النعمة في قوله تعالى : ﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾ «أي جعلكم أحرارًا تملكون أمر أنفسكم بعد أن كنتم مملوكين لفرعون وقومه الذين يسومونكم سوء

---

(١) انظر : تفسير الكشاف جـ١ ص٦٠٢، وتفسير البيضاوي ص١٤٨.

(٢) انظر : مجلة كلية أصول الدين والدعوة (أسيوط)، العدد الثامن (مطبعة دار البيان، القاهرة، سنة ١٤١٠هـ-١٩٩٠م) ص٤٣٤، ٤٣٥.

العذاب، أو جعلكم تملكون المساكن وتستعملون الخدم بعد أن كنتم لا تملكون شيئًا من ذلك وأنتم تحت سيطرة فرعون وقومه»(١) .

وقيل : إن الواحد من بني إسرائيل إذا كانت له زوجة وخادم ودار سمي ملكًا .

وقد كرر الله عز وجل في القرآن تذكيرهم بهذه النعمة العظيمة - نعمة إنجائهم من جبروت فرعون وقومه وتعذيبهم وإذلالهم لهم، والهوان الذي لحقهم منه ومن قومه، وجعلهم ملوكًا، وجعلهم الوارثين لملك فرعون وقومه بعد أن كانوا أذلاء مقهورين - وذلك في قوله تعالى : ﴿ نَتْلُو عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٣ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ۝٤ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾(٢)، وقوله : ﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴾(٣) .

فهذه نعمة ظاهرة تحمل على شكر الله تعالى وطاعته، فأي الحياتين يفضل بنو إسرائيل، حياة الذلة والمهانة، أم حياة العزة والكرامة، ومما لا شك فيه أن حياة العزة والكرامة يطلبها أي إنسان يريد السلامة في دينه ودنياه، ولكن مع ذلك ما زادتهم هذه النعمة إلا غرورًا في النفس وانحرافًا في الاعتقاد .

النعمة الثالثة : وتتمثل في قوله تعالى : ﴿ وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ

(١) د/محمد سيد طنطاوي : التفسير الوسيط جـ٤ ص١٣٦ .

(٢) القصص : ٣-٦ .

(٣) الأعراف : ١٣٧ .

﴿الْعَالَمِينَ﴾ وذلك أن الله تعالى خصهم بأنواع عظيمة من الإكرام: أحدها : فرق البحر لهم، وثانيها : أنه أهلك عدوهم وأورثهم أموالهم، وثالثها : أنه أنزل عليهم المن والسلوى، ورابعها : أنه أخرج لهم المياه العذبة من الحجر، وخامسها : أنه تعالى أظل فوقهم الغمام، وسادسها : أنه لم يجمع لقوم من الملك والنبوة كما جمع لهم، وسابعها : أنهم في تلك الأيام كانوا العلماء بالله وهم أحباب الله وأنصار دينه(١) .

«وأل في ﴿الْعَالَمِينَ﴾ للعهد، والمراد عالمي زمانهم، أو للاستغراق، والتفضيل من وجه لا يستلزم التفضيل من جميع الوجوه؛ فإنه قد يكون للمفضول ما ليس للفاضل، وعلى التقديرين لا يلزم تفضيلهم على الأمة المحمدية؛ لأن الخطابات السابقة واللاحقة لبني إسرائيل، فوجود خطاب في الأثناء لغيرهم مما يخل بالنظم القرآني»(٢) .

ولا شك أن هذه النعم العظيمة كانت تستلزم منهم المبادرة إلى امتثال أوامر الله تعالى، واجتناب نواهيه، والتفاني في طاعته؛ حتى يتحقق لهم المزيد منها، كما قال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ﴾(٣) .

هذه نماذج من النعم الجليلة التي حباهم الله تعالى بها، وذكر بها أخلاف اليهود المعاصرين للنبي ﷺ؛ حتى يمتثلوا لأوامر الله تعالى؛ عرفانًا منهم بهذه النعم، ويكونوا على حذر من جحودها والبطر عليها، وإلا حاق بهم ما حاق بأسلافهم جزاء جحودهم وعصيانهم.

وقد أنعم الله عز وجل على اليهود بنعم أخرى، ذكرها القرآن الكريم - غير تلك النعم التي تعرض لها البحث - منها : نعمة عفوه - سبحانه - عنهم وتوبته

---

(١) انظر : تفسير الفخر الرازي : جـ١١ ص١٩٦، ومجلة كلية أصول الدين، العدد الثامن ص٤٥٨ .

(٢) تفسير الإمام الالوسي : جـ٦ ص١٠٥ .

(٣) انظر : مجلة كلية أصول الدين : ص٤٥٨ .

عليهم بعد عبادة العجل، وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ (٥١) ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾(١) ومنها : نعمة إيتاء موسى التوراة لهدايتهم، وذلك في قوله : ﴿ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾(٢) ، وكانت التوراة بمثابة النور والضياء الذي أمدهم الله به، قال تعالى : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ﴾(٣) وقال : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴾(٤) وقال : ﴿ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴾(٥). إلى غير ذلك من النعم التي حباهم الله بها.

وبعد، فهذا طرف يسير من نعمه تعالى عليهم، فإن نعم الله عليهم لا تعد ولا تحصى.

موقف اليهود من هذه النعم :

لقد حملت نعم الله تعالى اليهود - لجهلهم - على الغرور، والتوهم أن ذنوبهم مغفورة لو أذنبوا، وأنه لن يدخل الجنة إلا من كان يهوديًا، وحملتهم أيضًا على دعوى أنهم شعب الله المختار، وأنهم أحباؤه وأصفياؤه.

ونأخذ مثالاً يبين لنا مدى الغرور والتعالي والعنصرية التي وصل إليها اليهود، لقلة وعيهم، وسوء فهمهم للغاية التي من أجلها حباهم الله بنعمه. يقول الله

---

(١) البقرة : ٥١، ٥٢.

(٢) البقرة : ٥٣.

(٣) المائدة : ٤٤.

(٤) الأنبياء : ٤٨.

(٥) الأنعام : ١٥٤.

تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١١١) بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾(١) ، وهذا زعم من مزاعمهم الفاسدة، يبين قمة الغرور منهم، فقوله : ﴿ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ﴾ إيجاز، والمعنى أن اليهود قالوا : لن يدخل الجنة إلا من كان يهوديًا، والنصارى قالوا: لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانيًا. فرد عليهم القرآن بقوله : ﴿ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ﴾ جملة معترضة تبين بطلان دعواهم من اقتصار دخول الجنة عليهم، وأن هذا ما هو إلا أماني تمنوها على الله بغير حق ولا برهان.

ومن الملاحظ أن المشار إليه في قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ﴾ أمور أو أماني وليس أمرًا واحدًا أو أمنية واحدة، وهذا ما أشار إليه صاحب الكشاف بقوله : «فإن قلت : لم قيل ﴿ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ﴾ وقولهم : لن يدخل الجنة أمنية واحدة ؟ قلت : أشير بها إلى الأماني المذكورة (قبل هذه الآية) وهو أمنيتهم ألا ينزل على المؤمنين خير من ربهم، وأمنيتهم أن يردوهم كفارًا، وأمنيتهم ألا يدخل الجنة غيرهم، أي تلك الأماني الباطلة»(٢) .

وقوله : ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ أي حجتكم إن كنتم صادقين في قولكم: ﴿ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُودًا ﴾، وفي هذا دليل على أن كل قول لا دليل عليه فهو باطل، وهات بمعنى أحضر ﴿ بَلَىٰ ﴾ إثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة(٣). قوله: ﴿ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ ﴾ أي من استسلم وخضع لله تعالى وأخلص نفسه له لا يشرك به شيئًا، وخص الوجه في قوله : ﴿ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ ﴾ لأنه أكرم الأعضاء وأعظمها حرمة، ﴿ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ وهذا هو قمة الإخلاص

---

(١) البقرة : ١١١، ١١٢.

(٢) الزمخشري : تفسير الكشاف جـ١ ص ٢٣٠ .

(٣) الطبرسي : جوامع الجامع جـ١ ص ٨٨.

لله تعالى، فالعبادة لابد أن تكون خالصة لله وحده، وكذلك جميع الأعمال، فالجزاء كما يقول تعالى : ﴿ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾.

وقد ردت آيات أخرى على دعواهم هذه، من ذلك ما جاء في تحدي القرآن لهم أن يتمنوا الموت؛ ليفضوا إلى النعيم المقيم الذي يزعمونه إن كانوا صادقين، فيقول - سبحانه - : ﴿ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٩٤) وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٩٥) وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾(١).

يقول سبحانه : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٦) وَلا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٧) قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾(٢).

وفي الآية الأولى رد على زعمهم الباطل من أن الجنة ونعيمها مختصة بهم دون غيرهم. فالنفسية المؤسسة على الجبن (عندما طُلب منها ذلك) خارت وتقاعست عن مجرد التمني؛ لكذب الدعوى، وفداحة الذنوب، وجبن الطبع المستمر المتعاقب في أجيال اليهود؛ ولذلك حكم عليهم القرآن حكمًا عامًّا صارمًا فقال : ﴿ وَلا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ ... فاليهودي أحرص الناس جميعًا على حياته، وهو أحرص عليها من المشرك الذي لا يؤمن بحياة وراء دنياه، وأمنية اليهودي الكبرى أن يعمر في الأرض أطول مدة ممكنة، لا

---

(١) البقرة : ٩٤ - ٩٦.

(٢) الجمعة ٦-٨.

(٣) انظر : د/عبدالستار فتح الله : معركة الوجود بين القرآن والتلمود ص١٧٤، ١٧٥.

أن يموت في شيخوخة الإنسان المعتادة، فضلاً عن أن يقتل في شرخ الشباب وزهرة الصبا[٣] . فسبب الامتناع عن تمني الموت وذكره بالسنتهم بينه القرآن في قول الله تعالى : ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ ﴾ فنكر هنا الحياة، وقال: ﴿ عَلَىٰ حَيَاةٍ ﴾ ولم يقل «على الحياة» والسبب في ذلك : أن المعنى على الازدياد من الحياة، لا الحياة أصلها، وذلك لا يحرص عليه إلا الحي، أما العادم للحياة، فلا يصح منه الحرص على الحياة ولا غيرها. وإذا كان كذلك صار كأنه قيل : ولتجدنهم أحرص الناس - ولو عاشوا ما عاشوا - على أن يزدادوا إلى حياتهم في ماضي الوقت حياة في الذي يستقبل.. فكما أنك لا تقول ها هنا: أن يزدادوا إلى حياتهم الحياة بالتعريف، وإنما تقول حياة. إذ كان التعريف يصلح حيث تزاد الحياة على الإطلاق. كقولنا : كل أحد يحب الحياة، ويكره الموت، كذلك الحكم في الآية»[١] .

ومن هنا أبطل القرآن دعوى كل من يتمنى شيئًا دون تقديم دليل أو برهان يؤيد دعواه، فقال سبحانه : ﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا (١٢٣) وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾[٢] .

ورد القرآن عليهم بأنه «إنما يدخل الجنة من آمن وعمل صالحًا ليس كما يتمنى أهل الكتاب؛ لأنهم كانوا يزعمون أنهم أبناء الله وأحباؤه .. فأعلم الله عز وجل أن دخول الجنة وثواب الله على الحسنات والسيئات ليس بالأماني ولكنه بالأعمال، ثم ذكر بعض ذلك، فقال الله عز وجل ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ ﴾ أي لا ينفعه تمنيه ﴿ وَلا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا (١٢٣) وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ ﴾ فأعلم الله أن عامل السوء لا ينفعه

---

(١) عبدالقاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ص٢٢٣، وانظر : عبدالكريم الخطيب : الإعجاز في دراسات السابقين ص٢٨٤ .

(٢) النساء : ١٢٣، ١٢٤ .

(٣) الزجاج : معاني القرآن وإعرابه جـ٢ ص١١٢ .

تمنيه، ولا يتولاه متول، ولا يضره ناصر»(٣) .

وقريب من هذا الزعم، قولهم أيضًا: ﴿لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾، حكى القرآن عنهم ذلك في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ (٨٠) بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٨١) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾(١) .

روي في سبب نزول هذه الآيات آثار منها : عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال : قدم رسول الله ﷺ المدينة، ويهود تقول : إنما هذه الدنيا سبعة آلاف، إنما يعذب الناس في النار، لكل ألف سنة من أيام الدنيا يوم واحد في النار من أيام الآخرة، وإنما هي سبعة أيام ثم ينقطع العذاب، فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم: ﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾(٢) .

والآيات ترد على زعمهم هذا؛ فقوله : ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ استفهام إنكاري، فهو ينكر عليهم هذا الزعم والافتراء الذي لا يؤيده دليل أو برهان.

وقد ساق القرآن الكريم الرد عليهم في صورة الاستفهام؛ لما فيه من ظهور القصة إلى تقريرهم بأنهم قالوا على الله ما لا يعلمون. إذ هم لا يستطيعون أن يثبتوا أن الله وعدهم بما ادعوه من أن النار لن تمسهم إلا أيامًا معدودة، ولا يوجد عندهم نص صريح من كتابهم يؤيد مدعاهم، وبذلك تكون الآية الكريمة قد أبطلت مدعاهم إبطالاً يحمل طابع الإنكار والتوبيخ، ثم ساق الله – سبحانه – آية ثانية أبطلت مدعاهم عن طريق إثبات ما نفوه؛ فقال تعالى : ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ

---

(١) البقرة : ٨٠ – ٨٢.

(٢) أسباب النزول للنيسابوري : ص١٤.

سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾، ﴿بَلَىٰ﴾ حرف جواب يجيء لإثبات فعل ورد قبلها منفيًّا، والفعل المنفي هنا هو قول اليهود : ﴿لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ فجاءت ﴿بَلَىٰ﴾ لإثبات أن النار تمسهم أكثر مما زعموا، فهم خالدون جزاء كفرهم وكذبهم[١] .

وبين – سبحانه – جزاء أهل الشرك والكفر بقوله : ﴿فَأُوْلَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ . وبذلك تكون الآيات الكريمة قد ردت على اليهود أبلغ رد.

وهنا سؤال :

هل للدار الآخرة – التي يزعم اليهود أنها خالصة لهم من دون الناس – ذكر في أسفارهم المقدسة عندهم ؟

الجواب :

أنه مع زعمهم بأن الدار الآخرة خالصة لهم من دون الناس، فإنه لا توجد أية إشارة في أي مكان إلى حياة بعد الموت في أسفارهم المقدسة عندهم، كأن لم يكن لعقيدة الحياة الآخرة مكان بين أيديهم. وقد اعترف بذلك ابن كمونة الكاتب اليهودي وقال : «إن هذه التوراة لم نجد فيها تصريحًا بالثواب والعقاب الأخرويين، وذلك من أهم ما يذكر، وهو الأصل الأعظم في التشريع»[٢] . فلو كانت التوراة التي بأيدي اليهود منزلة من الله تعالى لما جاز خلوها من التصريح بذلك والعدول عنه. فإنه من المستحيل أن يكون الله قد أغفل هذا الأمر، ومن المستحيل أن يكون موسى قد نسيه فلم يكتبه، ولم يبلغه؛ لأن اليوم الآخر ركن أساسي من أركان عقيدة التوحيد، وأمر ضروري لتمام العدالة الإلهية، وإن كان هناك حديث في أسفار الأنبياء عن اليوم الآخر، فإن هذه النصوص لا يقصد بها المفهوم الحقيقي

(١) انظر : د/محمد سيد طنطاوي : بنو إسرائيل في القرآن والسنة ص٥٢٢، ٥٢٣.

(٢) انظر : سعد بن منصور بن كمونة اليهودي : تنقيح الأبحاث للملل الثلاث (اليهودية) (المسيحية) (الإسلام) (توزيع دار الأنصار، القاهرة) ص٤٠.

لليوم الآخر والذي يريده الإسلام منهم، وإنما يقصد بها البعث القومي لليهود وعودة دولتهم الكبرى. وقد أدى هذا الغموض إلى انقسام اليهود في عصر المسيح - عليه السلام - قسمين :

١- الفريسيون : وهم يؤمنون بالآخرة، ولكن يعتقدون أن البعث سيكون في الأرض للصالحين من الأموات يشتركون في مملكة المسيح.

٢- الصدوقيون : وهم لا يؤمنون باليوم الآخر، ويعتقدون أن الثواب والعقاب يكونان في الحياة الدنيا أثناء حياة الإنسان(١) .

هذا، ولم تدر فكرة البعث في خلد اليهود، إلا بعد أن فقدوا الرجاء في أن يكون لهم سلطان في هذه الأرض، ولعلهم أخذوا هذه الفكرة عن الفرس، أو لعلهم أخذوا شيئًا منها عن المصريين(٢) .

ولم يكتف اليهود بالتعالي والغرور نتيجة سوء فهمهم للغاية التي من أجلها حباهم الله بهذه النعم، بل راحوا يتناولون تعاليم كتبهم ودينهم ببرود شديد وقلة اعتداد منهم، حتى لقد رفع الله عز وجل الجبل عليهم، وهددهم بالدفن تحته لخور عزيمتهم في الأخذ بتعاليم ربهم، قال الله تعالى : ﴿ **وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾(٣) .

جاءت هذه الآية الكريمة بعد آيات « سجلت على بني إسرائيل عنادهم وكفرهم بعد ما رأوا الآيات، وبعد أن حقق الله لهم كثيراً من الرغبات التي كانت تقتضي منهم الإيمان والشكر.. لا ما هم عليه من العصيان والكفر، وقد كان مما

---

(١) انظر : لواء أحمد عبدالوهاب : الإسلام والأديان الأخرى، نقاط الاتفاق والاختلاف (مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة ١٩٩٢م) ص٤٩، وانظر : محمد السعدي : دراسة في الأناجيل الأربعة والتوراة (دار الثقافة، قطر، ١٩٨٥م) ص٢٨.

(٢) انظر : ول ديورانت : قصة الحضارة، جـ٢ ص٣٤٥، و د/أحمد شلبي : اليهودية، ص١٩٤، ١٩٥.

(٣) الأعراف : ١٧١.

طلبوا أن يأتيهم نبي الله موسى بالتوراة مكتوبة في الألواح، قال الله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾(١)، فلما قرأ عليهم التوراة، بادروا نبيهم بأن ما فيها لا يتحملونه؛ لأنه إصر وحمل ثقيل عليهم لا يطيقونه، وكان هذا منهم عنادًا، فحملهم الله على العمل بما في التوراة بعد أن لم يجد معهم اللين، بأن نتق الجبل فوقهم ورفعه رفعًا حقيقيًا كأنه ظلة... وقد يقال: إن إيمانهم بعد رفع الجبل فوقهم حاصل بالإلجاء والإكراه وهو مناف للإيمان الصادق؛ لأنه إنما يكون بالاختيار. ويرد على ذلك بأن الله قد ترك لهم فرصة الاختيار مدة كافية قبل رفع الجبل، ولم يؤمنوا لقسوة قلوبهم، فكان هذا الإلجاء في آخر أمرهم بمنزلة جهاد الكافرين والمشركين بعد أن وجهت الدعوة إليهم ليؤمنوا اختياراً فأعرضوا، وفي كلا الأمرين مصلحة لهم(٢).

ومع ذلك فقد شملهم الله برحمته وبفضله، رغم إعراضهم عن طاعته وإهمالهم العمل بكتبه، ونقضهم لعهده، فقال سبحانه: ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾(٣).

هذه بعض النعم التي ذكرها القرآن الكريم مما أنعم الله به على بني إسرائيل، وكان المتوقع منهم الإسراع إلى شكر الله عليها، ولكن الذي حدث هو العكس؟ فاستنكفوا واستكبروا وجحدوا نعمة الله، وليس هذا عليهم بعجيب.

ولهذا عاقبهم الله تعالى بعقوبات جزاء جحودهم لنعمه - سبحانه - وعدم شكرها نذكر بعضًا منها:

---

(١) الأعراف: ١٤٥.

(٢) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، تأليف لجنة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الحزب الثامن عشر (ط الأولى، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م) ص١٥٤٥، ١٥٤٦.

(٣) سورة البقرة: ٦٤.

من عقوبات الله تعالى لليهود :

المتأمل في حديث القرآن العظيم عن بني إسرائيل يجد فيه (ظاهرة) عجيبة، غير معهودة في الخطاب، ولا مألوفة في العتاب، أو الحساب أو العقاب؛ إذ يخاطب الأخلاف منهم بذنوب الأسلاف، ويحاسب الحاضرين عن سفاهات الغابرين، ويحكم على أجيالهم - حتى المقبلة منها - بأدوات الحصر والعموم، ويدمغهم جميعًا باللعنة والغضب، ويؤذنهم من قديم بأن الله سيبعث عليهم سوء العذاب إلى يوم القيامة، إلا قلتهم الصالحة[١].

ومن عقوبات الله تعالى لليهود ما يلي :

أولاً : تمزيقهم وتسليط الله عليهم من يسومهم سوء العذاب :

حكى القرآن هذه العقوبة في قول الله تعالى : ﴿ **وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٦٧) وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ** ﴾[٢] . وقد شهد بصدق ذلك التاريخ وأيدته الحوادث، من أنه قد حل باليهود عقوبات أنزلتها عليهم الأمم الأخرى في مختلف العصور بسبب طغيانهم وفسادهم، من ذلك؛ ما تحدث به أحد الكتاب الغربيين عن قصة النكبات، التي أدت إلى زوال مملكة (يهوذا وإسرائيل) فيقول : «وهي قصة نكبات وقصة تحررات لا تعود عليهم إلا بإرجاء نزول النكبة القاضية، وهي قصة ملوك همج يحكمون شعبًا من الهمج، حتى إذا وافت سنة ٧٢١ ق.م محت يد الأسر الأشوري .. مملكة إسرائيل من الوجود، وزال شعبها من التاريخ زوالاً تامًا، وظلت مملكة يهوذا تكافح حتى أسقطها البابليون سنة ٥٨٦ ق.م»[٣].

---

(١) انظر : د/عبدالستار فتح الله سعيد : معركة الوجود بين القرآن والتلمود ص١٨٩ .

(٢) الأعراف : ١٦٧، ١٦٨ .

(٣) انظر : د/ أحمد شلبي : اليهودية، ص٨٣، ٨٤ .

وهذا شيء يسير من النكبات التي لحقتهم على مر التاريخ. وكما قال أحد المؤرخين اليهود : «لا توجد أمة في الأرض في كل الأجيال، منذ بدء الخليقة إلى الآن تحملت ما تحمل بنو إسرائيل من الكوارث والآلام، على أن هذه الكوارث والآلام لم تكن إلا من صنع بني إسرائيل أنفسهم»(١) .

ثانياً : إفساد اليهود في الأرض مرتين، وقضاء الله تعالى فيهم(٢) :

حكى القرآن الكريم ذلك في قوله تعالى : ﴿**وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا**﴾(٣) .

والآيات تنبه اليهود المعاصرين للنبي ﷺ «إلى سنة من سنن الله – تعالى – في خلقه، وهي أن الإفساد في الأرض، والانصراف عن طاعته – سبحانه – والتعدي لحدوده والمخالفة لأوامره، والعصيان لرسله، كل ذلك يؤدي إلى الخسران في الدنيا والآخرة، فعلى اليهود وغيرهم من الناس أن يؤمنوا بمحمد ﷺ الذي تثبت نبوته ثبوتاً لاشك فيه، حتى يسعدوا في دنياهم وأخراهم»(٤) .

(١) انظر : مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين (طبعة دار الطليعة، بيروت، سنة ١٩٦٥م) جـ ١ ص٦٥٧، و د/ محمد سيد طنطاوي : بنو إسرائيل في القرآن والسنة ص ٦٣١.

(٢) قيل : إن العقوبه على الإفساد الأول كانت على يد جالوت وجنوده على أرجح الأقوال، وهو المراد بقوله سبحانه ﴿فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار﴾ وأن عقوبتهم على الإفساد الثاني كان على يد (بختنصر) البابلي عند جمهور المفسرين، وقيل : على يد (تيطس الروماني) سنة ١٩٧٠م.

(٣) الإسراء : ٤–٨.

(٤) انظر : د/محمد سيد طنطاوي : بنو إسرائيل في القرآن والسنة، ص٦٣٦، ٦٣٧.

ثالثاً : وبسبب ظلمهم حرمت عليهم طيبات أحلت لهم :

حكى القرآن الكريم هذه العقوبة في قول الله - سبحانه - : ﴿ **فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا (١٦٠) وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا** ﴾(١) .

فقد وضحت الآية أن العقوبات التي حاقت باليهود كانت بسبب ظلمهم، ومن هذا الظلم المذكور في الآية : ﴿ **وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا** ﴾ أي منعهم أنفسهم عن طريق الخير، ومنع غيرهم كذلك. ﴿ **وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ** ﴾، أي تعاملهم بالربا مع نهيهم عن التعامل به على ألسنة أنبيائهم، فكان هذا سبباً أوجب عقابهم، ﴿ **وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ** ﴾، وذلك عن طريق الرشوة والخداع والزيف والضلال والخيانة، وغير ذلك، فكان هذا ايضاً سبباً أوجب عقابهم وتحريم بعض الطيبات التي أحلت لهم.

وقد أنصفهم القرآن الكريم، وبين أن منهم علماء مستقيمين لم يندرجوا معهم في ظلمهم وبغيهم، فقال الله تعالى : ﴿ **لَّٰكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا** ﴾(٢) .

وفي الحقيقة هذا ترغيب من القرآن لأولئك الذين انحرفوا عن الصراط السوي من أهل الكتاب، وحمل لهم على أن مثل هؤلاء الذين عرفوا الحق فاتبعوه، فاستحقوا ما وصفهم الله عز وجل به.

ومن الطيبات التي حرمها عليهم بسبب ظلمهم وبغيهم ما أخبر به - سبحانه - في سورة الأنعام : ﴿ **وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (١٤٦) فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ** ﴾(٣) .

---

(١) النساء : ١٦٠، ١٦١.

(٢) النساء : ١٦٢.

(٣) الأنعام : ١٤٦، ١٤٧.

قال الفخر الرازي : «قوله تعالى : ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ ﴾ يفيد تخصيص هذه الحرمة بهم من وجهين :

الأول : أن قوله تعالى : ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا ... ﴾ كذا وكذا يفيد الحصر في اللغة.

الثاني : أنه لو كانت هذه الحرمة ثابتة في حق الكل لم يبق لقوله تعالى : ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا ﴾ فائدة، فثبت أن تحريم السباع وذوي المخلب من الطير مختص باليهود، فوجب أن لا تكون محرمة على المسلمين فصارت هذه الآية دالة على عدم حرمة هذه الحيوانات على المسلمين»(١) .

فهذه عقوبات عاقب الله تعالى بها اليهود بأن حرم عليهم طيبات – بعد أن كانت حلالاً لهم – وذلك نتيجة لظلمهم وبغيهم وإهمالهم لتعاليم كتبهم، فكان هذا العقاب هو عين الإنصاف والعدل.

رابعًا : مسخهم قردة وخنازير :

حكى القرآن الكريم هذه العقوبة في قوله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ (٦٠) وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَد دَّخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ (٦١) وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾(٢) .

وفي هذا النص الكريم رد على اليهود الذين جاءوا إلى النبي ﷺ يسألونه عن الذي يؤمن به من الرسل، فقال لهم ﷺ : «نؤمن بالله – تعالى – وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي

(١) الفخر الرازي : مفاتيح الغيب جـ٦ ص٦١٧.

(٢) المائدة : ٦٠ – ٦٢.

النبيـون من ربهم لا نفرق بين أحـد منهم ونحـن له مسـلمون. فلما ذكر عيسى - عليه السلام - جحدوا نبوته، وقالوا: لا نؤمن بعيسى، ولا نؤمن بمن آمن به، ولا نعلم أن دينًا شرًا من دينكم؛ فأنزل الله قوله: ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ...**﴾ الآيات(١).

قال الفخر الرازي عن قوله: ﴿**قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ...**﴾: «فإن قيل: فهذا يقتضي كون الموصوفين بذلك الدين - وهو دين الإسلام - محكومًا عليهم بالشر، ومعلوم أنه ليس كذلك؟ قلنا: إنما خرج الكلام على حسب قول اليهود واعتقادهم، فإنهم حكموا بأن اعتقاد ذلك الدين شر فقيل لهم: هب أن الأمر كذلك، ولكن لعنة الله وغضبه ومسخ الصور شر من ذلك»(٢).

وقد وصف الله تعالى اليهود في الآيات الكريمة بصفات قبيحة عقوبة لهم على صدهم عن الحق وكراهيتهم للمؤمنين ونقمتهم عليهم:

الأولى: قوله تعالى: ﴿**مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ**﴾ أي طرده وأبعده عن رحمته.

الثانية: قوله: ﴿**وَغَضِبَ عَلَيْهِ**﴾ أي سخط عليه بسبب ظلمه ومعاصيه.

الثالثة: قوله: ﴿**وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ**﴾ أي أن من اليهود من مسخ قردة، ومنهم من مسخ خنازير؛ لانتهاكهم حرمات الله تعالى.

وقوله: ﴿**وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ**﴾ الطاغوت: أي معبود من دون الله يقدس ويعظم، سواء أكان إنسانًا أو حيوانًا أو حجرًا أو غير ذلك.

ثم حكم الله تعالى عليهم بقوله: ﴿**أُوْلَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ**

---

(١) انظر: الإمام الالوسي: روح المعاني جـ٦ ص١٥٦.

(٢) تفسير الفخر الرازي: جـ١٢ ص٣٦، وانظر: د/محمد سيد طنطاوي: بنو إسرائيل في القرآن والسنة ص٦٦٠.

السَّبِيلِ﴾ أي أن من وصف بالصفات المتقدمة من اليهود هو شر مكانًا في عاجل الدنيا والآخرة عند الله تعالى.

روي عن عبدالله بن مسعود قال: «سألنا رسول الله ﷺ عن القردة والخنازير أهي من نسل اليهود؟ فقال: «لا، إن الله لم يلعن قومًا قط فيمسخهم فكان لهم نسل، ولكن هذا خلق كان، فلما غضب الله على اليهود فمسخهم جعلهم مثلهم»(١).

وبين القرآن الكريم أن من أسباب لعنهم - أيضًا - وجعلهم قردة وخنازير، نفاقهم، حكى ذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَد دَّخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ «وهؤلاء هم قوم من اليهود دخلوا كفارًا وخرجوا كفارًا، ودخلت (قد) على خرجوا ودخلوا، تقريبًا للماضي من الحال، أي ذلك حالهم في دخولهم وخروجهم على الدوام»(٢).

خامسًا: لعنهم على لسان أنبيائهم:

يقول الله تعالى مبينًا ذلك: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾(٣).

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير: جـ١ ص٥٣٠، ٥٣١.

(٢) الإمام الباقلاني: إعجاز القرآن ص٢٦٨.

(٣) المائدة: ٧٨-٨١.

فالآيات ترشد إلى أن اليهود لعنوا على لسان أنبيائهم: موسى وعيسى ابن مريم - عليهما السلام - وغيرهم.

واللعن: (الطرد والإبعاد على سبيل السخط، وذلك من الله تعالى في الآخرة عقوبة، وفي الدنيا انقطاع من قبول رحمته وتوفيقه، ومن الإنسان دعاء على غيره...)(١).

ومن أسباب لعنهم: قوله: ﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ وقوله: ﴿كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾.

والآيات التي صرحت بلعن بني إسرائيل جزاء فسقهم وفجورهم كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾(٢). وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً (٥١) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ...﴾(٣) وغير ذلك من الآيات التي وردت في هذا الشأن.

سادسًا: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾:

حكى القرآن هذه العقوبة في قوله تعالى: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذًى وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنصَرُونَ (١١١) ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾(٤).

---

(١) الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن ص٤٦٦ ط البابي الحلبي.

(٢) البقرة: ٩٠.

(٣) النساء: ٥١، ٥٢.

(٤) آل عمران: ١١١، ١١٢.

قال الإمام ابن جرير : « أعلم ربنا جل ثناؤه - عباده ما فعله بهؤلاء القوم من أهل الكتاب من إحلال المذلة والخزي بهم في عاجل الدنيا مع ما ادخر لهم في الآجلة من العقوبة والنكال وأليم العذاب، إذ تعدوا حدود الله، واستحلوا محارمه؛ تذكيراً منه - تعالى ذكره - لهم، وتنبيهاً على موضع البلاء الذي من قبله أتوا؛ لينيبوا ويذكروا، وعظة منه لأمتنا ألا يستنوا بسنتهم، ويركبوا منهاجهم، فيسلك بهم مسالكهم، ويحل بهم من نقم الله ومثيلاته ما أحل بهم »[1] .

فهذه العقوبة استحقها اليهود جزاء بغيهم وتنكرهم لنعم الله - تعالى - عليهم وتعديهم على رسل الله تعالى وقتلهم لهم، فذمهم الله بأقبح الصفات وتوعدهم بسوء المصير.

وبذلك يكون قد تعرض البحث لذكر بعض من عقوبات الله تعالى التي أنزلها باليهود، وكانت عدلاً منه - سبحانه - وكما قال القرآن : ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ .

(١) انظر : تفسير ابن جرير، جـ٤ ص٥١ .

الفصل الثاني

تذكير النصارى بنعم الله تعالى عليهم والغاية منها

وكما أنعم الله تعالى على اليهود بنعم كثيرة، فصلها القرآن الكريم في أكثر من موضع، كذلك أنعم الله تعالى على النصارى بنعم كثيرة، ونعمه - سبحانه - لا تعد ولا تحصى.

ويمكن بيان بعض النعم التي أنعم الله بها على النصارى وساقها القرآن الكريم فيما يلي :

النعمة الأولى: اصطفاء الله تعالى لآل عمران على العالمين:

حكى القرآن الكريم ذلك عند قول الله - تعالى - : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (٣٣) ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾(١).

كلمة ﴿ **اصْطَفَىٰ** ﴾ في اللغة : «اختار، فمعنى اصطفاهم : أي جعلهم صفوة خلقه، تمثيلاً بما يشاهد من الشيء الذي يصفى وينقى من الكدورة، ويقال: على ثلاثة أوجه : صَفوة، وصُفوة، وصِفوة، ونظير هذه الآية قوله تعالى لموسى : ﴿ **إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي** ﴾(٢)» (٣) .

---

(١) آل عمران : ٣٣، ٣٤.

(٢) الأعراف : ١٤٤.

(٣) الفخر الرازي : مفاتيح الغيب جـ٤ ص١٧٦.

فالاصطفاء هو : اختيار يدل على الفضل العظيم من الله تعالى على مَن اصطفاهم.

يخبر الله تعالى – في الآية – أنه اختار هذه البيوت على سائر أهل الأرض، فاصطفى (آدم) أبا البشر عليه السلام، واصطفى (نوحًا) عليه السلام وجعله أبا البشر الثاني، وأحد أولي العزم من الرسل، واصطفى (آل إبراهيم) الذين منهم رسول الله محمد ﷺ، (وآل عمران)، المراد بعمران – هنا – هو والد مريم أم المسيح – عليهما السلام – «والمراد (بالعالمين) أهل زمان كل واحد منهم، أي : اصطفى كل منهم على عالمي زمانهم»(١).

وقوله : ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ...﴾ أي أن من اصطفاهم الله تعالى هم متجانسون في الدين والخلق والتقى.

فكان والد مريم (عمران) إمامًا في بيت المقدس وعالمًا من علماء بني إسرائيل، وأمها حنة ابنة فاقود، وهي أخت زوج زكريا، فقد تزوج زكريا وعمران أختين. وكانوا أهل بيت من الله جل ثناؤه بمكان(٢).

ولا شك أن هذا الاصطفاء لآل عمران تفضل منه – سبحانه – ونعمة تدعو النصارى إلى الإيمان بالله عز وجل والإيمان بالقرآن الذي أنزله على رسوله محمد ﷺ، فعمران المصطفى هو والد مريم العذراء التي يجلها ويقدرها جميع النصارى، فهذا الاصطفاء والاختيار يوجب عليهم شكر الله تعالى.

---

(١) تفسير الألوسي : جـ٣ ص١٣١.

(٢) انظر : ابن كثير : البداية والنهاية جـ٢ ص٥٦، و د/حسن عز الدين الجمل : إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم (مطابع دار الشعب، ١٩٨٣م) ص٥٥، ٥٦.

النعمة الثانية: اصطفاء مريم على نساء العالمين:

التعريف بها :

هي مريم ابنة عمران بن ناثان بن سليمان بن داود بن إيش بن يهوذا بن يعقوب ابن إسحاق بن إبراهيم[١] ، وعمـران أبو مريم غير عمران أبي موسى – عليه السلام –، فعمران أبو موسى هو : عمران بن يصفر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم – عليه السلام – .

وحين اختلف الدارسون في هل عمران هذا هو أبو مريم أو أبو موسى ؟ لم يفطنوا إلى أن القرآن نبههم إلى أن المقصود هو عمران أبو مريم؛ لأن السياق هو سياق مريم أم المسيح، لا مريم أخت موسى؛ ولأن الله تعالى قال : ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ وزكريا كان أبوه معاصراً لناثان، وهو مع ذلك زوج خالة مريم العذراء، وعلى هذا قد انتفى الإشكال بين مريم أخت موسى ومريم العذراء أم المسيح[٢] .

ومما يدل على حمل الكلام في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ على عمران بن ناثان أبو مريم أن النصارى كانوا يحتجون على إلهية عيسى بالمعجزات التي ظهرت على يديه، فكأن القرآن يرد عليهم بقوله : لقد ظهرت هذه المعجزات والخوارق على يديه إكرامًا من الله؛ لأنه اصطفاه على العالمين وأنعم عليه من فضله، فعليكم أن تتنبهوا لذلك.

ولادتها :

حكى القرآن الكريم قصة ولادة السيدة مريم، في قوله : ﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

---

(١) انظر : ابن كثير : البداية والنهاية جـ٢ ص٥٦ .

(٢) انظر : الشيخ محمد متولي الشعراوي : مريم والمسيح عليهما السلام (مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، ١٩٨٧م) ص٩، والشيخ خليل ياسين : أضواء على متشابهات القرآن، ص١٢٧ .

(٣٥) فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٣٦) فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾(١) .

ومن الواضح في الآيات أن السيدة حمنة والدة مريم دعت الله عز وجل أن يهب لها غلامًا، فحملت بمريم، وهلك زوجها عمران، ونذرت أن تتصدق به لبيت المقدس ﴿ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا(٢) فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ .

وعندما حان وقت الوضع، ووضعت فوجئت بأن المولود أنثى، فاتجهت إلى الله معتذرة ﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ ولكن الله أنعم على مريم بأن شملها برعايته وعنايته فقال : ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ﴾، ثم أشار القرآن إلى أن نبي الله زكريا قام بكفالتها بعد طرح الأقلام، أيهم يكفل مريم، فصعد قلم زكريا، فكانت له الغلبة، وكفل مريم، فلما بلغت السن التي تستطيع فيها خدمة المعبد قامت بالعبادة والعمل وفاءً لنذر أمها، واتخذت لها غرفة تعتكف فيها، ومن رعاية الله لها، أنه كلما دخل عليها زكريا - عليه السلام - وجد عندها رزقًا، قال : يا مريم أنى لك هذا ؟ قالت : هو من عند الله، إن الله يرزق من يشاء بغير حساب .

واجتهدت السيدة مريم في عبادة ربها حتى صفت نفسها، وبلغت منزلة عالية

---

(١) آل عمران : ٣٤-٣٧.

(٢) (محرراً) أي حبيسًا في خدمة بيت المقدس، قالوا : فحاضت من فورها فلما طهرت واقعها بعلها فحملت بمريم (البداية والنهاية جـ٢ ص٥٧).

في الصفاء، فاستحقت تبشير الملائكة لها باصطفاءها على نساء العالمين.

خطاب الملائكة لمريم بهذا الاصطفاء :

لقد اصطفى الله مريم على نساء العالمين، فأرسل الملائكة تخبرها بذلك فقال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (٤٢) يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾(١) .

وفي الآية تذكير للنصارى بأن الملائكة بشرت مريم باصطفاء الله تعالى لها من بين سائر نساء عالمي زمانها بأن اختارها لإيجاد ولد منها من غير أب، وبُشرت بأن يكون نبيًا شريفًا : ﴿ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ ﴾، وأمرت بكثرة العبادة والقنوت والسجود والركوع؛ لتكون أهلاً لهذه الكرامة، ولتقوم بشكر هذه النعمة، فيقال : إنها كانت تقوم في الصلاة حتى تفطرت قدماها - رضي الله عنها - ورحمها ورحم أمها وأباها، فقول الملائكة : ﴿ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ ﴾ أي اختارك واجتباك ﴿ وَطَهَّرَكِ ﴾ أي من الأخلاق الرذيلة، وأعطاك الصفات الجميلة، ﴿ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾ ويحتمل أن يكون المراد عالمي زمانها، كقوله لموسى : ﴿ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ ﴾... ﴿ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾ محفوظ العموم، فتكون أفضل نساء الدنيا ممن كان قبلها ووجد بعدها وهذا أعلى مقامات مريم، كما قال الله تعالى : ﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ﴾(٢) .

فعلى هذا لا يمتنع أن تكون أفضل الصديقات المشهورات ممن كان قبلها وممن يكون بعدها(٣) .

---

(١) آل عمران : ٤٢.

(٢) المائدة : ٧٥.

(٣) انظر : ابن كثير : البداية والنهاية جـ٢ ص٥٩.

ورد في السنة ما يبين جلال قدرها، ورفعة منزلتها، فقد روي عن علي بن أبي طالب – كرم الله وجهه – أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**خير نسائها مريم بنت عمران، وخير نسائها خديجة بنت خويلد**»(١).

وعن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «**كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء غير مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام**»(٢).

ومما سبق يتبين لنا مكانة السيدة مريم العذراء في القرآن الكريم والسنة المطهرة؛ مما يدل على الإنعام العظيم الذي حصلت عليه مما يحمل النصارى – إن كانوا عقلاء – على الشكر والطاعة لله سبحانه، فإنعام الله تعالى على السيدة مريم إنعام عليهم لمكانتها عندهم.

النعمة الثالثة: منافحة القرآن الكريم عن مريم ودفاعه عنها:

لقد كان اصطفاء مريم اختيار من الله لها لأن تكون أمًّا لمن يولد من غير نطفة آدمية. وكان ذلك لكي تكون آية الله مشهورة، تحمل فيما حف بها من أحوال القرآن التي تقطع ريب المرتاب، وألسنة كل أفاك، وتنير السبيل أمام المؤمنين؛ إذ إن ولادته من غير أب ومن أم كانت حياتها للنسك والعبادة، والعكوف على التقوى، وتحت ظل نبي من أنبياء الله تعالى لم تزن بريبة قط.. يجعل المؤمن يؤمن بآية الله الكبرى في هذا الكون، ولا يجعل شيئًا يقف أمام مريد الهداية، من تظنن بإثم أو ريبة فيها(٣).

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الفضائل، فضائل خديجة رضي الله تعالى عنها جـ١٥ ص١٩٨.

(٢) الحديث في: صحيح البخاري بشرح ابن حجر العسقلاني، جـ٧ ص١٠٦، وصحيح مسلم، كتاب الفضائل جـ١٥ ص١٩٩، وسنن الترمذي، حديث رقم ١٨٣٤ جـ٤ ص٢٧٥، وقال الترمذي عنه: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) انظر: محمد أبو زهرة: محاضرات في النصرانية، ص١٥.

ومن هنا؛ فإن القرآن الكريم نافح عن مريم البتول وبرأها من الذي رميت به، وبداية نجد أن الملائكة تحدثت إلى مريم وبشرتها بخير لم يكن في حسبانها : ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾(١) .

« ذكر القرآن هنا الملك الواحد بصيغة الجمع، فقال : ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ﴾ وليس المراد بهذا أن جمعًا من الملائكة قد كلم مريم بذلك، ولكن المقصود به جبريل باعتباره من جنس الملائكة، وإنما أراد الله لمريم ذلك؛ إعلاءً لشأنها وشأن والدها، وتكريمًا لهما بهذا الإعجاز الذي لم تجر به نواميس الكون »(٢) .

والمراد بالكلمة في قوله : ﴿بِكَلِمَةٍ مِنْهُ﴾ ها هنا ثلاثة أقوال :

الأول : أنه قول الله له كن فكان، قاله ابن عباس وغيره .

الثاني : أنها بشارة الملائكة لمريم بعيسى . . .

الثالث : أن الكلمة اسم لعيسى، وسمي كلمة؛ لأنه كان عن الكلمة(٣) .

وكان وجوده - عليه السلام - رحمة من الله لهم؛ لأنه دعاهم إلى عبادة الله وحده في صغره وفي كبره ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ وعندما اعترضت السيدة مريم اعتراض تعجب واستفهام ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ ؟ كانت إجابة جبريل في غاية الوضوح لا تقبل أي اعتراض، قال : ﴿كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾(٤) .

---

(١) آل عمران : ٤٥-٤٦ .

(٢) د/محمد الطيب النجار : تاريخ الانبياء في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية (دار الاعتصام ١٩٧٩م) ص٢٧٧ .

(٣) انظر : د/عبدالحليم محمود : أوربا والإسلام (مطابع الاهرام التجارية، ١٩٧٣م) ص٢٠ .

(٤) آل عمران : ٤٧ .

فقضى الله تعالى للسيدة مريم أن يتم حملها بعيسى على هذه الكيفية، وقضى الله أن تظل مريم بكراً عذراء، وألا يقربها أحد من الرجال، وقضى مع ذلك أن تحمل هذا الغلام بنفخة علوية ونفخة سماوية هي قدرة الله وكلمته وأمره الذي يتم به تكوين كل شيء دون حاجة إلى الأسباب العادية، وهذا ما يفهم من قوله - سبحانه - ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾[١] »[٢] .

ولما ولدته وخرجت به على قومها كان هذا الأمر مفاجأة للجميع، سواء من يعرف الصفات الحميدة التي تتخلق بها مريم ومن لا يعرف؛ لوجود طفل معها، وهي معروفة بأنها عذراء.

قال الشيخ أبو زهرة : « كانت المفاجأة داعية للاتهام؛ لأنه عند المفاجأة تذهب الروية، ولا يستطيع المرء أن يقابل بين الماضي والحاضر، وخصوصاً أن دليل الاتهام قائم، وقرينته أمر لا مجال للريب فيه عادة، ولكن الله - سبحانه - رحمها من هذه المفاجأة، فجعل دليل البراءة من دليل الاتهام لنقض الاتهام من أصله »[٣] فنطق الغلام، وهو قريب عهد بالولادة، ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾[٤] .

ونص القرآن على كذب وافتراء من تَقَوَّل على مريم ورماها بالفاحشة فقال : ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾[٥] «وقوله : ﴿وَبِكُفْرِهِمْ﴾ عطف

(١) التحريم : ١٢.

(٢) انظر : د/محمد الطيب النجار : تاريخ الأنبياء ص٢٧٨.

(٣) محمد أبو زهرة : محاضرات في النصرانية ص١٦.

(٤) مريم : ٢٩-٣٣.

(٥) النساء : ١٥٦.

على ﴿ وَبِكُفْرِهِمْ ﴾ في قوله : ﴿ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ ﴾ ولا يتوهم أنه من عطف الشيء على نفسه ولا فائدة فيه؛ لأن المراد بالكفر المعطوف، الكفر بعيسى. والمراد بالكفر المعطوف عليه إما الكفر المطلق. أو الكفر بمحمد ﷺ، لاقترانه بقوله تعالى : ﴿ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ﴾ وقد حكى الله تعالى عنهم هذه المقالة في مواجهتهم له ﷺ في مواضع، ففي العطف إيذان بصلاحية كل من الكافرين»(١) .

وقوله : ﴿ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴾ «البهتان : بضم الباء وتسكين الهاء: الكذب، وهو في قوله تعالى : ﴿ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴾ أي اختلاقًا »(٢) .

والمعنى : أن من أسباب لعن اليهود وضرب الذلة والمسكنة عليهم أنهم كفروا بعيسى – عليه السلام – وهو مرشدهم إلى الحق وإلى الطريق المستقيم، وافتراءهم على مريم أم عيسى، وتقولهم عليها ورميها بالفاحشة بسبب أنها ولدت عيسى من غير أب، وهي بريئة مما رميت به، حتى أنهم – عليهم لعنة الله – كانوا يسمون المسيح الساحر ابن الساحرة، والفاعل ابن الفاعلة، وهذا كذب مفرط وبهت شديد ﴿ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾(٣) فقد قال الله عنها : ﴿ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾(٤) .

وبهذا يتبين أن مريم عليها السلام التي يرميها اليهود بالفاحشة قد عفت نفسها عن الفاحشة، وعن كل ما حرمه الله تعالى، وأن حملها بعيسى – عليه السلام – كان بروح من الله بواسطة جبريل عليه السلام؛ لتكون هي وابنها علامة وأعجوبة للخلق أجمعين تدل على كمال قدرة الله سبحانه وتعالى .

---

(١) انظر : الإمام الألوسي : روح المعاني جـ٣ ص٣١٠.

(٢) محمد السيد الداودي : من كنوز القرآن (ط دار المعارف، القاهرة) ص١٠٢.

(٣) التوبة: ٣٠ .

(٤) الأنبياء : ٩١.

نخلص من ذلك أن منافحة القرآن الكريم عن مريم العذراء ودفاعه عنها ووصف من رماها بالفاحشة بالكفر والكذب والبهتان العظيم، يعد نعمة عظيمة من الله تعالى على النصارى وتكريمًا لهم لتبرئة القرآن ساحة السيدة مريم العذراء من كل ما رميت به والوقوف في وجه أعدائهم الذين يريدون إلحاق النقيصة بهم، وعلى النصارى – تجاه هذه النعمة – شكر الله تعالى واتباع الحق، فإن الحق أحق أن يتبع.

النعمة الرابعة: نجاة نبيهم عيسى - عليه السلام - من القتل وتأييده بالمعجزات:

حكى القرآن الكريم هذه النعمة في قوله تعالى : ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ (١١٠) وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾(١) .

يذكر الله تعالى النصارى بنعمته على نبيهم عيسى بن مريم وإحسانه إليه في خلقه إياه من غير أب، وجعله آية للناس، ثم بعثه وإرساله بعد ذلك.

وقوله : ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ والمراد بالنعمة في قوله : ﴿اذْكُرْ نِعْمَتِي﴾ النعم المتعددة التي أنعم بها – سبحانه – على عيسى وعلى والدته مريم حيث طهرها من كل ريبة، واصطفاها على نساء العالمين، وفي ندائه – سبحانه – لعيسى بقوله : ﴿يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾ إشارة إلى أنه ابن لها وليس ابن لأحد سواها، فقد ولد من غير

---

(١) المائدة : ١١٠، ١١١.

أب، وما كان شأنه كذلك لا يصح أن يكون إلهًا؛ لأن الإله الحق لا يمكن أن يكون مولودًا أو محدثًا.

والمراد ﴿ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾ جبريل - عليه السلام - فإن من وظيفته أن يؤيد الله به رسله بالتعليم الإلهي. وبالتثبيت في المواطن التي من شأن البشر أن يضعفوا فيها، وقيل: المراد ﴿ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾ روح عيسى حين أيده - سبحانه - بطبيعة روحانية مطهرة في وقت سادت فيه المادية وسيطرت، أي أيدتك بروح الطهرة والنزاهة والكمال، فكنت بعيدًا بهذه الروح الطاهرة من كل سوء(١).

ومن النعم أيضًا قوله: ﴿ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً ﴾ أي تدعو الناس إلى الله في حال صغرك في مهدك وفي كهولتك، وقوله: ﴿ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ ﴾ أي اذكر نعمتي عليك حين علمتك الخط والكتابة، كما نص عليه بعض السلف، أو العلم النافع مع إعطائك التوراة المنزلة على موسى والإنجيل المنزل عليك.

ثم ذكر القرآن بعضًا من المعجزات التي أيده الله بها؛ لتكون برهانًا على نبوته ورسالته:

أولها: قوله: ﴿ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي ﴾ يؤكد الله تعالى أن الخق بإذن الله بقوله: ﴿ بِإِذْنِي ﴾ لرفع التوهم، فالخالق هو الله تعالى، ولكن جرى الخلق على يد عيسى عليه السلام، والنفخ كان منه عليه السلام بإذن الله تعالى أيضًا.

ثانيها: قوله: ﴿ وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي ﴾ وهذان مرضان تعذر على العالم قديمه وحديثه العثور على دواء لهما، ولكن عيسى بقدرة الله شفاهما، وبرئ

---

(١) انظر: د/محمد سيد طنطاوي: التفسير الوسيط للقرآن الكريم (ط دار المعارف) جـ٤ ص٣٣٣.

(٢) انظر: محاضرات في النصرانية، ص١٩.

المريضان برقيته، فكان دليلاً قائمًا على رسالته عليه السلام(٢). ونعمة من نعم الله عز وجل عليهم؛ حيث وجد من يخلصهم من هذين المرضين العضال.

ثالثها : قوله : ﴿وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي﴾ وفي قوله : ﴿بِإِذْنِي﴾ أي بإذن الله تعالى، رد واضح على من ينسب للمسيح البنوة لله تعالى أو الربوبية لأجل معجزاته العجيبة، فبين القرآن أن هذه المعجزات كانت بإذن الله تعالى يجريها على يد نبيه ورسوله عيسى – عليه السلام – .

ثم ذكره الله تعالى بالنعمة العظيمة، نعمة إنجائه من اليهود الذين كانوا يريدون الفتك به فقال : ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ أي منعت عنك اليهود الذين هموا بقتلك بعد ظهور الحجج والبراهين التي تثبت رسالتك، وقال من أنكر نبوته : ما هذه الخوارق إلا سحر ظاهر؛ حسداً من عند أنفسهم، وقد أكد القرآن نجاة عيسى عليه السلام بقوله : ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾(١)، وبقوله : ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾(٢).

ولا شك أن نجاته – عليه السلام – من أيدي اليهود نعمة أنعم الله بها على النصارى، يفهمها العقلاء المنصفون منهم؛ لأنه من العار عليهم أن يصاب نبيهم بسوء وهو بينهم من أناس يكيدون له ولهم. وإن كانوا هم – للأسف – يزعمون قتله وصلبه تكفيراً عن خطايا البشر.

ومن جملة ما أنعم الله تعالى به على عيسى – عليه السلام – أن جعل له أنصاراً وأعواناً، يؤازرونه في الدعوة إلى الله، وذلك قوله : ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى

(١) النساء : ١٥٧.

(٢) آل عمران : ٥٥.

الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ وكقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾(١) .

فهذه نعم توجب شكر الله تعالى وطاعته فيما يامر وينهى، وكل ما أنعم الله به على عيسى – عليه السلام – هو أيضاً إنعام على النصارى؛ لأنهم أتباعه وأنصاره.

النعمة الخامسة: نزول المائدة عليهم من السماء:

حكى القرآن الكريم ذلك في قول الله – تعالى – : ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾(٢) .

قال الإمام القرطبي : «وكان هذا السؤال في ابتداء أمرهم قبل استحكام معرفتهم بالله – عز وجل – ويجوز أن يقال : إن ذلك صدر ممن كان معهم من الجهال... كما قال من قال من قوم موسى : ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾(٣)»(٤).

---

(١) الصف : ١٤.

(٢) المائدة : ١١٢–١١٥.

(٣) الأعراف : ١٣٨ .

(٤) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن : جـ٣ ص٢٤٥٢.

وقال صاحب الكشاف : «فإن قلت : كيف قالوا : هل يستطيع ربك بعد إيمانهم وإخلاصهم ؟ قلت : ما وصفهم الله بالإيمان والإخلاص، وإنما حكى ادعاءهم لهما، فدعواهم كانت باطلة وأنهم كانوا شاكين، وهذا كلام لا يرد مثله عن مؤمنين معظمين لربهم»(١).

هذا ما ذهب إليه صاحب الكشاف، وأما ما ذهب إليه كثير من المفسرين وأطبقوا عليه فهو أن الحواريين كانوا مؤمنين، وهم خواص عيسى، وأنهم لم يشكوا في ذلك، وأن سؤالهم هذا سؤال مستخبر، هل ينزل أم لا ؟ فإن كان ينزل فاسأله لنا(٢)، فكان سؤالهم للاطمئنان والتثبت كسؤال سيدنا إبراهيم – عليه السلام – ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾ ؟ قيل : إنهم سألوا نزول المائدة تبركًا، وقيل : لفقرهم وحاجتهم. فكانت إجابة عيسى – عليه السلام – عليهم بقوله : ﴿اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ تأديبًا لهم، ودعوة إلى ما هو أولى بالمؤمنين أن يكونوه مع الله، كما يقول السيد المسيح في بعض تعاليمه : «لا تجرب الرب إلهك... فذلك هو الكمال كله، والإيمان كله»(٣).

وقد أجابهم المسيح – عليه السلام – إلى سؤال الله المائدة لهم؛ لإلزامهم الحجة، يقول الله تعالى : ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾.

«قيل : إن عيسى عليه السلام نادى ربه مرتين : مرة بوصف الألوهية الجامعة للكمالات، ومرة بوصف الربوبية المنبئة عن التربية؛ إظهارًا لغاية التضرع»(٤).

وطلب في دعائه أن يكون يوم نزولها يوم فرح وسرور لهم ولغيرهم. فأجاب

(١) الزمخشري : تفسير الكشاف : جـ١ ص٥٤٠.

(٢) انظر : ابا حيان : البحر المحيط جـ٤ ص٥٣.

(٣) عبدالكريم الخطيب : التفسير القرآني للقرآن (دار الفكر العربي) م٢ جـ٧ ص٧٧.

(٤) تفسير ابن السعود : جـ٢ ص٧٣.

الله دعاءه وخاطبه بقوله : ﴿قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ فقد توعد من كفر بهذه الآية وتلك النعمة العظيمة بالعذاب الشديد.

فذكر أنهم تعدوا ما أمروا به فمسخوا قردة وخنازير، روى الترمذي أن رسول الله ﷺ قال : «أنزلت المائدة من السماء خبزًا ولحمًا وأمروا ألا يدخروا لغدٍ ولا يخونوا فخانوا وادخروا ورفعوا إلى الغد فمسخوا قردة وخنازير»(١).

وقد «جرت عادة الله عز وجل بعقاب من كفر بعد اقتراح آية عظيمة فأعطيها، ولما كفر بعض هؤلاء مسخهم الله خنازير، وقال عبدالله بن عمر : أشد الناس عذابًا يوم القيامة من كفر من أصحاب المائدة وآل فرعون والمنافقين»(٢).

وقد ذكر في خبر نزول المائدة آثار كثيرة ومضمونها : أن عيسى عليه السلام أمر الحواريين بصيام ثلاثين يومًا فلما أتموها سألوا من عيسى إنزال مائدة من السماء عليهم ليأكلوا منها وتطمئن بذلك قلوبهم أن الله قد تقبل صيامهم، وتكون لهم عيدًا يفطرون عليها يوم فطرهم، وتكون كافية لأولهم وآخرهم، لغنيهم وفقيرهم، فوعظهم عيسى عليه السلام في ذلك وخاف عليهم أن لا يقوموا بشكرها ولا يؤدوا حق شروطها، فأبوا عليه إلا أن يسأل لهم ذلك من ربه عز وجل، فلما لم يقلعوا عن ذلك قام إلى مصلاه ولبس مسحًا من شعر وصف بين قدميه، وأطرق رأسه وأسبل عينيه بالبكاء وتضرع إلى الله في الدعاء والسؤال أن يجابوا إلى ما طلبوا، فأنزل الله تعالى المائدة من السماء والناس ينظرون إليها تنحدر بين غمامتين، وجعلت تدنو قليلاً، وكلما دنت سأل عيسى ربه عز وجل أن يجعلها رحمة لا

---

(١) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (ط البابي الحلبي) كتاب التفسير، جـ٥ ص٢٦٠، عن عمار بن ياسر، وقال الترمذي عنه : هذا حديث قد رواه أبو عاصم وغير واحد عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن خلاس عن عمار بن ياسر موقوفًا، ولا نعرفه مرفوعًا إلا من حديث الحسن بن قزعة، حدثنا حميد بن مسعدة، حدثنا سفيان بن حبيب عن سعيد بن أبي عروبة نحوه، ولم يرفعه، وهذا أصح من حديث الحسن بن قزعة ولا نعلم للحديث المرفوع أصلاً.

(٢) محمد بن أحمد جزي الكلبي : التسهيل لعلوم التنزيل، (دار الفكر) جـ١ ص١٩٤، وانظر : محمد علي الصابوني : صفوة التفاسير جـ٣ ص٣٧٤.

نقمة، وأن يجعلها بركة وسلامة، فلم تزل تدنو حتى استقرت بين يدي عيسى عليه السلام، وهي مغطاة بمنديل، فقام عيسى يكشف عنها وهو يقول «بسم الله خير الرازقين» فإذا عليها سبعة من الحيتان وسبعة أرغفة. ويقال : وخل. ويقال : ورمان وثمار. ولها رائحة عظيمة جداً، قال الله لها : كوني، فكانت، ثم أمرهم بالأكل منها فقالوا : لا نأكل حتى تأكل فقال : إنكم الذين ابتدأتم السؤال لها : فأبوا أن يأكلوا منها ابتداء، فأمر الفقراء والمحاويج والمرضى والزمنى - وكانوا قريبًا من ألف وثلثمائة - فأكلوا منها، فبرأ كل من به عاهة أو آفة أو مرض مزمن، فندم الناس على ترك الأكل منها لما رأوا من إصلاح حال أولئك، ثم قيل : إنها كانت تنزل كل يوم مرة فيأكل الناس منها، يأكل آخرهم كما يأكل أولهم؛ حتى قيل : إنه كان يأكل منها نحو سبعة آلاف، ثم كانت تنزل يومًا بعد يوم، كما كانت ناقة صالح يشربون لبنها يومًا بعد يوم، ثم أمر الله عيسى أن يقصرها على الفقراء أو المحاويج دون الأغنياء فشق ذلك على كثير من الناس، وتكلم منافقوهم في ذلك، فرفعت بالكلية، ومسخ الذين تكلموا في ذلك خنازير(١) .

فنزول المائدة عليهم من السماء وفيها من الطعام ما لذ وطاب نعمة عظيمة من الله تعالى توجب عليهم توحيده وشكره وطاعته، ولكن هذا لم يحدث بل كفروا وجحدوا، وحاولوا إثارة الشبهات.

شبهة النصارى حول المائدة والرد عليها :

زعم النصارى أن القرآن الكريم مدح قربانهم، فالمائدة عندهم هي القربان المقدس الذي يتقرب به في كل قداس.

وهذا كذب ظاهر على القرآن ..؛ فإنه ليس في الآيات ذكر قرابينهم البتة، وإنما فيه ذكر المائدة التي أنزلها الله في عهد عيسى - عليه السلام -، وقولهم : المائدة هي القربان الذي يتقرب به في كل قداس، هو أولاً : قول لا دليل عليه.

---

(١) انظر : الحافظ ابن كثير : البداية والنهاية، جـ٢ ص٨٨.

وثانيًا : هو قول معلوم الفساد بالاضطرار من دين المسلمين الذين نقلوا هذا القرآن عن محمد ﷺ لفظه ومعناه؛ فإنهم متفقون على أن المائدة، مائدة أنزلها الله على عهد المسيح – عليه السلام –، وقصتها مشهورة في عامة الكتب، وتعرفها العامة والخاصة ولم يقل أحد : إنها قرابين النصارى، واللفظ لا يدل على ذلك، بل يدل على خلاف ذلك، فالآية تبين أن المائدة منزلة من السماء وقرابينهم هي عندهم في الأرض لم تنزل من السماء [١] ، وبهذا تكون قد بطلت شبهتهم هذه .

النعمة السادسة: نعمة إيتاء عيسى - عليه السلام - الإنجيل لهدايتهم:

حكى القرآن الكريم هذه النعمة بقوله : ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (٤٦) وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [٢] .

وقوله : ﴿ وَقَفَّيْنَا ﴾ «معنى قفيت الشيء جعلته في أثره كأنه جعل في قفاه، يقال : قفا يقفو إذا اتبعه» [٣] .

قال الألوسي : «﴿ وَقَفَّيْنَا ﴾ التقفية الاتباع، ويقال : قفا فلان إثر فلان إذا اتبعه، وقفيته بفلان إذا اتبعته إياه، والتقدير هنا اتبعناهم على آثارهم» [٤] يعني أنبياء بني إسرائيل بعيسى ابن مريم، ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ﴾ في أصول ما جاءت به ودعت إليه.

وكذلك إقرار عيسى – عليه السلام – بأن التوراة كتاب منزل من عند الله

---

(١) انظر : الشيخ ابن تيمية : الجواب الصحيح جـ٢ ص٦٤، ٦٥ .

(٢) المائدة : ٤٦، ٤٧ .

(٣) تفسير النسفي، جـ٢ ص٢٨٥ .

(٤) روح المعاني : جـ٦ ص١٥٠ .

تعالى ودعوته إلى العمل بما فيها من شرائع وأحكام ما لم تنسخ بغيرها.

﴿وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾ أي أعطيناه الإنجيل فيه ما يهدي أتباعه والمؤمنين به إلى طريق الفلاح والرشاد في الدنيا، والفوز بالسعادة في الدار الآخرة، والجملة في موضع النصب على أنها حال من الإنجيل. وقوله تعالى: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ﴾ عطف على الحال وهو حال أيضًا، وعطف الحال المفردة على الجملة الحالية وعكسه جائز لتأويلها بمفرد، وتكرير هذا لزيادة التقرير من أن الإنجيل مصدق للتوراة أيضاً...

وقوله: ﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ عطف على ما تقدم... وجعل كله هدى بعد ما جعل مشتملاً عليه. مبالغة في التنويه بشأنه لما أن فيه البشارة بنبينا ﷺ أظهر، وتخصيص المتقين بالذكر لأنهم هم المهتدون المنتفعون بجدواه (١).

وقد وصف الله تعالى الإنجيل - في الآية - بصفات خمس، وهي: فيه هدى ونور، ومصدقًا لما بين يديه من التوراة، وهدى، وموعظة للمتقين، وهذا إنعام عظيم منه - سبحانه - على أتباعه والمؤمنين به، المنفذين لتعاليمه.

وقوله: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللّهُ﴾ أي أن إنزال الإنجيل على عيسى هدفه أن يتخذه النصارى منهاجًا يسيرون عليه.

قال الفخر الرازي: «فإن قيل: كيف جاز أن يؤمروا بالحكم بما في الإنجيل بعد نزول القرآن؟ قلنا: الجواب عنه من وجوه:

الوجه الأول: أن المراد ليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه من الدلائل الدالة على نبوة محمد ﷺ.

الوجه الثاني: وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه، مما لم يصر منسوخًا بالقرآن.

---

(١) انظر: الالوسي: روح المعاني جـ٦ ص١٥٠.

الوجه الثالث : المراد من قوله تعالى : ﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ ﴾ زجرهم عن تحريف ما في الإنجيل وتغييره مثل ما فعله اليهود من إخفاء أحكام التوراة. فالمعنى بقوله تعالى ﴿ وَلْيَحْكُمْ ﴾ أي وليقرأ أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه على الوجه الذي أنزله الله فيه من غير تحريف ولا تبديل » (١) .

فلو أنهم قرأوا ما فيه من غير تحريف ولا تبديل لأقروا بوحدانية الله تعالى ولآمنوا بالنبي ﷺ. فلا شك أن الإنجيل يدل دلالة واضحة على نبوته ﷺ.

وقوله : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ « أي المتمردون الخارجون عن حكمه أو عن الإيمان، والجملة تزييل مقرر لمضمون الجملة السابقة ومؤكدة لوجوب الامتثال بالأمر، والآية تدل على أن الإنجيل مشتمل على الأحكام، وأن عيسى – عليه السلام – كان مستقلاً بالشرع مأموراً بالعمل بما فيه من الأحكام قلت أو كثرت، لا بما في التوراة خاصة » (٢) .

فمن ذلك يتضح أن الإنجيل من نعم الله تعالى على النصارى، وقد جعله الله تعالى هدى ونوراً يخرجهم به من الضلال إلى الهدى، ولكن النصارى كما أخبر القرآن الكريم تركوا العمل به، ونسوا حظًا مما ذكروا به، فكان جزاؤهم ما أخبر به الله تعالى؛ حيث قال : ﴿ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ (٣) .

موقف النصارى من نعم الله تعالى عليهم :

الباحث في موقف النصارى من نعم الله تعالى عليهم – وخاصة نعمة اصطفاء مريم وتبرئة ساحتها مما رماها به اليهود، وكذلك نعمة إنجاء عيسى من أيديهم –

---

(١) الفخر الرازي : مفاتيح الغيب : جـ٦ ص٤٠، ٤١.

(٢) الألوسي : روح المعاني : جـ٦ ص١٥١.

(٣) المائدة : ١٤.

يدرك بوضوح أنهم انحرفوا انحرافًا كبيرًا في فهم الغاية من هذا الإنعام.

فنجد أن أكابر أساقفتهم - وخاصة أساقفة الكنيسة الإنجليزية - قد اجتمعوا في مجمع مسكوني ليقولوا كلمتهم في موقف اليهود من المسيح وأمه، فنرى أنهم حاولوا تبرئة اليهود من دم المسيح، وهذا قول حق وصدق شهد به القرآن في قوله: ﴿ **وما قتلوه وما صلبوه** ﴾ ولكن هذا لا ينافي أن اليهود اتخذوا كل الوسائل الإجرامية لقتل عيسى - عليه السلام - وصلبه، ولولا أن الله تعالى نجاه من مكرهم بما يفوق طاقة البشر لقتلوه وصلبوه. فقال رئيس المجمع وأعضاؤه:

أولاً: إن قتل المسيح كان بإرادة الله، والذين نفذوه استجابوا لإرادة الله، ووجدوا أن هذا الكلام غير مقبول.

ثانيًا: إن المسيح في الحقيقة لم يقتله أحد، وإنما هو الذي قتل نفسه ليفدي الخليقة، ولكن الأناجيل تثبت خلاف ذلك، فتبرئة المسيحيين اليهود من دم المسيح يناقض ما جاء في الإنجيل [١] من اتهام اليهود بقتل المسيح.

ثالثًا: إن المسئولين عن قتل المسيح هم الذين قتلوه وهم الرومان. أما يهود هذا الزمان فهم بريئون من دمه، فهم بقولهم هذا يثبتون أن المسيح قتل وصلب، وهذا ما أنكره القرآن الكريم، فكان الواجب عليهم أن يشكروا الله على إنجائه من أيدي اليهود لا أن يقولوا بقتله وصلبه، ويبرئوا اليهود مع أن اليهود قتلوا شبيه عيسى وهم يظنون ظنًّا راجحًا أنه هو.

واستطاع اليهود بخبثهم ومكرهم أن ينتزعوا اعترافًا من بعض المسيحيين ببراءتهم من دم المسيح. ومقصد اليهود الأول من وراء هذا العمل أن يقيموا كتلة يهودية مسيحية تقف في وجه المسلمين؛ لتحقيق أغراضهم الخبيثة كاغتصاب أرض فلسطين، ولتخفف من حدة العداوة الدينية التي بين المسيحيين واليهود،

(١) راجع بالتفصيل: إبراهيم خليل أحمد: إسرائيل فتنة الأجيال (مكتبة الوعي العربي، القاهرة، ١٩٦٩م) ص١٩٦.

باعتبار أن الجرح الدامي في جسم المسيحيين هو أن اليهود هم الذين قتلوه وصلبوه. وتبرئة المسيحيين لليهود من دم المسيح؛ قد قام به بعض المسيحيين لاشتراء ود اليهود، والانتفاع بأموالهم ودنياهم، وأن ما ينادون به وإن كان حقًا في ذاته، ولكنه يراد به باطل، وهو الانتفاع بأموالهم وتكوين جبهة من أهل الباطل تعمل على الكيد للإسلام والمسلمين(١). كل ذلك بالرغم من أن العداوة بين اليهود والنصارى شديدة حتى أن كلاً منهما ينكر دين الآخر، وقد أنكر عليهم القرآن هذا الأمر بقوله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾(٢).

يقول الدكتور عبدالحليم محمود: «بينما ينكر اليهود على عيسى – عليه السلام – نبوته ويرمونه بالكذب، إذ بالإسلام يعترف بنبوته، وبأنه عبدالله ورسوله وبأنه مبارك، وبأنه وجيه في الدنيا والآخرة.

وبينما ينكر بعض مؤرخي الأديان، مجرد وجود المسيح – عليه السلام – إذ لم تثبت لديهم الأدلة التاريخية على وجوده، وعللوا المسيح والمسيحية، بأنها من اختراع القديس بولس، وأن المسيح ليس إلا أسطورة لم يقع لها وجود إلا في خيال القديس بولس، إذ بالإسلام يوجب على أتباعه، وجوبًا حتميًا، الإيمان بعيسى – عليه السلام – نبيًا ورسولاً، ومباركًا، ووجيهًا في الدنيا والآخرة»(٣).

فلا شك أن هذا كله يحمل النصارى – إن كانوا عقلاء – على تعظيم الإسلام واحترامه، وهذا إن لم يؤمنوا به وينضووا تحت لوائه.

كذلك انحرف النصارى في فهم الحكمة من إيجاد المسيح – عليه السلام –

(١) انظر: د/محمد سيد طنطاوي: بنو إسرائيل في القرآن والسنة ص٥٨٣ وما بعدها.
(٢) البقرة: ١١٣.
(٣) أوربا والإسلام ص٢٤.

دون أب، فلم يفهموا أن ميلاده - عليه السلام - بدون أب ما هو إلا إعلان عن عالم الروح وسط قوم سيطرت عليهم المادية وكادت تهلكهم؛ حتى وصل بهم الأمر إلى الزعم بأن الإنسان جسم لا روح فيه، فأراد الله تخليصهم من هذه المادية المهلكة، مع بيانه لكمال قدرته - سبحانه - في الخلق. فكان إيجاد المسيح - عليه السلام - بروح من خلق الله، كما قال الله تعالى : ﴿ **وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ** ﴾(١) فكان ذلك الإيجاد المعجز قارعة فوق رءوس منكري الروح؛ ليدركوها ويؤمنوا بها.

وكان انحرافهم في فهم الحكمة من هذا الميلاد المعجز أن جعلوا عيسى - عليه السلام - إلهًا أو ابن إله أو ثالث ثلاثة.

كما انحرفوا - أيضًا - في فهم الحكمة من المعجزات التي أيده الله بها، فكانت معجزاته - عليه السلام - بابًا آخر خرج منه القول بألوهيته عليه السلام، ولكن المعجزات كانت برهانًا قاطعًا على وجود الروح، وعلى إكرام الله تعالى لعيسى، وإنعامه عليه.

وبين القرآن الكريم - أيضًا - موقف النصارى من نعمة إعطاء نبيهم عيسى - عليه السلام - الإنجيل، هداية لهم ونورًا، وتصديقه لما جاء في التوراة وإحلاله بعض الذي حرم عليهم، وأنهم خالفوا العهود والمواثيق في الإيمان بالإنجيل كما أنزله الله، قال القرآن في ذلك : ﴿ **وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ** ﴾(٢).

قال ابن كثير : «وطوائف النصارى على اختلاف أجناسهم لا يزالون

---

(١) الأنبياء: ٩١ .

(٢) المائدة : ١٤.

متباغضين متعادين يكفر بعضهم بعضًا، ويلعن بعضهم بعضًا، فكل فرقة تحرم الأخرى ولا تدعها تلج في معبدها : فالملكية تكفر اليعقوبية وكذلك الآخرون، والنسطورية والآريوسية، كل طائفة تكفر الأخرى في هذه الدنيا ويوم يقوم الأشهاد. ثم قال الله تعالى : ﴿وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ وهذا تهديد ووعيد أكيد للنصارى على ما ارتكبوه من الكذب على الله وعلى رسوله. وما نسبوه إلى الرب عز وجل وتقدس عن قولهم علوًا كبيرًا من جعلهم له صاحبة وولدًا، تعالى الواحد الأحد الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد » (١) . ومما لا شك فيه أنهم لو ظلوا متمسكين بالعهود والمواثيق لدخلوا في الإسلام وآمنوا بنبيه محمد ﷺ .

كذلك كان من موقف النصارى من كتابهم (الإنجيل) أنهم ابتدعوا فيه ما ليس منه، كنظام الرهبانية (٢) وهو أنهم ينظرون إلى الدنيا نظرة احتقار وعداوة، وحرموا على أنفسهم طيباتها وزينتها، وعطلوا أنفسهم عن المشاركة في تعميرها وترقيتها.

وقد ظل تعذيب الجسم عند الرهبان مثلاً كاملاً في الدين والأخلاق إلى قرنين، وروى المؤرخون من ذلك عجائب، فحدثوا عن الراهب ماكاريوس أنه نام ستة أشهر في مستنقع ليقرص جسمه العاري ذباب سام، وكان يحمل دائمًا نحو قنطار من حديد، وكان صاحبه الراهب يوسيبيس يحمل نحو قنطارين من

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير جـ١ ص٤٩٨.

(٢) الرهبانية : تعني في اللغة الخوف والانقطاع، ورد في لسان العرب ما يفيد ذلك حيث جاء (رَهِب) بالكسر يرهب رهبة ورهُبًا، بالتحريك، أي خاف ورهب الشيء رهبًا ورهَبًا ورهْبَة : خافه. والاسم : الرُّهبُ والرُّهْبَي والرهبوت والرهبوتي، ورجل رهبوت يقال : رَهَبُوت خير من رَحَموت، أي لان ترهب خير من أن ترحم (لسان العرب، جـ٣ ص١٧٤٨).

ومعناها في الاصطلاح : هو التبتل والانقطاع إلى الله سبحانه لطلب العبادة، وسبب وجود الرهبانية هو اعتقاد بعض المسيحيين أن عدم زواج المسيح - وذلك لقصر المدة التي مكثها المسيح في الأرض - سنة من سنن المسيحية، وقد روج لهذا الاعتقاد بولس، حيث ذكر أن الزواج يشغل الإنسان عن عبادة ربه.

حـديد، وقـد أقـام ثلاثـة أعوام في بئر نزح (١).

والقيام بهذا العمل الشاق يظنون أنهم يتقربون به إلى الله تعالى، ولاشك أن هذا خطأ كبير في الفهم والاعتقاد، فإن الله عز وجل لم يأمر بهذا في أي كتاب أنزله من السماء، وإنما هو نظام ابتدعه القوم من عند أنفسهم ما أنزل الله به من سلطان.

ومن هنا، ذمهم القرآن على ذلك في قول الله تعالى : ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلاَّ ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (٢).

فبين القرآن أن الله تعالى لم يكتب عليهم هذا الترهب «وإنما هو من مبتدعاتهم، أمرهم الله فقط بعبادات تخلص القلب إلى الله، وتطهره من رذائل الحياة، فلم يعرفوا لهذا الترهب حقه، ولم يرعوه حق رعايته وذلك بشططهم، وتحويلهم العبادة إلى سلبية قاتلة؛ إذ يغرق المجتمع من حولهم في الضلال، وهم في عبادتهم التي استحسنوها مشغولون، أو أنهم قصروا في أصول العبادة، وما ينبغي لهم، فلم يدركوا ما أمرهم الله به ولم يصلوا إلى ما ألزموا به أنفسهم»(٣).

وفي الآية الكريمة - السابقة - ذم للنصارى من وجهين :

الأول : الابتداع في دين الله ما لم يأمر به الله.

الثاني : في عدم قيامهم بما التزموه مما زعموا أنه قربة تقربهم إلى الله عز

---

(١) الشيخ أبو الحسن الندوي : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟ (دار الأنصار للطباعة والنشر، ط العاشرة ١٣٩٣هـ-١٩٧٧م) ص١٨٧.

(٢) الحديد : ٢٧.

(٣) د/السيد رزق الطويل : الإسلام، دعوة الحق، إسلاميات، عدد ٤٣ (المطبعة العربية الحديثة، القاهرة، الناشر المؤسسة العربية للطبع والنشر) ص١٠٠.

وجل»(١).

وعليه فالرهبانية ليست منهجًا مرضيًا في دين الله، وإن نجا عن طريقها بعض النصارى قبل البعثة المحمدية.. ولم تكن رهبانية الأنبياء سوى إمعان في الدعوة ونشر لدين الحق(٢).

وبذلك يكون قد تبين موقف النصارى من عطاءات الله عز وجل لهم، وإنعامه عليهم، فإنه لم يكن موقف الشاكر لله - سبحانه - الطائع له، بل موقف الناكر الجاحد والمحرف والمبدل تقليداً لمن سبقهم من اليهود ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾(٣).

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير: جـ٣ ص٤٥٦.

(٢) انظر: د/السيد رزق الطويل: الإسلام، دعوة الحق، ص١٠١.

(٣) الشعراء: ٢٢٧.

الفصل الثالث

إنصاف القرآن الكريم أهل الكتاب ودعوته إلى التسامح معهم

بعد أن تحدثنا في الفصل الأول عن طرف من نعم الله تعالى الخاصة باليهود وتذكيرهم بها. وموقفهم منها. وعقوباتهم على جحودها ونكرانها.

وفي الفصل الثاني عن طرف من نعم الله تعالى على النصارى وتذكيرهم بها وموقفهم منها.

يتناول البحث - في هذا الفصل - الحديث عن أهم مظاهر إنصاف القرآن الكريم لأهل الكتاب من اليهود والنصارى معًا، ودعوته إلى التسامح معهم، وهذا - في الحقيقة - يعد من إنعام الله تعالى عليهم أيضًا.

فالمتتبع للقرآن الكريم في آياته التي تحدثت عن هذا الشأن، وكذلك السنة المطهرة - يدرك بوضوح كيف أن الإسلام عامل أهل الكتاب معاملة خاصة تختلف عن معاملة أصحاب العقائد الأخرى غير الكتابية (أي التي ليس لها أصل من الوحي الإلهي).

فنجد - على سبيل المثال - أن الإسلام فرق بين أهل الكتاب وأهل الأوثان، ولم يجز إلحاق أهل الأوثان بأهل الكتاب؛ لأن كفر الأول أغلظ من كفر الثاني، فإن الكثير من أهل الكتاب يؤمن بالنبوات وبالمعاد والجزاء وغير ذلك، بخلاف عبدة الأوثان فقد كفروا بذلك وحاربوا كل الأنبياء من عهد نوح - عليه السلام - إلى عهد النبي ﷺ، وأنكروا كل ماجاءوا به من توحيد وبعث وثواب وعقاب وغيره.

فضلاً عن أن أهل الكتاب أتباع رسالتين لهما أصل من الوحي الإلهي، وقد خاطبهم القرآن بقوله : ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ .

ومن الملاحظ - أيضًا - أن الإسلام وقف من الوثنين موقف النقيض من النقيض، فأبطل عقائدهم، وعمل على هدم أصنامهم ومحوها من الأرض، وحرم - كذلك - ذبائحهم وتزويجهم أو الزواج منهم. في حين جوز مناكحة الحرائر من نساء أهل الكتاب وحل ذبائحهم والتعامل معهم.

ومن هنا امتاز الإسلام بالتسامح العظيم والمعاملة الطيبة في موقفه من أهل الكتاب، بل كان النبي ﷺ يحب أن يوافقهم في الشيء الذي لم يؤمر فيه، فقد أخرج البخاري عن ابن عباس - رضي الله عنهما - **«أن النبي ﷺ كان يسدل شعره، وكان المشركون يفرقون رءوسهم، وكان أهل الكتاب يسدلون رءوسهم. وكان النبي ﷺ يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشيء، ثم فرق النبي ﷺ رأسه»**[(١)] .

أهم مظاهر إنصاف القرآن الكريم لأهل الكتاب :

أولاً : وصفه لهم في كثير من آياته بكونهم أهل كتاب[(٢)] :

وفي ندائهم ووصفهم بهذا الوصف تلطف ولين من جانب القرآن معهم.

فهذا الوصف «أهل الكتاب» في ذاته نعمة من الله تعالى عليهم؛ لأن فيه تزكية وتمييزًا لهم على غيرهم ممن لم يرث ما ورثوه هم من الكتب السماوية (التوراة والإنجيل).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه باب (إتيان اليهود النبي ﷺ حين قدم المدينة) جـ٥ ص٩٠، وفتح الباري شرح صحيح البخاري جـ١ ص٣٨٦.

(٢) ورد في القرآن وصف اليهود والنصارى (بأهل الكتاب) في (٣٢) موضعًا، كما ورد وصفهم بـ(الذين أوتوا الكتاب والذين آتيناهم الكتاب) في (٢٤) موضعًا (انظر : محمد فؤاد عبدالباقي : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص١٢١، ١٢٢، وص٧٥١.

وقد ورد هذا الوصف في القرآن أحيانًا على سبيل التكريم لهم والتلطف معهم، وأحيانًا على سبيل التوبيخ والذم لأخلاقهم ومسالكهم.

ففي الحالة الأولى: يتلطف معهم ليقبلوا الحق، ويذكرهم بأنهم أصحاب دين سماوي، فاللائق بهم أن يسارعوا إلى الإيمان بمحمد ﷺ وأن يتبعوا ما جاء به، ومن قبيل مدح القرآن لهم بهذه الصفة قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ (٥٢) وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ (٥٣) أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾(١).

أما في الحالة الثانية: فهو يؤنبهم على كتمانهم الحق بعد أن علموه ويوبخهم على تكذيبهم لمحمد ﷺ الذي يعرفون صدقه كما يعرفون أبناءهم؛ ولأن وصفهم بهذا الوصف، يقتضي منهم أن ينزلوا على حكم كتابهم الذي أمرهم باتباع محمد ﷺ عند مبعثه. ومن قبيل ذمهم على كفرهم مع أنهم أهل كتاب قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ (٩٨) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾(٢).

فهذا الوصف فيه دلالة كبرى على تقدير القرآن لهم وتمييزه لهم عن غيرهم من الوثنيين، والاعتراف بما عندهم من الوحي الإلهي. فهذا الوصف ينبه أهل الكتاب إلى ما جاء في كتبهم عن الإسلام ورسول الإسلام ﷺ، ويطالبهم بإظهاره وعدم كتمانه إن كانوا منصفين معتدلين؛ لأنهم على معرفة بالحق معرفة لا يداخلها لبس أو خفاء.

---

(١) القصص: ٥٢ – ٥٤.

(٢) آل عمران: ٩٨، ٩٩.

ثانيًا : عدالة القرآن الكريم في أحكامه عليهم :

من مظاهر إنصاف القرآن لأهل الكتاب عدله في حكمه عليهم؛ فقد نعت القرآن أهل الكتاب بنعوت سيئة؛ كغلوهم في الدين، وحقدهم وحسدهم لهذا الدين ولرسوله ﷺ، واتباعهم للباطل وتركهم للحق، ونقضهم للعهود والمواثيق وغير ذلك.

ولكن نجد أن القرآن الكريم عندما حكم عليهم في ذلك أنصفهم، وبين أن هناك قلة آمنت من أهل الكتاب، ولم يدرجهم مع من نعتهم بنعوت سيئة، بل استثناهم، فمن الآيات التي وضحت ذلك قوله تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾(١) .

فقوله : ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾ استثناء للقلة التي آمنت من بني إسرائيل وشهادة لها بأنها لم تعرض عن الحق بل صدقت به وآمنت.

وقوله : ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (١١٣) يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُوْلَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ (١١٤) وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾(٢) .

فبين القرآن في هذه الآيات أن من أهل الكتاب أمة استقامت على دين الله ولم تنحرف إلى سواه، فاستحقت ما وصفها الله تعالى به من جليل الصفات، فقال : ﴿يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (١١٣) يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ . . .﴾ .

---

(١) البقرة : ٨٣.

(٢) آل عمران : ١١٣-١١٥.

وقوله تعالى أيضًا : ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾(١) .

فهذه الآية نزلت في مؤمني أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وقد وصفتهم الآيات الكريمة بصفات طيبة، وبشرتهم بالثواب والأجر الكبير يوم القيامة.

ثالثًا : دعوة القرآن إلى مجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن :

دعا القرآن الكريم إلى استخدام الأسلوب الهادئ اللين مع أهل الكتاب عند محاجتهم – وخاصة مع من كان هدفه الوصول إلى الحق – أما من أفرط منهم وعاند، فيستعمل معه الأسلوب الرادع، والطريقة التي من شأنها أن ترده عن ظلمه وغيه. يقول الله تعالى : ﴿ وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ ﴾(٢) .

وهذا الأسلوب يحمل أهل الكتاب على احترام القرآن وتوقيره وتعظيمه والإقرار بأنه من عند الله تعالى، ومن ثم الإيمان به.

رابعًا : إباحة القرآن الكريم طعام أهل الكتاب وإجازة مناكحتهم :

وهذا يعد مظهرًا من مظاهر الإنعام عليهم والتسامح العظيم معهم، فقد أباح القرآن لهم ذلك دون غيرهم.

قال الله تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ ﴾(٣) .

(١) آل عمران : ١٩٩.

(٢) العنكبوت : ٤٦.

(٣) المائدة : ٥.

(أ) إباحة طعامهم :

يرشد القرآن الكريم إلى أن طعام أهل الكتاب من الذبائح يحل للمسلمين أكلها، فقد قال سبحانه : ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ...﴾.

وهذا صريح في جواز الأكل من ذبائح اليهود والنصارى، وقد أطلق هنا العام وهو الطعام، وأراد به الخاص وهو الذبائح.

قال ابن عباس - رضي الله عنهما - : قال الله تعالى : ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾[1] ثم استثنى فقال : ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾ يعني ذبيحة اليهودي والنصراني، وإن كان النصراني يقول عند الذبح : باسم المسيح، واليهودي يقول : باسم عزير، وذلك أنهم يذبحون على الملة. وقال بعضهم: «كل من ذبيحة النصراني وإن قال: باسم المسيح؛ لأن الله عز وجل قد أباح ذبائحهم، وقد علم مايقولون»[2] . وخالف بعض الصحابة ذلك بقولهم : إذا سمعت الكتابي يسمي على غير اسم الله - عز وجل - فلا تأكل، متمسكين بقول الله تعالى : ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ وقال مالك : أكره ذلك، ولم يحرمه[3] .

(ب) جواز مناكحتهم :

قال الله تعالى : ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾.

---

(١) الأنعام : ١٢١.

(٢) تفسير القرطبي : الجامع لأحكام القرآن جـ٣ ص ٢١٧٤ ط دار الغد، وانظر سيد سابق : فقه السنة (الفتح للإعلام العربي، ط العاشرة، ١٤١٤هـ ١٩٩٣م) جـ٢ ص ١٩، ٢٠.

(٣) السيد سابق : فقه السنة جـ٢ ص ٢٠.

فهذا نص من القرآن يحل نكاح الحرائر من نساء أهل الكتاب. قال صاحب المغني: «ليس بين أهل العلم اختلاف في حل حرائر أهل الكتاب، وممن روي عنه ذلك: عمر، وعثمان، وطلحة، وحذيفة بن اليمان، وسلمان، وجابر، وغيرهم من الصحابة. ثم قال: قال ابن المنذر: ولا يصح عن أحد من الأوائل أنه حرم ذلك»(١).

وقد ورد أن سيدنا عثمان بن عفان تزوج نائلة بنت القرافصة الكلبية وهي نصرانية، وتزوج حذيفة بن اليمان يهودية، وتزوج طلحة يهودية من أهل الشام.

وقد شرع لها الإسلام من الحقوق ما شرع لغيرها، وكذلك لا تكره على ترك دينها.

حكمة إباحة التزوج من نساء أهل الكتاب :

أباح الإسلام الزواج منهن لإزالة الحواجز بين أهل الكتاب وبين الإسلام؛ فإن في الزواج معاشرة ومخالطة .. فتتاح الفرصة لدراسة الإسلام، ومعرفة حقائقه ومبادئه، فهو أسلوب من أساليب التقريب العملي بين المسلمين وغيرهم من أهل الكتاب، ودعاية للهدى ودين الحق(٢).

هذا عن حكمة إباحة الكتابية للمسلم، فماذا عن حكمة قصر هذه الإباحة على المسلم دون المسلمة في زواجها من الكتابي ؟!

وحكمة قصر هذه الإباحة على المسلم دون المسلمة ظاهرة من وجهة النظر الإسلامية، من حيث كون الرجل هو القوام على الزوجة ورب الأسرة وإليه ينتسب النسل: فالخوف منتف من تأثير الزوجة الديني على الأغلب. واحتمال الانتفاع بمزاياها واندماجها في الإسلام هو الأقوى، خلافًا للحالة إذا عكست، وقد يصح أن

---

(١) ابن قدامة : المغني (دار البصائر للطبع والنشر) جـ٦ ص ٥٨٩.

(٢) سيد سابق : فقه السنة جـ٢ ص١٨٠.

يضاف إلى هذا اعتبار آخر وهو أن المسلم يحترم أنبياء الكتابيين وكتبهم فليس للكتابية أن تشعر بحرج من التزوج به لأنها مطمئنة على احترامه لما تقدسه، في حين أن الكتابي لا يحترم نبي المسلمة ولا كتابها فيكون عليها حرج من التزوج به؛ لأنها لا تكون معه مطمئنة على ما تقدسه(١).

يتبين لنا من ذلك سماحة الإسلام مع أهل الكتاب وحرصه الشديد على هدايتهم، وانقاذهم من ضلالهم وغيهم، وذلك بتذويب بعض الفوارق بينهم وبين المسلمين - ما داموا هم مسالمين - وليس أدل على ذلك من جواز نكاح الحرائر من أهل الكتاب، ومقاسمة الواحدة منهن زوجها المسلم حياته ومعيشته.

خامساً : أخذ الجزية منهم دون المشركين :

لقد قبل الإسلام الجزية من أهل الكتاب ولم يقبلها من المشركين عبدة الأوثان، بل خير المشركين بين القتال أو الدخول في الإسلام.

قال القاضي في الأحكام السلطانية : «ولا تؤخذ جزية مرتد ولا دهري، ولا عابد وثن»(٢).

فالجزية لم توضع على عبدة الأوثان من العرب ولا المرتدين؛ لأن كفرهما قد تغلظ، أما مشركو العرب فلأن النبي ﷺ نشأ بين أظهرهم والقرآن نزل بلغتهم، فالمعجزة في حقهم أظهر، وأما المرتد فلأنه كفر بربه بعد ما هدي للإسلام ووقف على محاسنه فلا يقبل من الفريقين إلا الإسلام أو السيف زيادة في العقوبة»(٣).

أما أهل الكتاب فقد أجمع الفقهاء على أن الجزية تؤخذ منهم ومن المجوس(٤)

---

(١) انظر : محمد عزة دروزة : الدستور القرآني جـ٢ ص١٧٠.

(٢) القاضي ابن يعلى محمد بن الحسين الفراء الحنبلي : الأحكام السلطانية، تحقيق : محمد حامد الفقي (دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م) ص١٥٤.

(٣) انظر : ابن الهمام الحنفي : شرح فتح القدير (مطبعة مصطفى محمد، المكتبة التجارية الكبرى بمصر) جـ٤ ص٣٧١، ٣٧٢.

(٤) وهم من لهم شبه كتاب، وهم عبدة النيران القائلون بأن للعالم أصلين : نور وظلمة، وأصلهم من فارس.

وكان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قد توقف في أخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبدالرحمن بن عوف أن رسول الله ﷺ أخذها من مجوس هجر[١] .

وسبب وضع الجزية قول الله تعالى : ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾[٢] .

وقد عرفها ابن القيم بقوله : الجزية هي الخراج المضروب على رءوس الكفار إذلالاً وصغاراً. والمعنى حتى يعطوا الخراج عن رقابهم[٣] .

واختلف في اشتقاقها:

قال صاحب المغني : «هي مشتقة من جزاه بمعنى قضاه لقوله تعالى : ﴿ لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا ﴾[٤] تقول العرب : جزيت ديني إذا قضيته، والجزية هي الوظيفة المأخوذة من الكفار لإقامته بدار الإسلام في كل عام»[٤٥] .

قال القاضي : «إن اسمها مشتق من الجزاء. إما جزاء على كفرهم لأخذها منهم صغاراً، أو جزاء على أماننا لهم؛ لأخذها منهم رفقًا»[٦] .

وأما قوله : ﴿ عَن يَدٍ ﴾ في موضع النصب على الحال : أي يعطوها أذلاء مقهورين... وقالت طائفة: من يد إلى يد نقداً غير نسيئة، وقالت فرقة : من يده إلى يد الآخذ، لا باعثًا بها ولا موكلاً في دفعها. وقالت طائفة : معناه عن إنعام منكم عليهم بإقراركم لهم، وبالقبول منهم. والصحيح القول الأول، وعليه الناس.

(١) ابن القيم الجوزية : أحكام أهل الذمة (دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط الأولى سنة ١٤١٥هـ-١٩٩٥م) جـ١ ص١٨.
(٢) التوبة : ٢٩.
(٣) ابن القيم : أحكام أهل الذمة جـ١ ص٣٤.
(٤) البقرة: ٤٨ .
(٥) ابن قدامة : المغني جـ٨ ص٤٩٥.
(٦) القاضي أبي يعلى الحنبلي : الأحكام السلطانية ص١٥٣.

وأبعد كل البعد ولم يصب مراد الله من قال : المعنى : عن يد منهم، أي عن قدرة على أدائها فلا تؤخذ من عاجز عنها . وهـذا الحكم صحيح وحمـل الآية عليه باطل، ولم يفسره أحد من الصحابة ولا التابعين ولا سلف الأمة، وإنما هو من حذاقة بعض المتأخرين. وقوله : ﴿وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ حال أخرى . . . واختلف الناس في تفسير الصغار الذي يكونون عليه وقت أداء الجزية فقيل : أن يدفعها وهو قائم، ويكون الآخذ جالسًا . وقالت طائفة : أن يأتي بها بنفسه ماشيًا لا راكبًا . ويطال وقوفه عند إتيانه بها، ويقاد إلى الموضع الذي تؤخذ منه بالعنف، ثم تجريده ويمتهن. وهذا كله لا دليل عليه، ولا هو مقتضى الآية، ولا نقل عن رسول الله ﷺ ولا عن الصحابة أنهم فعلوا ذلك، فلقد عامل الإسلام أهل الكتاب بكل السماحة المعروفة عنه، ولم يكن هناك تجاوز إلا في عصور الضعف الإسلامي الذي عانى منه المسلمون قبل أهل الكتاب؛ حتى كان بعض المسلمين يتمنى أن يعامل كأهل الكتاب، والصواب في الآية أن الصغار هو التزامهم لجريان أحكام الملة عليهم، وإعطاء الجزية، فإن التزام ذلك هو الصغار(١) .

وقد أشار الدكتور محمد سيد طنطاوي إلى أن قوله تعالى : ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ ليس المقصود أن تؤخذ منهم بالقسوة والإذلال وامتهان الكرامة، بل أن يدفع أهل الكتاب مقدارًا معينًا من أموالهم حتى يكونوا مساهمين في بناء الدولة الإسلامية التي ترعى شئونهم، وأن يكونوا خاضعين لها، غير متمكنين من الثورة عليها، أو الإضرار بمصالحها أو الإقلاق لأمنها(٢) .

وهذا التفسير مقبول، لأن الإسلام لم يأمر بالإذلال ولا الاستعباد، ومن رحمة الإسلام بأهل الكتاب وإنعامه عليهم أنه لم يفرض الجزية على نسائهم وصبيانهم ومن لا يقدر على دفعها وثبت عجزه.

---

(١) انظر : ابن القيم الجوزية : أحكام أهل الذمة جـ١ ص٣٤، ٣٥ .

(٢) انظر : بنو إسرائيل في القرآن والسنة ص١٢٤ .

قال صاحب كتاب الخراج في وصية له لخليفة المسلمين في عهده : «وينبغي يا أمير المؤمنين - أيدك الله - أن تتقدم في الرفق بأهل ذمة نبيك وابن عمك محمد ﷺ؛ حتى لا يظلموا ولا يؤذوا ولا يكلفوا فوق طاقاتهم ولا يؤخذ شيء من أموالهم إلا بحق يجب عليهم، فقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : «**من ظلم معاهداً أو كلفه فوق طاقته فأنا حجيجه**». وكان فيما تكلم به عمر بن الخطاب عند وفاته: أوصى الخليفة من بعدي بذمة رسول الله ﷺ أن يوفي لهم بعهدهم وأن يقاتل من ورائهم ولا يكلفوا فوق طاقاتهم»(١) .

سادساً : التعامل معهم بمقتضى قاعدة (لهم ما لنا وعليهم ما علينا) :

أجاز الإسلام التعامل مع أهل الكتاب في البيع والشراء وغير ذلك من المعاملات ما داموا مسالمين غير معتدين.

قال الله تعالى : ﴿**لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾(٢) .

﴿**تَبَرُّوهُمْ**﴾ البر : هو الفضل والخير، و﴿**الْمُقْسِطِينَ**﴾ القسط هو العدل(٣) . والبر والقسط دستور قرآني عام يشمل المسلمين وغير المسلمين ما داموا مسالمين، ولا شك أن المسالمين من أهل الكتاب خاصة لهم مزيد عناية من البر والقسط من غير المسلمين(٤) .

لقد كان الرسول ﷺ مثلاً أعلى في معاملة أهل الكتاب، فقد روي أنه كان يحضر ولائمهم، ويشيع جنازاتهم، ويعود مرضاهم، ويزورهم ويكرمهم، حتى روي أنه لما زاره وفد نصارى نجران فرش لهم عباءته وأجلسهم عليها(٥) .

---

(١) القاضي أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم : كتاب الخراج (دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان) ص١٢٥.

(٢) الممتحنة : ٨.

(٣) المصباح المنير جـ١ ص٤٣، جـ٢ ص٥٠٣.

(٤) العهود والمواثيق في الإسلام (وزارة الأوقاف، القطاع الديني، الإدارة المركزية لشئون الدعوة) ص١٠٧.

(٥) د/أحمد شلبي : الإسلام ص١٧٦، نقلاً عن عفيف طبارة : روح الدين الإسلامي ص١٩٩.

وروي عن عائشة رضي الله عنها قالت : «اشترى رسول الله ﷺ من يهودي طعامًا إلى أجل ثم رهن درعًا له من حديد»(١) .

وعنها قالت : «توفى رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعًا من شعير»(٢) .

(قاعدة لهم ما لنا وعليهم ما علينا) :

أهل الكتاب من اليهود والنصارى في التعامل نوعان : أهل ذمة، وأهل أمان.

أولاً : معاملة أهل الذمة منهم :

الذمي : هو غير المسلم المواطن في دار الإسلام بصفة دائمة(٣) .

والذمة في اللغة تعني : العهد والأمان والضمان(٤) .

وأهل الذمة هم أهل الكتاب من اليهود والنصارى – ومن في حكمهم – الذين يعيشون بين المسلمين في دار الإسلام بأمان مؤبد، فيكون عليهم من الواجبات ما على المسلمين، ولهم من الحقوق ما لهم، وقد سموا بهذا الاسم؛ لأنهم دفعوا الجزية فأمنوا على أرواحهم وأعراضهم وأموالهم، وأصبحوا في ذمة المسلمين الذين أعطوهم ذمة الله وذمة رسوله ﷺ تأكيداً لصيانة حقوقهم(٥) .

فهذه الذمة تعطي أهلها من غير المسلمين ما يشبه في عصرنا الجنسية السياسية التي تعطيها الدولة لرعاياها، فيكتسبون بذلك حقوق المواطنين،

---

(١) أخرجه البخاري في باب (الرهن) جـ٢ ص٧٨.

(٢) أخرجه البخاري في باب (ما قيل في درع النبي ﷺ) جـ٤ ص٤٤.

(٣) العهود والمواثيق في الإسلام ص١٠٩، نقلاً عن الفقه الإسلامي وأدلته لوهبة الزحيلي جـ٨ ص٥٨.

(٤) الشريف الجرجاني : التعريفات (دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان) ص١٧.

(٥) انظر : أحمد جاد المولى : محمد المثل الكامل، تحقيق: عبدالرحيم مارديني (مكتبة دار المحبة، ط الأولى، ١٤١٢هـ-١٩٩١م) ص٣٢٨، و د/عثمان جمعة : منهج الإسلام في الحرب والسلام (مكتبة الأرقم، الكويت، ١٤٠٣هـ-١٩٨٢م) جـ١ ص٥٩.

ويلتزمون بواجباتهم(١).

وبناء على قاعدة (**لهم ما لنا وعليهم ما علينا**) جاء حديث عن ذلك يقول: **« فإن قبلوا عقد الذمة فأعلمهم أن لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين »**(٢).

ومن حقوق أهل الذمة ما يلي :

١- حماية الدولة الإسلامية لهم، برفع الظلم عنهم، أو دفعه، والمحافظة عليهم، ومنحهم حرية التعبد كما يريدون.

٢- منحهم الحق في الإقامة الآمنة والتنقل الآمن.

٣- عدم التعرض لهم في عقيدتهم وعبادتهم(٣) .

٤- العطف عليهم، والرأفة بهم عند العجز، وذلك أن لهم ذمة رسول الله ﷺ لقوله ﷺ : **« من آذى ذميًا فأنا خصمه، ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة »**(٤) .

وفي كتاب الخراج « عن عمر بن نافع عن أبي بكر قال : مر رضي الله عنه بباب قوم وعليه سائل يسأل، شيخ كبير ضرير البصر، فضرب عمر عضده من خلفه، وقال : من أي أهل الكتاب أنت ؟ فقال : يهودي. قال : فما ألجأك إلى ما أرى ؟ قال : الجزية والحاجة والسن. قال: فأخذ عمر بيده وذهب به إلى منزله، وأعطاه شيئًا مما وجده، ثم أرسل إلى خازن بيت المال وقال : انظر هذا وضرباءه (أي أمثاله) فو الله ما أنصفناه إن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم ﴿ **إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ**

(١) انظر : د/يوسف القرضاوي : غير المسلمين في المجتمع الإسلامي ص٧.

(٢) الكاساني : بدائع الصنائع (طبع دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م) جـ٧ ص١٠٠.

(٣) انظر : د/علي عبدالحليم محمود : فقه الدعوة إلى الله، جـ١ ص١٥٧.

(٤) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م) جـ٤ ص٣٦٢، وانظر : محمد أبو زهرة : خاتم النبيين ﷺ (ط دار الفكر العربي) جـ٢ ص٩٨٩.

للفقراء والمساكين﴾(١)، والفقراء هم الفقراء المسلمون. وهذا من المساكين من أهل الكتاب، ثم وضع عنه الجزية وعن ضربائه. قال أبو بكر: أنا شهدت ذلك من عمر ورأيت ذلك الشيخ»(٢).

ثانيًا: أهل الأمان من أهل الكتاب:

هو من دخل دار الإسلام بأمان مؤقت لمدة معلومة(٣).

ويدخل بعقد يسمى (عقد الأمان) أو بمجرد منح الأمان من ولي الأمر لمدة مؤقتة لا تتجاوز سنة هجرية، فإن تجاوز هذه المدة أو أراد الاستيطان أصبح ذميًّا وليس مستأمنًا فتنطبق عليه شروط أهل الذمة(٤).

وفي مشروعية عقد الأمان، قال الله تعالى: **﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾**(٥).

وأهل عقد الأمان لهم نفس معاملة أهل الذمة إلا أن الفرق بينهم وبين أهل الذمة أن عهدهم ليس أبديًّا، ولكنه عهد مؤقت.

ولا شك أن هذا التعامل هو قمة الرأفة والرحمة بأهل الكتاب. فالتسامح العظيم معهم ومودتهم، والعمل على إنصافهم والتلطف معهم، فهذا وغيره دعوة لهم إلى أن يقابلوا هذا الإحسان بمثله، وأن يكونوا أول من يؤمن بهذا الدين الذي جاءهم به أفضل أنبياء الله تعالى محمد بن عبدالله ﷺ.

---

(١) التوبة: ٦٠.

(٢) أبو يوسف: كتاب الخراج، ص١٢٦.

(٣) العهود والمواثيق في الإسلام ص١٠٩.

(٤) انظر: العهود والمواثيق في الإسلام (الدار الجماهيرية، ط الأولى ١٩٨٩م) ص٩٨، و د/محمد الصادق العفيفي: المجتمع الإسلامي والعلاقات الدولية (مكتبة الخانجي، القاهرة) ص٢٣٦-٢٤١.

(٥) التوبة: ٦.

الخـاتمة

في نهاية هذه الرحلة الطويلة مع (**أسلوب القرآن الكريم في دعوة أهل الكتاب**) يجدر بنا أن نوضح أهم النتائج التي توصل إليها البحث :

(١) كشفت هذه الدراسة عن أهمية مثل هذه الموضوعات في مجال الدعوة إلى الله تعالى؛ حيث إنها ترفد الداعية بمنهج صحيح يستخدمه في دعوته غير المسلمين يقوم على : الإقناع والمجادلة بالتي هي أحسن، واستخدام الأساليب والوسائل المختلفة.

(٢) وبينت تأكيد القرآن الكريم أن دعوة أهل الكتاب إلى التوحيد لم تكن بدعًا من الدعوات، بل سبقتها دعوات أخرى تدعو إليه، وتحث عليه؛ فهي متفقة جميعها على هذا الأمر (وهو التوحيد لله رب العالمين) لأن مصدرها واحد هو الله سبحانه، فدعوة التوحيد جاءت متحدة على لسان أنبياء الله جميعًا من لدن آدم عليه السلام إلى خاتمهم محمد ﷺ، فهي الغاية الأساسية التي من أجلها بعث الله رسله مبشرين ومنذرين؛ ولذلك نجد أن القرآن أجمل دعوة الرسل إلى هذه العقيدة الأساسية في مواضع، وفصلها في مواضع أخرى، فقص دعوة كل رسول على حدة؛ لتنبيههم بشدة إلى أن أصل الرسالات كلها واحد وإن بدت مختلفة في الأساليب والمناهج.

ومن هنا، كان الإسلام دين الأنبياء جميعًا؛ لأن عقيدة التوحيد التي دعا إليها الأنبياء عليهم السلام هي من أخص خصائص الإسلام، فلا يُقبل الدخول فيه إلا باعتقادها واعتناقها، وأكد القرآن – أيضًا – أن الأنبياء جميعًا قد دَعوا إلى الإسلام ووصوا به ذرياتهم وأقوامهم، والآيات التي سيقت في هذا الشأن خير دليل على ذلك.

(٣) وأوضحت الدراسة أن القرآن الكريم أقام الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة والحجج القوية في نفيه لعقائد أهل الكتاب الباطلة، وانحرافهم عن الطريق السوي في فهمهم للذات العلية، وذلك كقولهم ببنوة العزير والمسيح، وقولهم: إن الله ثالث ثلاثة، وتطاولهم على الله سبحانه ووصفه بصفات هو منزه عنها، فأثبتت أن اعتقادهم في الله تعالى اعتقاد خاطئ وباطل لا يؤيده دليل أو برهان من عقل أو نقل، وإنما هي أقوال يرددونها بألسنتهم دون أن تعيها عقولهم – إن كانوا يعقلون – .

(٤) وتبين من خلال البحث أن القرآن الكريم دعا إلى الإيمان بالرسل أجمعين،

وخصوصاً الإيمان بخاتم النبيين والمرسلين محمد ﷺ، وهذا خلاف ما ذهب إليه اليهود والنصارى من إيمانهم ببعض الرسل وكفرهم ببعض، وهذا ما رفضه القرآن منهم، وعده كفراً بجميع الرسل، وساق الأدلة الواضحة التي توجب عليهم اتباع النبي ﷺ والدخول في دينه وبطلان ما عداه من الأديان.

(٥) وقد كشف البحث عن أنه لم يؤمن بالنبي ﷺ ودعوته إلا القليل من أهل الكتاب، آمنوا به ﷺ بمجرد معرفتهم إياه والتأكد من حقيقته الموافقة لما معهم، وأن الكثير منهم كفروا به وعادوه، واتخذوا كافة الأساليب والوسائل للقضاء عليه وعلى دعوته.

(٦) وأوضحت الدراسة أن الله أنعم على أهل الكتاب - اليهود والنصارى - بنعم عظيمة، وكان المتوقع أن يشكروا تلك النعم، فيؤمنوا بالله ويتبعوا الرسل، ولكن حدث العكس، فكفروا بأنعم الله، فكان جزاؤهم العقوبة والغضب عليهم من الله تعالى.

(٧) وأبانت الدراسة عن أن النعم التي وردت في القرآن تخص أهل الكتاب كانت في جانب اليهود أوضح وأكثر منها في جانب النصارى، وعلى هذا فالمتوقع أن يكون اليهود أكثر شكراً من النصارى، ولكن حدث العكس، فكفر اليهود بنعمة الله تعالى كان أكبر من كفر النصارى.

(٨) واتضح من خلال هذه الدراسة أن القرآن الكريم أنصف أهل الكتاب إنصافًا تامًّا، فلم يعاملهم كما عامل غيرهم، بل دعا إلى التسامح في معاملتهم والرفق بهم. وهذا - أيضاً - من إنعام الله عز وجل عليهم.

هذه بإيجاز هي أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

وأما عن أهم التوصيات التي يراها البحث هامة، فهي كما يلي :

١ - على الدعاة إلى الله عز وجل دراسة أساليب - وكذلك وسائل - القرآن الكريم في الدعوة إلى الله تعالى دراسة عميقة، حتى تكون عوناً لهم في الدعوة إلى الله تعالى.

٢ - على الدعاة إلى الله تعالى الاطلاع على كل ما يقوله أعداء الإسلام، ويخططونه لكيد الإسلام والمسلمين، ودراسة كيفية الرد على هؤلاء بالحجة والمنطق والمجادلة بالتي هي أحسن، حتى تؤتي الدعوة الثمار الطيبة النافعة.

٣ - على الدعاة - أيضاً - التعمق في دراسة مقارنة الأديان ليكشفوا عن زيف وبطلان ما عليه أهل الكتاب من اليهود والنصارى.

تم بحمد الله تعالى

الفهارس الفنية

- فهرس الآيات القرآنية
- فهرس الأحاديث النبوية
- المصادر والمراجع
- فهرس الموضوعات

فهرس الآيات القرآنية

السورة	طرف الآية	رقمها	الصفحة
البقرة	﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله ...﴾	٨	٧٥
	﴿وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء...﴾	١٣	٧٤
	﴿يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم...﴾	٢١	٦٥، ٦٦
	﴿الذي جعل لكم الأرض فراشًا والسماء بناء...﴾	٢٢	٦٦
	﴿يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي...﴾	٤٠	٢٧١
	﴿وآمنوا بما أنزلت مصدقًا لما معكم...﴾	٤١	٢٧١
	﴿ولا تلبسوا الحق بالباطل...﴾	٤٢	٢٧١
	﴿وأقيموا الصلاة...﴾	٤٣	٢٧١
	﴿يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم...﴾	٤٧	٢٧١، ٢٧٣
	﴿واتقوا يومًا لا تجزي نفسٌ عن نفس شيئًا...﴾	٤٨	٢٧٤
	﴿وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون...﴾	٥٠	٢٧٦
	﴿وإذا واعدنا موسى أربعين ليلة...﴾	٥١	٩٥، ٢٨٥
	﴿ثم عفونا عنكم من بعد ذلك...﴾	٥٢	٩٥، ٢٨٥

السورة	طـــرف الآيـــة	رقمها	الصفحة
البقرة	﴿ وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان... ﴾	٥٣	٩٥، ٢٨٥
	﴿ وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل... ﴾	٥٤	٩٥
	﴿ وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة... ﴾	٥٥	٢٧٧
	﴿ ثم بعثناكم من بعد موتكم ... ﴾	٥٦	٢٧٧
	﴿ وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها... ﴾	٥٨	٢٧٨
	﴿ فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم... ﴾	٥٩	٢٧٨
	﴿ إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر... ﴾	٦٢	٧١
	﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين ﴾	٦٤	٢٩٢
	﴿ ثم بعثناكم من بعد موتكم ﴾	٦٦	٢٣٢
	﴿ وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة... ﴾	٦٧	٢١٣،٢١٤
	﴿ قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي... ﴾	٦٨	٢١٣
	﴿ قالوا ادع لنا ربك يبين ما لونها... ﴾	٦٩	٢١٣
	﴿ ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة... ﴾	٧٤	٢١٣

السورة	طرف الآية	رقمها	الصفحة
البقرة	﴿أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه...﴾	٧٥	٢٢٧
	﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله...﴾	٧٩	٢٢٨
	﴿وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة...﴾	٨٠	٢٨٩
	﴿بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته...﴾	٨١	٢٨٩
	﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات...﴾	٨٢	٢٨٩
	﴿وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل...﴾	٨٣	٨٢، ٨٣
	﴿وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم...﴾	٨٤	٢١٥، ٣٣٠
	﴿أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة...﴾	٨٦	٢١٥
	﴿ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل...﴾	٨٧	١٦٤
	﴿ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم...﴾	٨٩	١٧٩، ٢٤٨
	﴿بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله...﴾	٩٠	٢٩٩
	﴿وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا...﴾	٩١	١٦٥، ٢١٠، ٢١١

السورة	طـــــرف الآيـــة	رقمها	الصفحة
البقرة	﴿ ولقد جاءكم موسى بالبينات... ﴾	٩٢	٩٥
	﴿ وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور... ﴾	٩٣	٩٥
	﴿ قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت... ﴾	٩٤	٢٨٧
	﴿ ولن يتمنوه أبداً بما قدمت أيديهم... ﴾	٩٥	٢٨٧
	﴿ ولتجدنهم أحرص الناس على حياة... ﴾	٩٦	٢٨٧
	﴿ قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك... ﴾	٩٧	٢٥٦
	﴿ من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال... ﴾	٩٨	٢٥٦
	﴿ ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم... ﴾	١٠١	٢١٣
	﴿ واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان... ﴾	١٠٢	٢١٣
	﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا... ﴾	١٠٤	٢٦٠
	﴿ ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم... ﴾	١٠٥	٢٦٠
	﴿ ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها... ﴾	١٠٦	٢١٨

السورة	طـــــرف الآيـــة	رقمها	الصفحة
البقرة	﴿ألم تعلم أن الله له ملك السماوات والأرض...﴾	١٠٧	٢١٨
	﴿أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل...﴾	١٠٨	٢١٨
	﴿وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى...﴾	١١١	٢٨٥،٨١
	﴿بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن...﴾	١١٢	٢٨٥،٨١ ٢٨٦،
	﴿وقالت اليهود ليست النصارى على شيء...﴾	١١٣	٣٣١
	﴿وقالوا اتخذ الله ولداً سبحانه بل له ما في السماوات والأرض كل له قانتون﴾	١١٦	١٤٢
	﴿بديع السماوات والأرض...﴾	١١٧	١٤٢
	﴿وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله...﴾	١١٨	٢٤٩
	﴿إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً...﴾	١١٩	٢٠٧
	﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم...﴾	١٢٠	٢٥٣
	﴿ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه...﴾	١٣٠	١٥٩،٥٠
	﴿قال له ربه أسلم...﴾	١٣١	٥٠
	﴿ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب...﴾	١٣٢	٥٠

السورة	طـــــرف الآيـــة	رقمها	الصفحة
البقرة	﴿أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي...﴾	١٣٣	٥٤
	﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل...﴾	١٣٦	١٤٩
	﴿فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا...﴾	١٣٧	٧٤
	﴿قل أتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم...﴾	١٣٩	٧٨
	﴿أم تقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هوداً أو نصارى...﴾	١٤٠	٥٣، ٢٠٦
	﴿سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها...﴾	١٤٢	٢٥١
	﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم...﴾	١٤٦	١٨٢، ٢٤٦
	﴿إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب...﴾	١٥٩	٢٤٧
	﴿إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا...﴾	١٦٠	٢٠٦
	﴿ومثل الذين كفروا...﴾	١٧١	٦٧
	﴿إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب...﴾	١٧٤	٢٤٨
	﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي...﴾	٢٥٦	٥٩

السورة	طرف الآية	رقمها	الصفحة
البقرة	﴿ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه...﴾	٢٥٨	٤٤
	﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن...﴾	٢٥٦	١٤٩
آل عمران	﴿الم﴾	١	١٢٨
	﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾	٢	١٢٨
	﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط...﴾	١٨	١٢٨
	﴿فإن حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن...﴾	٢٠	٧٨
	﴿إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق...﴾	٢١	١٦٦
	﴿أولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة...﴾	٢٢	١٦٦
	﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم...﴾	٢٣	٢١٦
	﴿لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين...﴾	٢٨	٢٤٦
	﴿إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين﴾	٣٣	٣٠١
	﴿ذرية بعضها من بعض...﴾	٣٤	٣٠١
	﴿إذ قالت امرأة عمران رب إني نذرت لك ما في بطني محرراً...﴾	٣٥	٣٠٤

السورة	طرف الآية	رقمها	الصفحة
آل عمران	﴿ فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى . . . ﴾	٣٦	٣٠٤
	﴿ فتقبلها ربها بقبول حسن . . . ﴾	٣٧	٣٠٤
	﴿ وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك . . . ﴾	٤٢	٣٠٥
	﴿ ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك . . . ﴾	٤٤	١٩٢
	﴿ إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم . . . ﴾	٤٥	١٢٩، ٣٠٧
	﴿ ويكلم الناس في المهد وكهلاً . . . ﴾	٤٦	١٢٩، ١٣٠، ٣٠٧،
	﴿ قالت رب أنى يكون لي ولد . . . ﴾	٤٧	١٣٠، ٣٠٧
	﴿ ويعلمه الكتاب والحكمة . . . ﴾	٤٨	١٣٠
	﴿ ورسولاً إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم . . . ﴾	٤٩	١٣٠
	﴿ ومصدقًا لما بين يدي من التوراة . . . ﴾	٥٠	١٣٠
	﴿ إن الله ربي وربكم فاعبدوه . . . ﴾	٥١	١٣٠
	﴿ إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا . . . ﴾	٥٥	٣١٢
	﴿ ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم ﴾	٥٨	١٣١
	﴿ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم . . . ﴾	٥٩	١٣١
	﴿ الحق من ربك فلا تكن من الممترين ﴾	٦٠	١٣١

السورة	طرف الآية	رقمها	الصفحة
آل عمران	﴿ فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا . . . ﴾	٦١	١٣٢
	﴿ إن هذا لهو القصص الحق . . . ﴾	٦٢	١٣٢
	﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء . . . ﴾	٦٤	٦٨
	﴿ يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم . . . ﴾	٦٥	١٥٨،٥١
	﴿ ها أنتم هؤلاء حاججتم . . . ﴾	٦٦	١٥٨،٥١
	﴿ ما كان إبراهيم يهوديًّا ولا نصرانيًّا . . . ﴾	٦٧	١٥٩،٥١
	﴿ إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه . . . ﴾	٦٨	١٥٩،٥١
	﴿ يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله . . . ﴾	٧٠	٢٦٣
	﴿ يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل . . . ﴾	٧١	٢٦٣
	﴿ وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون ﴾	٧٢	٢٦٣
	﴿ ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم . . . ﴾	٧٣	٢٦٣
	﴿ يختص برحمته من يشاء . . . ﴾	٧٤	٢٦٣
	﴿ ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار . . . ﴾	٧٥	١١٠
	﴿ بلى من أوفى بعهده واتقى . . . ﴾	٧٦	١١٠
	﴿ وإن منهم لفريقًا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب . . . ﴾	٧٨	٢٢٧

الصفحة	رقمها	طرف الآية	السورة
٢٠٠	٨١	﴿ وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة... ﴾	آل عمران
٢٠٠، ٢٠١	٨٢	﴿ فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون... ﴾	
٥٧	٨٣	﴿ أفغير دين الله يبغون... ﴾	
٥٧	٨٥	﴿ ومن يبتغ غير الإسلام دينًا فلن يقبل منه... ﴾	
٢١٩	٩٣	﴿ كل الطعام كان حلاً لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه... ﴾	
١٩٠	٩٤	﴿ فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فأولئك هم الظالمون... ﴾	
٢١٩	٩٥	﴿ قل صدق الله فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفًا... ﴾	
٣٢٩	٩٨	﴿ قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله... ﴾	
٣٢٩	٩٩	﴿ قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله... ﴾	
٢٦٥	١٠٠	﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقًا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين ﴾	
٢٦٥		﴿ كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ﴾	

السورة	طـــــرف الآيـــة	رقمها	الصفحة
آل عمران	﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس...﴾	١٠٣	٢٤٠،٧١
	﴿لن يضروكم إلا أذى...﴾	١١٠	٢٩٩
	﴿ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا...﴾	١١١	٢٩٩،١٦٧
	﴿ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة...﴾	١١٢	٣٣٠،٨٣
	﴿يؤمنون بالله واليوم الآخر...﴾	١١٣	٣٣٠،٨٣
	﴿وما يفعلوا من خير فلن يكفروه...﴾	١١٤	٣٣٠،٨٣
	﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم...﴾	١١٥	٢٦٤
	﴿لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم...﴾	١١٨	٢٣٤
	﴿لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير...﴾	١٦٤	١٦٧،١١٣
	﴿ذلك بما قدمت أيديكم...﴾	١٨١	١١٣
	﴿الذين قالوا إن الله عهد إلينا ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار...﴾	١٨٢	٢٤٨
	﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتو الكتاب لتبيننه للناس...﴾	١٨٣	٢٤٧
	﴿وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم...﴾	١٨٧	٣٣١،٨٣
النساء	﴿من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه...﴾	١٩٩	٢٥٩،٢٢٧

السورة	طرف الآية	رقمها	الصفحة
النساء	﴿ يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا ... ﴾	٤٦	٨٥
	﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء... ﴾	٤٧	٥٩،٢٩
	﴿ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبًا من الكتاب... ﴾	٤٨	٢٩٩،٢٥٨
	﴿ أولئك الذين لعنهم الله... ﴾	٥١	٢٥٩،٢٥٨
		٥٢	٢٩٩،
	﴿ أم لهم نصيب من الملك... ﴾		٢٥٩
	﴿ أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله... ﴾	٥٤	٢٥٩
	﴿ ولا يجد له من دون الله وليًا ولا نصيرًا ﴾	٥٥	٢٨٨
	﴿ ومن يعمل من الصالحات من ذكرٍ أو أنثى وهو مؤمن... ﴾	١٢٣	٢٨٨
	﴿ إن الذين يكفرون بالله ورسله... ﴾	١٢٤	١٦٧
	﴿ أولئك هم الكافرون حقًا... ﴾	١٥٠	١٦٧
	﴿ والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم... ﴾	١٥١	١٦٩،١٦٨
	﴿ يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابًا من السماء... ﴾	١٥٢	٢٥٤،٢٥٦
	﴿ ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم... ﴾	١٥٣	٢٥٤
	﴿ فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله... ﴾	١٥٤	١٩٠
	﴿ وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانًا عظيمًا ﴾	١٥٥	٣٠٨

السورة	طرف الآية	رقمها	الصفحة
النساء	﴿وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم...﴾	١٥٦	١٦٩،١٤٣
		١٥٧	٣١٢
	﴿بل رفعه الله إليه...﴾		١٦٩،١٤٣
	﴿وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته...﴾	١٥٨	١٤٥
	﴿فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم...﴾	١٥٩	٢٩٤
	﴿وأخذهم الربا وقد نهوا عنه...﴾	١٦٠	٢٩٥
	﴿لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون...﴾	١٦١	٢٩٥
	﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده...﴾	١٦٢	١٥٧،٣٠٤
	﴿لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه...﴾	١٦٣	٢٠٦
	﴿يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم...﴾	١٦٦	٢٠٧
	﴿يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق...﴾	١٧٠	١٢٢،١٢١ ١٣٣،
	﴿لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله...﴾	١٧١	١٣٣

السورة	طرف الآية	رقمها	الصفحة
النساء	﴿ فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم... ﴾	١٧٢	١٣٣
المائدة	﴿ اليوم أكملت لكم دينكم... ﴾	١٧٣	٥٧
	﴿ اليوم أحل لكم الطيبات... ﴾	٣	٣٣١
	﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم... ﴾	٥	٢٦٠
	﴿ فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية... ﴾	١١	٢٢٧
	﴿ ومن الذين قالوا إنا نصارى... ﴾	١٣	٢٤، ٢٢٨،
		١٤	٣١٩، ٣٢٢
	﴿ يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب... ﴾		١٨٥
	﴿ يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام... ﴾	١٥	١٨٥
	﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم... ﴾	١٦	١٣٦
	﴿ وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه... ﴾	١٧	١٠٧، ١٠٨
	﴿ يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل... ﴾	١٨	١٨٧
	﴿ وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم... ﴾	١٩	٢٨١

السورة	طـــــرف الآيـــة	رقمها	الصفحة
المائدة	﴿ يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة... ﴾	٢٠	٢٧٨
	﴿ قالوا يا موسى إن فيها قومًا جبارين... ﴾	٢١	٢٧٨
	﴿ قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما... ﴾	٢٢	٢٧٩،٢٧٨
	﴿ قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبدًا... ﴾	٢٣	٢٧٩
	﴿ قال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي... ﴾	٢٤	٢٧٩
	﴿ قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة... ﴾	٢٥	٢٧٩
	﴿ إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور... ﴾	٢٦	٢٨٥،٥٦
	﴿ وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين... ﴾	٤٤	٢١٥
	﴿ وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقًا لما بين يديه من التوراة... ﴾	٤٥	٣١٧
	﴿ وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه... ﴾	٤٦	٣١٧
	﴿ وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقًا لما بين يديه من الكتاب... ﴾	٤٧	٢٠٩
	﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء... ﴾	٤٨	٢٦٤،٢٥٨
	﴿ فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم... ﴾	٥١	٢٥٨
	﴿ قل هل أنبئكم بشرٍّ من ذلكم... ﴾	٥٢	٢٩٦
	﴿ وإذا جاءوكم قالوا آمنا... ﴾	٦٠	٢٩٦
	﴿ وترى كثيرًا منهم يسارعون في الإثم... ﴾	٦١	٢٩٦

السورة	طـــــرف الآيـــــة	رقمها	الصفحة
المائدة	﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة...﴾	٦٢	١١٤،١١٥
	﴿ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا...﴾	٦٤	٧١
	﴿ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل...﴾	٦٥	٧١
	﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك...﴾	٦٦	٢٠٧
	﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر...﴾	٦٧	٧٣
	﴿لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل وأرسلنا إليهم رسلاً...﴾	٦٩	١٦٤
	﴿وحسبوا ألا تكون فتنة فعموا وصموا...﴾	٧٠	١٦٤
	﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم...﴾	٧١	١٣٦،١٦٩
	﴿وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله..﴾	٧٢	٤٨
	﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم﴾	٧٢	١٢١،١٧٠
	﴿أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه...﴾	٧٣	١٢١
	﴿ما المسيح ابن مريم إلا رسول...﴾	٧٤	١٣٦،٣٠٥
	﴿قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك ...﴾	٧٥	١٣٦
	﴿قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق﴾	٧٦	١٣٦
		٧٧	

السورة	طرف الآية	رقمها	الصفحة
المائدة	﴿لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم...﴾		٢٩٨
	﴿كانوا لا يتناهون عن منكرٍ فعلوه...﴾	٧٨	٢٩٨
	﴿ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا...﴾	٧٩	٢٩٨
	﴿ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه...﴾	٨٠	٢٩٨
	﴿ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى...﴾	٨١	١٩٥،١٩٨
	﴿وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع...﴾	٨٢	١٩٥
	﴿يوم يجمع الله الرسل...﴾	٨٣	٣٣
	﴿إذ قال الله يا عيسى ابن مريم...﴾	١٠٩	٣١٠
	﴿ما قلت لهم إلا ما أمرتني به ...﴾	١١٠	
	﴿وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي...﴾		٣١٠
	﴿إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء...﴾	١١١	٣١٣
	﴿قالوا نريد أن نأكل منها...﴾	١١٢	٣١٣
	﴿قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء...﴾	١١٣	٣١٣
	﴿قال الله إني منزلها عليكم...﴾	١١٤	٣١٣

السورة	طرف الآية	رقمها	الصفحة
المائدة	﴿أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله...﴾	١١٥	١٣٧،١٣٦ ١٧٠،
	﴿ما قلت لهم إلا ما أمرتني به...﴾	١١٦	،١٣٧،٣٣
		١١٧	١٧٠
	﴿إن تعذبهم فإنهم عبادك...﴾		١٧٠،١٣٧
الأنعام	﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم...﴾	١١٨	١٨٢
	﴿وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض...﴾	٢٠	٤٣
	﴿فلما جن عليه الليل رأى كوكبًا...﴾	٧٥	٤٣
	﴿فلما رأى القمر بازغًا قال هذا ربي...﴾	٧٦	٤٣
	﴿فلما رأى الشمس بازغة...﴾	٧٧	٤٣
	﴿إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات...﴾	٧٨	٤٤
	﴿وإسماعيل واليسع ويونس ولوطًا وكلاً فضلنا على العالمين﴾	٧٩	١٥٩
	﴿وما قدروا الله حق قدره...﴾	٨٦	٢٤٩
	﴿ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه...﴾	٩١	٣٣٢
	﴿إني اصطفيتك على الناس برسالاتي...﴾	١٢١	٣٠١
	﴿وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر...﴾	١٤٤	٢٩٥
		١٤٦	

السورة	طـــرف الآيـــة	رقمها	الصفحة
الأنعام	﴿ فإن كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة... ﴾		٢٩٥
	﴿ ثم آتينا موسى الكتاب... ﴾	١٤٧	٢٨٥
الأعراف	﴿ وإلى عاد أخاهم هودًا... ﴾	١٥٤	٣٨
	﴿ ولوطًا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين ﴾	٦٥	١٥٩
	﴿ إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء... ﴾	٨٠	١٥٩
	﴿ وإلى مدين أخاهم شعيبًا... ﴾	٨١	٤١
	﴿ قالوا إنا إلى ربنا منقلبون... ﴾	٨٥	٥٦
	﴿ وما تنقم منا إلا أن آمنا بآيات ربنا... ﴾	١٢٥	٥٦
	﴿ وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه... ﴾	١٢٦	٤٦
	﴿ وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض... ﴾	١٢٧	٢٨٣
	﴿ وجاوزنا ببني إسرائيل البحر... ﴾	١٣٧	٩١
	﴿ إن هؤلاء متبر ما هم فيه ... ﴾	١٣٨	٩٢
	﴿ وإذ أنجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب... ﴾	١٣٩	٢٧٥،٩٣
	﴿ وكتبنا له في الألواح من كل شيءٍ موعظة وتفصيلاً... ﴾	١٤١	٢٩٢،٢٩١
	﴿ واتخذ قوم موسى من بعده ... ﴾	١٤٥	٩٦

السورة	طرف الآية	رقمها	الصفحة
الأعراف	﴿ولما سقط في أيديهم ورأوا أنهم ضلوا...﴾	١٤٨	٩٦
	﴿ولما رجع موسى إلى قومه غضبان ...﴾	١٤٩	٩٦
	﴿قال رب اغفر لي ولأخي ...﴾	١٥٠	٩٦
	﴿إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب...﴾	١٥١	٩٦
	﴿والذين عملوا السيئات ثم تابوا ...﴾	١٥٢	٩٦
	﴿إنا هدنا إليك ...﴾	١٥٣	١٩
	﴿ورحمتي وسعت كل شيء...﴾	١٥٦	١٧٥
	﴿الذين يتبعون الرسول النبي الأمي...﴾	١٥٦	١٧٥
	﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعًا...﴾	١٥٧	٢٠٣
	﴿واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر...﴾	١٥٨	٢١٤
	﴿وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قومًا الله مهلكهم...﴾	١٦٣	٢١٤
	﴿فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء...﴾	١٦٤	٢١٤
	﴿فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين...﴾	١٦٥	٢١٤
	﴿وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب...﴾	١٦٦	٢٩٣

السورة	طـــرف الآيـــة	رقمها	الصفحة
الأعراف	﴿وقطعناهم في الأرض أممًا...﴾	١٦٧	٢٩٣
	﴿وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة...﴾	١٦٨	٢٩١
	﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم	١٧١	
	ذريتهم...﴾		٣١، ٦٢
	﴿فاقصص القصص لعلهم يتفكرون﴾	١٧٢	٣٦
الأنفال	﴿وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم...﴾	١٧٦	٧٣
التوبة	﴿وإن أحد من المشركين استجارك	١٨٠	
	فأجره...﴾		٣٤٠
	﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم	٦	
	الآخر...﴾		٣٣٥
	﴿وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى	٢٩	١٠٥،
	المسيح ابن الله...﴾	٣٠	١٢٦، ١٦٩
	﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون		١٦٩، ٧٠،
	الله...﴾	٣١	١٢٦
يونس	﴿فماذا بعد الحق إلا الضلال...﴾		٢٤٣
	﴿فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل	٣٢	
	الذين يقرءون الكتاب من قبلك...﴾		١٩٩
	﴿فإن توليتم فما سألتكم من أجر ...﴾	٩٤	٥٠
	﴿وقال موسى يا قوم ...﴾	٧٢	٥٥
	﴿وجاوزنا ببني إسرائيل البحر ...﴾	٨٤	٥٥
	﴿ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم	٩٠	
	جميعًا...﴾		٥٩

السورة	طـــرف الآيـــة	رقمها	الصفحة
	﴿ولقد أرسلنا نوحًا إلى قومه...﴾	٩٩	٣٧
هود	﴿قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي...﴾	٢٥، ٢٦	٣٧، ٣٨
	﴿قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء...﴾	٢٨	١٥٥
	﴿تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك...﴾	٤٣	١٩٢
	﴿إن أنتم إلا مفترون﴾	٤٩	٣٨
	﴿ويا قوم استغفروا ربكم...﴾	٥٠	٣٨
	﴿قال إني أشهد الله...﴾	٥٢	٣٨
	﴿هو أنشاكم من الأرض...﴾	٥٤	٤٠
	﴿وإلى مدين أخاهم شعيبًا...﴾	٦١	٤١
	﴿ولقد راودته عن نفسه فاستعصم...﴾	٨٤	١٥٥
يوسف	﴿إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله...﴾	٣٢	٤٥
	﴿واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب...﴾	٣٧	٤٥
	﴿يا صاحبي السجن ءأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار﴾	٣٨	٤٥
	﴿ما تعبدون من دونه إلا أسماء...﴾	٣٩	٤٥
	﴿رب قد آتيتني من الملك ...﴾	٤٠	٥٤، ٥٥
	﴿ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك...﴾	١٠١	١٩٢
	﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب...﴾	١٠٢	٣٦

السورة	طرف الآية	رقمها	الصفحة
	﴿ويقول الذين كفروا لست مرسلاً...﴾	١١١	١٩٥، ٢٠٦
يوسف	﴿وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم...﴾	٤٣	٢٧٥، ٢٧٦
إبراهيم	﴿وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم...﴾	٦	٢٧٠
النحل	﴿ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء...﴾	٧	٣٢
	﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله...﴾	٢	٣٢
	﴿إن إبراهيم كان أمة قانتًا لله ...﴾	٣٦	٣٣
	﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة ...﴾	١٢٠	١٥٩
الإسراء	﴿وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض...﴾	١٢٥	٢٩٤
	﴿فإذا جاء وعد أولاهما ...﴾	٤	٢٩٤
	﴿ثم رددنا لكم الكرة عليهم...﴾	٥	٢٩٤
	﴿إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم...﴾	٦	٢٩٤
	﴿عسى ربكم أن يرحمكم...﴾	٧	٢٩٤
	﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم...﴾	٨	٧
	﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾	٩، ١٠	٢٠٨
	﴿فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيًا﴾	٨٨	٣٠٨

السورة	طرف الآية	رقمها	الصفحة
	﴿قال إني عبدالله آتاني الكتاب...﴾	٢٩	١٤١،٣٠٨
مريم	﴿وجعلني مباركًا أينما كنت...﴾	٣٠	١٤١،٣٠٨
مريم	﴿وبرًّا بوالدتي ولم يجعلني جبارًا شقيًّا﴾	٣١	١٤١،٣٠٨
	﴿والسلام علي يوم ولدت...﴾	٣٢	١٤١،٣٠٨
	﴿ذلك عيسى ابن مريم...﴾	٣٣	١٤١
	﴿ما كان لله أن يتخذ من ولد...﴾	٣٤	١٤١
	﴿وإن الله ربي وربكم...﴾	٣٥	٤٨، ١٤١
	﴿واذكر في الكتاب إبراهيم...﴾	٣٦	٤٢
	﴿إذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا	٤١	٤٢
	يبصر ولايغني عنك شيئًا﴾		٤٢
	﴿يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم	٤٢	٤٢
	يأتك...﴾		٤٢
	﴿يا أبت لا تعبد الشيطان...﴾	٤٣	٤٢
	﴿يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من	٤٤	
	الرحمن...﴾		٤٢
	﴿قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم...﴾	٤٥	٤٢
	﴿قال سلام عليك...﴾	٤٦	٤٢
	﴿واذكر في الكتاب موسى...﴾	٤٧	١٦٢
	﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولدًا﴾	٥١	١٤٢
	﴿لقد جئتم شيئًا إدًّا﴾	٨٨	١٤٢
	﴿تكاد السماوات يتفطرن منه...﴾	٨٩	١٤٢
	﴿أن دعوا للرحمن ولدًا﴾	٩٠	١٤٢

السورة	طرف الآية	رقمها	الصفحة
مريم	﴿وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً﴾	٩١	١٤٢
	﴿إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً﴾	٩٢	١٤٢
	﴿لقد أحصاهم وعدهم عداً﴾	٩٣	١٤٢
	﴿وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً﴾	٩٤	١٤٢
	﴿وأنا اخترتك فاستمع ...﴾	٩٥	٩٠
طه	﴿قال فمن ربكما يا موسى ...﴾	١٣-١٥	٤٦
	﴿وما أعجلك عن قومك يا موسى﴾	٤٩، ٥٠	٩٦
	﴿قال هم أولاء على أثري...﴾	٨٣	٩٦، ٩٧
	﴿قال فإنا قد فتنا قومك...﴾	٨٤	٩٧
	﴿فرجع موسى إلى قومه...﴾	٨٥	٩٧
	﴿قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا...﴾	٨٦	٩٧
	﴿فأخرج لهم عجلاً جسداً...﴾	٨٧	٩٧
	﴿أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولاً...﴾	٨٨	٩٧
	﴿ولقد قال لهم هارون ...﴾	٨٩	٩٧، ١٦١
	﴿قالوا لن نبرح عليه عاكفين...﴾	٩٠	٩٧، ١٦١
	﴿قال يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا﴾	٩١	٩٧
	﴿ألا تتبعن أفعصيت أمري...﴾	٩٢	٩٧
	﴿قال يا ابن أمَّ لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي...﴾	٩٣	٩٧
	﴿قال فما خطبك يا سامري﴾	٩٤	٩٧
	﴿قال بصرت بما لم يبصروا به...﴾	٩٥	٩٧

السورة	طرف الآية	رقمها	الصفحة
	﴿قال فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس...﴾	٩٦	٩٧
طه	﴿إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو...﴾	٩٧	٩٧
	﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه...﴾	٩٨	١٢٧،٣٢
الأنبياء	﴿ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان...﴾	٢٥	٢٨٥
	﴿ولقد آتينا إبراهيم رشده...﴾	٤٨	٤٣
	﴿وتالله لأكيدن أصنامكم...﴾	٥١–٥٦	٤٣
	﴿ولوطًا آتيناه حكمًا وعلمًا ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث...﴾	٥٧–٦٧	١٥٩
	﴿ففهمناها سليمان وكلاً آتيناه حكمًا وعلمًا...﴾	٧٤	١٦١
	﴿والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا...﴾	٧٩	٣٢٢،٣٠٩
	﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة...﴾	٩١	٣٥
	﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين...﴾	٩٢	٢٥٢،٢٠٣
	﴿ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء...﴾	١٠٧	٢٩
	﴿لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ...﴾	٣١	١١٧
الحج	﴿ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله...﴾	٣٧	١٤٢
المؤمنون	﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عبده...﴾	٩١ ١	٢٠٣

السورة	طـــــرف الآيـــــة	رقمها	الصفحة
الفرقان	﴿ وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق ... ﴾		١٣٩
الفرقان	﴿ ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ... ﴾	٢٠	٦٦
الشعراء	﴿ فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى... ﴾	٤٥	٢٧٦
	﴿ قال كلا إن معي ربي ... ﴾	٦١	٢٧٦
	﴿ فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر... ﴾	٦٢	٢٧٦
	﴿ وأزلفنا ثم الآخرين ﴾	٦٣	٢٧٦
	﴿ كذبت ثمود المرسلين ﴾	٦٤	٤٠
	﴿ إذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون ﴾	١٤١	٤٠
	﴿ إني لكم رسول أمين ﴾	١٤٢	٤٠
	﴿ فاتقوا الله وأطيعون ﴾	١٤٣	٤٠
	﴿ وما أسألكم عليه من أجر... ﴾	١٤٤	٤٠
	﴿ أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل ﴾	١٤٥	١٩٦
	﴿ فلا تدع مع الله إلهًا آخر ﴾	١٩٧	١٢٧
النمل	﴿ وورث سليمان داود... ﴾	٢١٣	١٦٠،١٦١
	﴿ وأوتينا العلم من قبلها ... ﴾	١٦	٥٥
	﴿ وأسلمت مع سليمان ... ﴾	٤٢	٥٥
	﴿ فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم... ﴾	٤٤	١٥٩

السورة	طرف الآية	رقمها	الصفحة
	﴿إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر	٥٦	
	الذي هم فيه يختلفون﴾		٢١٦
النمل	﴿وإنه لهدى ورحمة للمؤمنين﴾	٧٦	١١٦
	﴿وإن ربك يقضي بينهم بحكمه...﴾	٧٧	١١٦، ١١٧
	﴿فتوكل على الله إنك على الحق المبين﴾	٧٨	١١٧
	﴿نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون	٧٩	
	بالحق...﴾		٢٨٣
القصص	﴿إن فرعون علا في الأرض...﴾	٣	٢٨٣
	﴿ونريد أن نمن على الذين استضعفوا...﴾	٤	٢٨٣
	﴿ونمكن لهم في الأرض...﴾	٥	٢٨٣
	﴿وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى	٦	
	موسى الأمر...﴾		١٩٢
	﴿الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به	٤٤	٥٦، ١٩٥،
	يؤمنون﴾	٥٢	٣٢٩
	﴿وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به...﴾		٥٦، ١٩٥،
		٥٣	٣٢٩
	﴿إنك لا تهدي من أحببت...﴾		٥٩
	﴿قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ	٥٦	
	الخلق...﴾		٦٦
العنكبوت	﴿وإلى مدين أخاهم شعيبًا...﴾	٢٠	٤١
	﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي	٢٦	
	أحسن...﴾		٧٨، ٣٣١

السورة	طرف الآية	رقمها	الصفحة
العنكبوت	﴿وما كنت تتلو من قبله من كتاب...﴾	٤٦	١٨٩
	﴿وقالوا لولا أنزل عليه آية من ربه...﴾	٤٨	٢٠٨
	﴿أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب...﴾	٥٠	٢٠٨
الروم	﴿غلبت الروم﴾	٥١	١٩٣
	﴿في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون﴾	٢	١٩٣
	﴿في بضع سنين...﴾	٣	١٩٣
	﴿بنصر الله ينصر من يشاء...﴾	٤	١٩٣
	﴿وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾	٥	١٩٣
	﴿فاقم وجهك للدين حنيفًا...﴾	٦	٦٢
الأحزاب	﴿وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح...﴾	٣٠	٣٤
	﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم...﴾	٧	٢٠٤
	﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً﴾	٤٠	٢٠٧،٢٠٤
	﴿وداعيًا إلى الله بإذنه...﴾	٤٥	٢٠٧،٢٠٤
	﴿يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا...﴾	٤٦	١٦١
	﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً...﴾	٦٩	٢٥٢،٢٠٣
سبأ	﴿ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون...﴾	٢٨	١٥٧

الصفحة	رقمها	طـــــرف الآيـــة	السورة
٤٧	٧٥	﴿وإن إلياس لمن المرسلين ...﴾	
١٦٠	١٢٣-١٢٦	﴿واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه آواب﴾	الصافات
٧	١٧	﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون...﴾	الصافات ص
٤٦	٩	﴿وقال رجل مؤمن من آل فرعون ...﴾	الزمر
٥٦	٢٨	﴿وأمرت أن أكون أول المسلمين﴾	
١٢١،٢٩	٦٦	﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾	غافر
٣٥،٣٤	١١	﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحًا...﴾	
١٨٩	١٣	﴿وكذلك أوحينا إليك روحًا من أمرنا...﴾	الشورى
٣٣	٥٢	﴿واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا...﴾	
٣٥	٤٥	﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة...﴾	
١٩٠	٢٢	﴿ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون...﴾	الزخرف
١٤١	٥٨	﴿إن هو إلا عبد أنعمنا عليه...﴾	
٢٧٦	٥٩	﴿ولقد نجينا بني إسرائيل من العذاب المهين...﴾	
٢٧٦	٣٠	﴿من فرعون إنه كان عاليًا من المسرفين...﴾	الدخان
٢٧٤	٣١	﴿ولقد اخترناهم على علم على العالمين...﴾	
٢٧٤	٣٢	﴿وآتيناهم من الآيات...﴾	
٦٦	٣٣	﴿إن في السماوات والأرض لآيات ...﴾	
٦٦	٣	﴿وفي خلقكم ...﴾	
٦٦	٤	﴿واختلاف الليل والنهار ...﴾	

السورة	طرف الآية	رقمها	الصفحة
الجاثية	﴿قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به...﴾	٥	١٩٥
الأحقاف	﴿فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل...﴾	١٠	١٥٧
	﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم...﴾	٣٥	٢٠٣،٢٠٧
الفتح	﴿ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما...﴾	٢٨	١١٦
ق	﴿هل أتاك حديث ضيف إبراهيم ...﴾	٣٨	١١٧
	﴿فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين﴾	٢٤-٢٨	٥٤
الذاريات	﴿فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين﴾	٣٥	٥٤
	﴿وما ينطق عن الهوى﴾	٣٦	١٩١
	﴿إن هو إلا وحي يوحى﴾	٣	١٩١
النجم	﴿اقتربت الساعة وانشق القمر﴾	٤	٢٢٢
	﴿وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر﴾	١	١٣٠
القمر	﴿ثم قفينا على آثارهم برسلنا ...﴾	٥٠	٣٢٤
الحديد	﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين...﴾	٢٧	٣٣٧
الممتحنة	﴿وإذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني﴾	٨	١٦٢
الصف	﴿وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم...﴾	٥	١٧٨،٢٤٢
	﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم...﴾	٦	٢٦٥
	﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله...﴾	٨	٢٣،٣١٣

مسلسل	طرف الآية	رقمها	الصفحة
	﴿ مثل الذين حملوا التوراة ثم لم	١٤	
	يحملوها... ﴾		٢١٦
الجمعة	﴿ قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم	٥	
	أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت... ﴾		٢٨٧
	﴿ ولا يتمنونه أبداً بما قدمت أيديهم... ﴾	٦	٢٨٧
	﴿ قل إن الموت الذي تفرون منه... ﴾	٧	٢٨٧
	﴿ ومريم ابنة عمران التي أحصنت	٨	
	فرجها... ﴾		٣٠٨
التحريم	﴿ إنه لقول رسول كريم ﴾	١٢	٢٤٠
	﴿ وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون ﴾	٤٠	٢٤٠
الحاقة	﴿ ولا بقول كاهن قليلاً ما تذكرون ﴾	٤١	٢٤٠
	﴿ تنزيل من رب العالمين ﴾	٤٢	٢٤٠
	﴿ إنا أرسلنا نوحا إلى قومه... ﴾	٤٣	٣٧
	﴿ قال يا قوم إني لكم نذير مبين ﴾	١	٣٧
نوح	﴿ أن اعبدوا الله واتقوه... ﴾	٢	٣٧
	﴿ قال رب إني دعوت قومي ليلاً ونهاراً... ﴾	٣	١٥٧
	﴿ وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون ... ﴾	٥ – ٧	٥٦
	﴿ إنا أرسلنا إليكم رسولاً شاهداً عليكم كما	١٤	
الجن	أرسلنا إلى فرعون رسولاً... ﴾		٢٣٥
المزمل	﴿ فإذا النجوم طمست ﴾	١٥ – ١٦	٨٦
	﴿ إن هذا لفي الصحف الأولى ﴾	٨	٢٠٩
المرسلات	﴿ صحف إبراهيم وموسى ﴾	١٨	٢٠٩

مسلسل	طـــــرف الآيـــة	رقمها	الصفحة
الأعلى	﴿والتين والزيتون﴾	١٩	٢٢٧
	﴿وطور سنين﴾	١	٢٢٧
التين	﴿وهذا البلد الأمين﴾	٢	٢٢٧
	﴿إن الذين كفروا من أهل الكتاب ...﴾	٣	٨٦
	﴿قل هو الله أحد﴾	٦	١٤٢
البينة	﴿الله الصمد﴾	١	١٤٢
الإخلاص	﴿لم يلد ولم يولد﴾	٢	١٠٦،١٤٢
	﴿ولم يكن له كفواً أحد﴾	٣	١٠٦،١٤٢

فهرس الأحاديث النبوية[١]

مسلسل	طـــــــرف الحديث	الصفحة
	« العلماء ورثة الأنبياء والأنبياء لم يورثوا درهمًا ولا ديناراً وإنما ورثوا العلم »	٧
١	« أنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الأولى والآخرة . . . »	٥٧
٢	« إنما مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتًا فأحسنه وأجمله . . . »	٥٨، ٢٤٠
٣	« ما من مولود إلا ويولد على الفطرة . . . »	٦٤
٤ ٥	« قال عدي بن حاتم : أتيت النبي ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب، فقال : يا عدي اطرح عنك هذا الوثن . . . »	٦٩، ٧٠
	« لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم . . . »	٨٠
	« أحب الصيام إلى الله صيام داود . . . »	١٦٠
٦ ٧	« كان بنو إسرائيل يغتسلون عراة، ينظر بعضهم إلى سوأة بعض . . . »	١٦١، ١٦٢
٨	« ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين . . . »	١٧٧
٩	« أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحى بي الكفر . . . »	١٧٨
١٠	« قد مات كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده . . . »	١٩٤

(١) رَتَّبْتُ الأحاديث على حسب ورودها في البحث، واكتفيت بكتابة طرف الحديث إلا إذا كان قصيرًا أكملته.

مسلسل	طــــــرف الحديث	الصفحة
١١	« أن رسول الله ﷺ نعى للناس النجاشي في اليوم الذي مات فيه. . . »	١٩٨
١٢	« أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد قبلي. . . . »	٢٠٣،٢٠٤
١٣	« ما من نبي من الأنبياء إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر. . . »	٢٠٨
١٤	« مُرّ على رسول الله بيهودي محممًا مجلودًا. . . »	٢٢٨
١٥	« عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال : قرأت في التوراة صفة النبي ﷺ . . . »	٢٣٠
١٦	« عن عبدالله بن مسعود قال : « بينما أنا أمشي مع النبي ﷺ في حرث وهو متكئ على عسيب. . . »	٢٥٥
١٧	« عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال : « إن اليهود بعد أن سألوا النبي ﷺ أسئلة أجابهم عنها، قالوا له : صدقت فحدثنا من وليك من الملائكة فعندها نجامعك أو نفارقك. . . »	٢٥٧
١٨	« قيل لبني إسرائيل : ادخلوا الباب سجدًا وقولوا حطة فبدلوا ودخلوا يزحفون على أستاهم، وقالوا : حبة في شعيرة »	٢٨٠
١٩	« أنزلت المائدة من السماء خبزًا وطمًا. . . »	٣١٥
٢٠	« خير نسائها مريم بنت عمران. . . »	٣٠٦
٢١	« كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء غير مريم . . . »	٣٠٦

مسلسل	طرف الحديث	الصفحة
٢٢	«أن النبي كان يسدل شعره، وكان المشركون يفرقون رءوسهم...»	٣٢٨
٢٣	«اشترى رسول الله ﷺ من يهودي طعامًا ...»	٣٣٨
٢٤	«عن عائشة – رضي الله عنها – قالت : توفي رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة...»	٣٣٨
٢٥	«فإن قبلوا عقدة الذمة فأعلمهم ...»	٣٣٩
	«من آذى ذميًا فأنا خصمه ...»	٣٣٩

فهـــرس المراجـــع والمصـــادر(١)

١ - **القرآن الكريم** جلَّ من أنزله.
٢ - **أبحاث في الفكر اليهودي** للدكتور حسن ظاظا، دار القلم، دمشق طبع ونشر دار العلوم، ط الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
٣ - **الاتقان في علوم القرآن** للإمام السيوطي، ط المكتبة الثقافية، بيروت - لبنان، سنة ١٩٧٣م.
٤ - **الأجوبة الفاخرة في الرد عن الأسئلة الفاجرة** للإمام القرافي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط الأولى، سنة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
٥ - **أحكام أهل الذمة** للإمام ابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط الأولى، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.
٦ - **الأحكام السلطانية** للقاضي أبي يعلى الفراء الحنبلي، تحقيق : محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
٧ - **أدلة اليقين في الرد على كتاب ميزان الحق** للشيخ عبدالرحمن الجزيري، مطبعة الإرشاد، القاهرة، ط الأولى، ١٣٥٣هـ-١٩٣٤م.
٨ - **الأديان في كفة الميزان** للدكتور محمد فؤاد الهاشمي، مطابع الطناني، القاهرة، دار الحرية، سنة ١٩٨٦م.
٩ - **الأديان والإنسان** لخليل مطران، دار الفكر والفن، سنة ١٩٨٦م.
١٠- **أساس البلاغة** لجار الله الزمخشري.
١١- **أساليب الاستفهام في القرآن** لعبدالعليم السيد فودة، المجلس الأعلى لرعاية القوى والآداب والعلوم الاجتماعية.
١٢- **أسباب النزول** للإمام الواحدي النيسابوري، مطبعة البابي الحلبي، ط الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
١٣- **أسد الغابة في معرفة الصحابة** لابن الأثير، ط طهران سنة ١٣٣٤هـ.
١٤- **إسرائيل فتنة الأجيال في العصور القديمة** للأستاذ إبراهيم خليل أحمد، مكتبة الوعي العربي، القاهرة، سنة ١٩٦٩م.
١٥- **إسرائيل والتلمود دراسة تحليلية** للأستاذ إبراهيم خليل أحمد، ط دار الجيل، القاهرة، سنة ١٩٨٣م.
١٦- **الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام** للدكتور علي عبدالواحد وافي، ط نهضة مصر.
١٧- **أسلوب الدعوة القرآنية - بلاغة ومنهاجًا** للدكتور عبدالغني سعيد بركة، مكتبة وهبة،

(١) مراجع ومصادر البحث رتبت حسب الترتيب الأبجدي.

القاهرة، ط الأولى، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
١٨- **الإسلام وحاجة الإنسانية إليه** للدكتور محمد يوسف موسى، مكتبة الفلاح، الكويت.
١٩- **الإسلام** للدكتور أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط الثانية، ١٩٨٥م.
٢٠- **الإسلام والأديان الأخرى نقاط الاتفاق والاختلاف** للواء أحمد عبدالوهاب، دار الجيل للطباعة، القاهرة، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، ١٩٩٢م.
٢١- **الإسلام والنصرانية** لشيخ الإسلام ابن تيمية.
٢٢- **الإسلام** لسعيد حوي، مطابع دار التراث العربي، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٧٧م.
٢٣- **الإسلام وأهل الذمة** للدكتور على حسن الخاربوطلي، لجنة التعريف بالإسلام، يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، الكتاب ٤٩، سنة ١٩٦٩م.
٢٤- **الإسلام دعوة الحق** للدكتور السيد رزق الطويل، المطبعة العربية الحديثة، القاهرة، نشر المؤسسة العربية للطبع والنشر.
٢٥- **الإصابة في تمييز الصحابة** لابن حجر العسقلاني، ط البابي الحلبي، القاهرة سنة ١٣٢٣هـ.
٢٦- **أضواء على الاستشراق والمستشرقين** للدكتور محمد أحمد دياب، دار المنار للنشر والطبع، القاهرة، ط الأولى، ١٩٨٩م.
٢٧- **أضواء على متشابهات القرآن** لخليل ياسين، بيروت - لبنان، سنة ١٩٦٩م - ١٣٨٨هـ.
٢٨- **إعجاز القرآن** للإمام الباقلاني، تحقيق : السيد صقر، ط دار المعارف بمصر.
٢٩- **إعجاز القرآن (الإعجاز في دراسات السابقين)** لعبدالكريم الخطيب، دار الفكر العربي، ط الأولى، ١٩٧٤م.
٣٠- **إعجاز القرآن في حواس الإنسان في ضوء الطب وعلوم القرآن والحديث** للدكتور محمد كمال عبدالعزيز، مكتبة القرآن، القاهرة، ١٩٨٧م.
٣١- **الإعجاز الفني في القرآن** لعمر السلامي، توزيع مؤسسات عبدالكريم بن عبد الله.
٣٢- **الأعلام** لخير الدين الزركلي، ط الثالثة.
٣٣- **الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، وإظهار محاسن دين الإسلام** للإمام القرطبي، تحقيق: دكتور أحمد حجازي السقا، دار التراث العربي، القاهرة.
٣٤- **الإعلام في القرآن** للدكتور عبدالقادر حاتم، دار ابن قتيبة للطباعة والنشر، دمشق.
٣٥- **إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان** لابن القيم الجوزية، دار الكتب العلمية.
٣٦- **الله والإنسان المعاصر** للدكتور عبدالغني عبود، دار الفكر العربي، ط الثانية ١٩٨١م.
٣٧- **الله في العقيدة الإسلامية** لأحمد بهجت، ط المختار الإسلامي، القاهرة، ١٩٧٩م.
٣٨- **الأمثال، والمثل، والتمثل، والمثلات في القرآن الكريم** لسميح عاطف الزين، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
٣٩- **أنبياء الله** لأحمد بهجت، ط دار الشروق، القاهرة، ط الرابعة عشر، ١٤٠٧هـ.
٤٠- **إنجيل برنابا** ترجمة دكتور خليل سعادة، دار الفتح للإعلام العربي، القاهرة.
٤١- **إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم** للدكتور حسن عز الدين الجمل، مطابع دار الشعب، سنة ١٩٨٣م.

٤١- **أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم** للدكتور عبد الله شحاتة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط الثانية، ١٩٨١م.
٤٢- **أوربا والإسلام** للدكتور عبدالحليم محمود، مطابع الأهرام التجارية، ١٩٧٣م.
٤٤- **الإيمان، أركانه - حقيقته - نواقضه** للدكتور محمد نعيم ياسين، مكتبة الراشدين، القاهرة.
٤٥- **الإيمان** للدكتور محمد عبدالله الشرقاوي، مكتبة الزهراء، القاهرة، ط أولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
٤٦- **الإيمان** لأبي حفص عمر بن عبدالعزيز.
٤٧- **الباركليت الروح القدس في حياة الناس** لمتى المسكين ط١٩٧٣، بمصر.
٤٨- **بدائع الصنائع للإمام الكاساني**، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
٤٩- **البداية والنهاية** للإمام الحافظ ابن كثير، تحقيق : أحمد عبدالوهاب فتيح، دار الحديث، القاهرة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
٥٠- **البشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل** للدكتور أحمد حجازي السقا، دار البيان العربي، القاهرة، ١٩٧٧م.
٥١- **بنو إسرائيل في القرآن والسنة** للدكتور محمد سيد طنطاوي، ط الزهراء للإعلام العربي.
٥٢- **بنو إسرائيل بين نبأ القرآن الكريم وخبر العهد القديم** لصابر عبدالرحمن طعيمة، بيروت - لبنان، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
٥٣- **بيركليت اسم نبي الإسلام في إنجيل عيسى عليه السلام** للدكتور أحمد حجازي السقا، مكتبة المطيعي، ط الثانية، ١٩٨٨م.
٥٤- **بين الإسلام والمسيحية** لأبي عبيدة الخزرجي، تحقيق : الدكتور محمد شامة، ط دار التوفيق النموذجية، نشر مكتبة وهبة.
٥٥- **تاريخ الرسل والملوك** للإمام ابن جرير الطبري، دار المعارف، ط الثانية.
٥٦- **تاريخ الإسلام** للدكتور حسن إبراهيم، مكتبة النهضة المصرية، ط التاسعة، ١٩٧٩م.
٥٧- **تاريخ الأنبياء في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية** للدكتور محمد الطيب النجار، دار الاعتصام ١٩٧٩م.
٥٨- **تاريخ الجاهلية** للدكتور عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٤م.
٥٩- **تاريخ الدعوة إلى الله بين الأمس واليوم** لآدم عبدالله الالوري، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط الثالثة، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
٦٠- **تاريخ العرب قبل الإسلام** للدكتور جواد علي، ط دار العلم للملايين، مكتبة نهضة بغداد.
٦١- **التاريخ العربي الإسلامي** لعباس محمود الشريف ويوسف أحمد القوصي، ط١٩٧٥م، القاهرة.
٦٢- **التبيان في تفسير القرآن** للشيخ الطوسي، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، ١٩٦٤م - ١٣٨٣هـ.
٦٣- **تحت لواء القرآن** لفتحي عبدالفضيل بن علي، المطبعة الإسلامية بالقاهرة، ١٤٠٦هـ.

٦٤- **تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب** لاسلم تورميدا أو عبدالله الترجمان، تحقيق: الدكتور محمود علي حماية، ط دار المعارف، ١٩٩٢م.
٦٥- **تذكرة الدعاة** للشيخ البهي الخولي، دار القلم، دمشق - بيروت، ودار الفلاح، الكويت، ط الخامسة.
٦٦- **التسهيل لعلوم التنزيل** لمحمد بن أحمد جزي الكلبي، دار الفكر.
٦٧- **الترغيب والترهيب** للمنذري، دار التراث، القاهرة.
٦٨- **التصوير الفني في القرآن** للأستاذ سيد قطب، دار الشروق، ط الحادية عشرة، القاهرة، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
٦٩- **التصوير القرآني للمجتمع** للدكتور صلاح الفوال، دار الفكر العربي، القاهرة.
٧٠- **التعريفات** للشريف الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
٧١- **تفسير ابن جرير المسمى جامع البيان عن تأويل آي القرآن** لابن جرير الطبري، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، وطبعة دار المعارف، وطبعة عيسى البابي الحلبي.
٧٢- **تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن** للإمام القرطبي، ط دار الغد العربي، ط الأولى، ١٤٠٩هـ.
٧٣- **تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معان التنزيل** للخازن، ط مصطفى البابي الحلبي بمصر، ط الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م.
٧٤- **تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم** لابي السعود، مطبعة عبدالرحمن محمد، نشر دار المصحف، القاهرة.
٧٥- **التفسير الكبير المسمى بالبحر المحيط** لابي حيان، مطابع النصر الحديثة، الرياض.
٧٦- **تفسير النسفي المسمى مدارك التنزيل وحقائق التأويل** للإمام النسفي، دار إحياء الكتب العربية.
٧٧- **تفسير التحرير والتنوير** للشيخ محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.
٧٨- **التفسير القرآني للقرآن** للأستاذ عبدالكريم الخطيب، طبع ونشر دار الفكر العربي.
٧٩- **التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن** للأستاذ حنفي أحمد، ط دار المعارف، ط الثالثة ١٩٨٠م.
٨٠- **تفسير المنار المسمى بتفسير القرآن الحكيم** للأستاذ محمد رشيد رضا، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٨١- **التفسير الموضوعي لآيات التوحيد في القرآن الكريم** للدكتور عبدالعزيز الدردير، مطبعة رفاعي، القاهرة، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
٨٢- **التفسير الواضح** للدكتور أحمد محمود حجازي، ط السادسة، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.
٨٣- **التفسير الوسيط للقرآن الكريم** تاليف لجنة من العلماء، بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الحزب الثامن عشر، ط الأولى ١٤٠٠هـ - ١٩٧٢م.
٨٤- **التفسير الوسيط للقرآن الكريم** للدكتور محمد سيد طنطاوي، ط دار المعارف.
٨٥- **تنقيح الأبحاث للملل الثلاث، اليهودية. المسيحية. الإسلام** لابن كمونة اليهودي، توزيع دار الأنصار، القاهرة.

٨٦- **التوراة - العقل. العلم. التاريخ** للدكتور بدران محمد بدران، دار الأنصار القاهرة، ط الأولى ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م.
٨٧- **الجانب العاطفي من الإسلام** للشيخ محمد الغزالي، ط ونشر دار الدعوة الإسكندرية، ط الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٠م.
٨٨- **جذور البلاء** لعبدالله التل، المكتب الإسلامي، بيروت، ط الثانية، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
٨٩- **الجهاد والنصر** للدكتور عبدالحليم محمود، دار الكتاب العربي للنشر، القاهرة، ١٩٦٨م.
٩٠- **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح** لشيخ الإسلام ابن تيمية، مؤسسة محمد على صبيح المدني، القاهرة.
٩١- **الجواهر في تفسير القرآن الكريم** للشيخ طنطاوي جوهري، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، ط الثانية، ١٣٠٥هـ.
٩٢- **جوامع الجامع في تفسير القرآن** للطبرسي، ط دار الاضواء، بيروت - لبنان، ط الأولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
٩٣- **خاتم النبيين ﷺ** للشيخ محمد أبو زهرة، ط دار الفكر العربي.
٩٤- **الخالدون مائة أعظمهم محمد رسول الله** لمايكل هارت، أنيس منصور، المكتب المصري الحديث، ط الخامسة، ١٩٨٤م.
٩٥- **الخصائص العامة للإسلام** للدكتور يوسف القرضاوي، بيروت - لبنان، مؤسسة الرسالة، ط الثانية، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣.
٩٦- **خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية** لعبد الله التل، نشر دار القلم، القاهرة، ط الثانية.
٩٧- **دراسات في النفس الإنسانية** للأستاذ محمد قطب، دار الشروق، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.
٩٨- **دراسات لأسلوب القرآن** لمحمد عبد الخالق عضيمة، مطبعة السعادة، ط الأولى، سنة ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.
٩٩- **دراسات في الكتاب المقدس** للدكتورمحمود علي حماية.
١٠٠- **دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة** للدكتور موريس بوكاى، الفتح للإعلام العربي، القاهرة.
١٠١- **دراسة في الأناجيل الأربعة والتوراة** لمحمد السعدي، دار الثقافة، قطر، ١٩٨٥م.
١٠٢- **دعوة الرسل إلى الله تعالى** لمحمد أحمد العدوي، طبع ونشر مكتبة ابن تيمية، القاهرة.
١٠٣- **دعوة التوحيد أصولها. الأدوار التي مرت بها. مشاهير دعاتها** للدكتور محمد خليل هراس، ط دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
١٠٤- **الدعوة إلى الإسلام بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية** لسير توماس أرنولد، ترجمة : الدكتور حسن إبراهيم حسن، والدكتور عبد الحميد عابدين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.
١٠٥- **الدعوة الإسلامية دعوة عالمية** للدكتور محمد الراوي، الدار القومية للطباعة والنشر.
١٠٦- **الدعوة إلى الإسلام** لابي بكر ذكري، مطبعة المدني، نشر مكتبة العروبة، القاهرة.

١٠٧- **الدعوة الإسلامية - أصولها ووسائلها** للدكتور أحمد غلوش، نهضة مصر، نشر دار الكتاب المصري، القاهرة، ١٩٧٩م.
١٠٨- **الدعوة الإسلامية ودعاتها** للدكتور محمد طلعت أبو صير، مطبوعات ونشر الوعظ الديني للجمعية الشرعية الرئيسية القاهرة، ١٤٠٦هـ.
١٠٩- **الدعوة إلى الرحمن في ضوء سورة الفرقان** للدكتور أحمد محمود مبارك، مطبعة الأمانة، القاهرة، ط الأولى، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.
١١٠- **الدعوة قواعد وأصول** لجمعة أمين جمعة، دار الدعوة للطبع والنشر، الإسكندرية، ط الثانية ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
١١١- **الدولة اليهودية** لتيودور هرتزل، ترجمة : محمد يوسف عدس، دراسة : عادل حسن غنيم، الناشر دار الزهراء، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
١١٢- **دلائل التوحيد** للشيخ جمال الدين القاسمي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مطبعة المدني، ط الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
١١٣- **دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة** للإمام البيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط الأولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
١١٤- **الدين (بحوث ممهدة لدراسة الأديان)** للدكتور محمد عبد الله دراز، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.
١١٥- **الدين المقارن (بحث في سائر الديانات العالمية)** لمحمود أبو الفيضي المنوفي الحسيني، ط نهضة مصر.
١١٦- **الدين العالمي ومنهج الدعوة إليه** للشيخ عطية صقر، طبع مجمع البحوث الإسلامية، سنة ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.
١١٧- **الدين والسياسة في الأديان الثلاثة** للدكتور عبد الغفار عزيز، الحقيقة للإعلام الدولي، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
١١٨- **رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده**، تحقيق : محمود أبو رية، ط دار المعارف، ط الثالثة.
١١٩- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني** للإمام الألوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط الرابعة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
١٢٠- **سبيل الرشاد في الدعوة والإرشاد** للدكتور محمود علي حماية، ط الأولى ١٤١٢هـ.
١٢١- **السبيل إلى دعوة الحق والقائم بأمرها** للدكتور محمد البهي، مطابع الأزهر. سلسلة البحوث الإسلامية، السنة ٢٢، الكتاب الأول، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.
١٢٢- **سنن أبو داود** لأبي داود، ط دار إحياء التراث العربي.
١٢٣- **سنن الترمذي** تحقيق : محمد شاكر، ط مصطفى البابي الحلبي، ط الثانية، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
١٢٤- **السنة النبوية في شئون الحياة** لمحمد عزة دروزة، ط عيسى البابي الحلبي.
١٢٥- **سيرة الرسول ﷺ** للأستاذ محمد عزة دروزة، ط المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.
١٢٦- **السيرة النبوية** لابن هشام، تحقيق : الدكتور محمد خليل هراس، مكتبة زهران، القاهرة.
١٢٧- **السيرة النبوية** للشيخ أبي الحسن الندوي منشورات المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

١٢٨- **شبهات النصارى وحجج الإسلام** لمحمد رشيد رضا، ط الثانية، ١٣٦٧هـ.
١٢٩- **شرح فتح القدير** لابن الهمام الحنفي، مطبعة مصطفى محمد، المكتبة التجارية الكبرى.
١٣٠- **الشفا بتعريف حقوق المصطفى** للقاضي عياض، دار الفكر، بيروت - لبنان.
١٣١- **صحيح البخاري** للإمام البخاري، ط دار مطابع الشعب، ١٣٧٩هـ. وط دار إحياء الكتب العلمية.
١٣٢- **صحيح مسلم بشرح النووي** للإمام مسلم، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
١٣٣- **صفوة التفاسير** للأستاذ محمد علي الصابوني، مكتبة الغزالي، دمشق.
١٣٤- **صور من حياة الرسول** لأمين دويدار، ط دار المعارف.
١٣٥- **ضحى الإسلام** للدكتور أحمد أمين، نشر النهضة المصرية، القاهرة، ط التاسعة ١٩٧٧م.
١٣- **الطبقات الكبرى** لابن سعد، دار صادر، بيروت.
١٣٧- **الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث** للإمام البيهقي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط الأولى ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
١٣٨- **عصمة التوراة والإنجيل** لإسكندر جديد، ط مركز الشبيبة، بيروت - لبنان.
١٣٩- **عصمة الأنبياء** للفخر الرازي، مراجعة: محمد مختار، مطبعة المدني، القاهرة.
١٤٠- **عقائد أساسية مدخل في علم اللاهوت (الله)** للدكتور دونالد ديماري، ترجمة: شاكر إبراهيم سعيد، ط كوستاتسوماس، القاهرة، مكتبة النيل المسيحية.
١٤١- **العقائد الإسلامية** للشيخ سيد سابق، دار الكتاب العربي اللبناني.
١٤٢- **عقيدة المسلمين والرد على الملحدين والمبتدعين** لصالح بن إبراهيم البليهي، ط الثانية، ١٤٠٤هـ.
١٤٣- **عقيدة المؤمن** للشيخ أبو بكر الجزائري، دار الكتب السلفية، القاهرة، نشر مكتبة الدعوة، ١٤٠٥هـ.
١٤٤- **عقيدة الصلب والفداء** للأستاذ محمد رشيد رضا، الفتح للإعلام العربي، القاهرة، ١٩٩١م - ١٤١١هـ.
١٤٥- **العهود والمواثيق في الإسلام** وزارة الأوقاف، القطاع الديني، الإدارة المركزية لشئون الدعوة.
١٤٦- **العلاقات الدولية في الإسلام** لرمضان بن زير، الدار الجماهيرية، ط الأولى ١٩٨٩م.
١٤٧- **غرائب القرآن ورغائب الفرقان** للإمام النيسابوري، مصطفى البابي الحلبي، ط الأولى، ١٣٨١هـ - ١٩٦٢م.
١٤٨- **الفارق بين المخلوق والخالق** لعبدالرحمن باجي جي زادة، تحقيق: الدكتور أحمد حجازي السقا، شركة الأمل للطباعة والنشر، القاهرة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
١٤٩- **فتح القدير بين فني الرواية والدراية في علم التفسير** للإمام الشوكاني، دار الفكر العربي، بيروت - لبنان، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
١٥٠- **فتح الباري شرح صحيح البخاري** لابن حجر العسقلاني.
١٥١- **فتح البيان في مقاصد القرآن** لصديق خان، مطبعة العاصمة، القاهرة، دار الأنصار، سنة ١٩٦٥م.

١٥٢- **الفتوحات الإلهية** للإمام الجمل، دار إحياء الكتب العربية، وط عيسى البابي الحلبي.
١٥٣- **الفتوحات المكية** لمحيي الدين بن عربي، الهيئة العامة للكتاب.
١٥٤- **فتوح البلدان** للبلاذري، دار النشر للجامعيين، بيروت - لبنان ١٩٥٧م.
١٥٥- **الفصل في الملل والأهواء والنحل** لابن حزم الاندلسي، تحقيق: الدكتور محمد إبراهيم نصر، والدكتور عبدالرحمن عميرة، مكتبة عكاظ السعودية، ط الأولى، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.
١٥٦- **فقه السيرة** للشيخ محمد الغزالي، دار الريان للتراث، ط الأولى، ١٤٠٧هـ- ١٩٨١م.
١٥٧- **فقه السيرة** للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر للطباعة، ط الثامنة، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م.
١٥٨- **فقه السنة** للشيخ سيد سابق، الفتح للإعلام العربي، ط العاشرة، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م.
١٥٩- **فقه الدعوة إلى الله** للدكتور علي عبدالحليم محمود، دار الوفاء للطباعة والنشر، ط الثانية، ١٤١١هـ- ١٩٩٠م.
١٦٠- **في ظلال القرآن** للأستاذ سيد قطب، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط السابعة ١٣٩١ هـ- ١٩٧١م.
١٦١- **قاموس الكتاب المقدس** للدكتور بطرس عبدالملك وآخرين، دار الكتاب المقدس ١٩٤٧م، وط منشورات مكتبة المشعل في بيروت، ط السادسة ١٩٨١م.
١٦٢- **القاموس المحيط** للفيروز آبادي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، و ط مصطفى البابي الحلبي، ط الثانية ١٣٧١هـ.
١٦٣- **اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم** لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ط الثانية.
١٦٤- **القصص الرمزي في القرآن الكريم** لأحمد محمد جمال، ط الثانية، سنة ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م.
١٦٥- **قصص القرآن** لمحمد جاد المولى وآخرين، دار التراث القاهرة، ط الثالثة عشر، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٤م.
١٦٦- **الكامل في التاريخ** لابن الأثير، دار صادر، بيروت.
١٦٧- **كتاب الخراج** للقاضي أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان.
١٦٨- **الكتاب المقدس** دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط.
١٦٩- **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الشهير بتفسير الكشاف** جار الله الزمخشري، ط البابي الحلبي بمصر، ط الأخيرة.
١٧٠- **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال** مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.
١٧١- **الكنز المرصود في فضائح التلمود** للدكتور محمد عبدالله الشرقاوي، مكتبة الوعي الإسلامي، ١٩٩٠م.
١٧٢- **لسان العرب** لابن منظور، ط دار المعارف.
١٧٣- **ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين** للشيخ أبي الحسن الندوي، دار الأنصار للطباعة والنشر، ط العاشرة، ١٣٩٣هـ- ١٩٧٧م.

١٧٤- **المجتمع الإسلامي والعلاقات الدولية** للدكتور محمد الصادق عفيفي، مكتبة الخانجي، القاهرة.
١٧٥- **المجتمع اليهودي** لزكي شنودة.
١٧٦- **مجلة الأزهر** السنة ٦٢، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٩م.
١٧٧- **مجلة الأزهر** السنة ٥١، ١٣٩٩هـ - ١٩٨٩م.
١٧٨- **مجلة العربي الكويتية** عدد ٤٤٦، السنة ٣٩، يناير ١٩٦٩م.
١٧٩- **مجلة كلية أصول الدين والدعوة** بأسيوط، العدد الثامن، مطبعة دار البيان، القاهرة، سنة ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
١٨٠- **مجلة منار الإسلام** الإماراتية العدد ٣، السنة ٢١، عام ١٩٩٥م.
١٨١- **مجلة الوعي الإسلامي** الكويتية العدد ١٢٥، السنة ١١.
١٨٢- **مجلة الوعي الإسلامي** الكويتية العدد ٣٦٣، السنة ٣٢، سنة ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
١٨٣- **مجلة منار الإسلام** الإماراتية العدد الأول، السنة ٢٠.
١٨٤- **مجمع البيان في تفسير القرآن** لابي علي الفضل بن الحسن الطبرسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.
١٨٥- **محاسن التأويل** للشيخ جمال الدين القاسمي، ط البابي الحلبي وشركاه.
١٨٦- **محاضرات في مقارنة الأديان** للأستاذ إبراهيم خليل أحمد، دار المنار.
١٨٧- **المحاور الخمسة للقرآن الكريم** للشيخ محمد الغزالي، دار الوفاء، القاهرة، نشر دار الصحوة، ط الرابعة ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
١٨٨- **محمد الرسالة والرسول** لنظمي لوقا، طبع دار الكتب الحديثة، القاهرة، ط الثانية، ١٩٥٩م.
١٨٩- **محمد رسول الله** لمولاي محمد علي، ترجمة : مصطفى فهمي وعبدالحميد جودة السحار، مكتبة مصر، دار مصر للطباعة، سنة ١٩٧٨م.
١٩٠- **محمد رسول الله في القرآن** للاستاذ حسن كامل الملطاوي، ط دار المعارف.
١٩١- **محمد المثل الكامل** لاحمد جاد المولى، تحقيق : عبدالرحيم مارديني، مكتبة دار المحبة، ط الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.
١٩٢- **محمد في التوراة والإنجيل والقرآن** لإبراهيم خليل أحمد، دار المنار، القاهرة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
١٩٣- **محمد نبي الإسلام في التوراة والإنجيل والقرآن** للمستشار محمد عزت الطهطاوي، مكتبة النور، ط الثانية ١٩٨٦م.
١٩٤- **مختار الصحاح** ترتيب : محمود خاطر، مطبعة الأميرية بالقاهرة، ١٣٤٥هـ.
١٩٥- **مختار القاموس** للطاهر أحمد الزاوي الطرابلسي، ط الأولى، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م.
١٩٦- **المختار من تفسير القرآن** الشيخ محمد متولي الشعراوي، ط دار الجيل، القاهرة، نشر مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة.
١٩٧- **مختصر تفسير ابن كثير**، اختصار وتحقيق : محمد علي الصابوني، دار التراث العربي للطباعة والنشر، ١٤٠٧هـ - ١٩٧٨م.

١٩٨- **مختصر تفسير المنار** لمحمد رشيد رضا، المكتب الإسلامي، بيروت - دمشق، ط الأولى ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م.
١٩٩- **مدخل نقدي لدراسة علم الكلام** للدكتور محمد الأنور السنهوتي، دار الثقافة العربية، القاهرة، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
٢٠٠- **مريم والمسيح عليهما السلام** للشيخ محمد متولي الشعراوي، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، سنة ١٩٨٧م.
٢٠١- **المسيا المنتظر نبي الإسلام** للدكتور أحمد حجازي السقا التضامن، نشر مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.
٢٠٢- **المسيح إنسان أم إله** لمحمد مجدي مرجان، دار النهضة العربية.
٢٠٣- **المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل** لعبدالكريم الخطيب، ط دار التاليف، دار الكتب الحديثة، ط الأولى ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥م.
٢٠٤- **المسيح والمسيحية والإسلام** للدكتور عبدالغني عبود، دار الفكر العربي، ط الأولى، سنة ١٩٨٤م.
٢٠٥- **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير** للرافعي، المكتبة العلمية، بيروت - لبنان.
٢٠٦- **المصحف المفسر** لمحمد فريد وجدي، مطابع الشعب، ١٣٧٧هـ.
٢٠٧- **المصطلحات الأربعة في القرآن** لأبي الاعلى المودودي، ط دار التراث العربي.
٢٠٨- **المصطلحات الأربعة بين أبي الأعلى المودودي ومحمد عبده** لعبد المتعال محمد الجبري، دار الاعتصام، القاهرة، ط الثانية، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٢٠٩- **مطلع النور أو طوالع البعثة المحمدية** لعباس محمود العقاد، ط المكتبة العصرية، بيروت - صيدا.
٢١٠- **معاني القرآن** لعبد الرحيم فودة، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر.
٢١١- **معاني القرآن وإعرابه** للزجاج، تحقيق: الدكتور عبدالجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٢١٢- **مع الإنسان في الحرب والسلام** لفتحي رضوان، ط دار المعارف بمصر.
٢١٣- **معترك الأقران في إعجاز القرآن** للإمام السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
٢١٤- **المعجزة الكبرى (القرآن)** للشيخ محمد أبوزهرة، ط دار غريب، القاهرة، نشر دار الفكر العربي.
٢١٥- **معجم الألفاظ والأعلام القرآنية** لمحمد إسماعيل إبراهيم، ط دار الفكر العربي، ط الثانية.
٢١٦- **معجم مقاييس اللغة** لابن فارس، ط البابي الحلبي، ط الثانية، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.
٢١٧- **المعجم الوسيط** الناشر مكتبة الصحوة.
٢١٨- **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم** وضعه محمد فؤاد عبدالباقي، دار الحديث، القاهرة.
٢١٩- **معركة الوجود بين القرآن والتلمود** للدكتور عبدالستار فتح الله سعيد، ط دار الطباعة والنشر الإسلامية، ط الثالثة، ١٤٠٥هـ.
٢٢٠- **المغني** لابن قدامة، دار البصائر للطبع والنشر.

٢٢١- **مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير** لفخر الدين الرازي، ط المطبعة الحسينية المصرية، و ط دار الغد العربي.

٢٢٢- **مفتاح البلاغة** للدكتور محمد محمد خليفة، وعبدالحكيم حسن نعناع، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٢٢٣- **مفحمات الأقران في مبهمات القرآن** للإمام السيوطي، ط المصرية ببولاق.

٢٢٤- **المفردات في غريب القرآن** للاصفهاني، ط البابي الحلبي.

٢٢٥- **مقومات التصور الإسلامي** للأستاذ سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط الأولى، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

٢٢٦- **الملل والنحل** للإمام الشهرستاني، المكتبة العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤١٠هـ- ١١٩٠م.

٢٢٧- **المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل** لأبي الفضل المالكي المسعودي.

٢٢٨- **مناظرة بين الإسلام والنصرانية لمناقشة العقيدة الدينية** بين مجموعه من رجال الفكر من الديانتين الإسلامية والنصرانية. الرياض. المملكة العربية السعودية.

٢٢٩- **من كنوز القرآن** لمحمد السيد الداودي، ط دار المعارف.

٢٣٠- **مناهل العرفان في علوم القرآن** للأستاذ محمد عبد العظيم الزرقاني، ط إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

٢٣١- **منهج الإسلام في الحرب والسلام** للدكتور عثمان جمعة، مكتبة الأرقم الكويت، سنة ١٤٠٣هـ- ١٩٨٢م.

٢٣٢- **منهج القرآن في تربية المجتمع** للدكتور عبدالفتاح عاشور، ط دار الجيل، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة.

٢٣٣- **المؤتمر الرابع للسيرة والسنة النبوية والمؤتمر العاشر لمجمع البحوث الإسلامية ١- السيرة النبوية** مطابع الشروق، القاهرة، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٥م.

٢٣٤- **الميزان في تفسير القرآن** لمحمد حسين الطباطباني، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان ١٩٨٣م.

٢٣٥- **نافذة على الدين نشأة ومفهوماً** للدكتور هاشم عبد الظاهر إبراهيم، ط الأمانة، القاهرة، ط الأولى ١٤١١هـ- ١٩٩١م.

٢٣٦- **النبأ العظيم، نظرات جديدة في القرآن** للدكتور محمد عبد الله دراز، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٨٩هـ- ١٩٦٩م.

٢٣٧- **النبوة والأنبياء** للأستاذ محمد علي الصابوني، دار الصابوني.

٢٣٨- **النبوة والأنبياء في ضوء القرآن** للشيخ أبي الحسن الندوي، المختار الإسلامي، ط الرابعة، ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م.

٢٣٩- **النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام** للأستاذ أحمد عبد الوهاب، دار غريب للطباعة، مكتبة وهبة القاهرة، ١٤٠٠هـ- ١٩٧٩م.

٢٤٠- **النبي من روائع جبران** لجبران خليل جبران، ترجمة ثروت عكاشة القاهرة، دار المعارف، ط الرابعة.

٢٤١- **النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية** لنصر بن يحيى المتطبب، تحقيق: الدكتور محمد عبد الله الشرقاوي، دار التأليف، القاهرة، الناشر دار الصحوة، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٢٤٢- **نظرات في الإسلام** للدكتور محمد عبد الله دراز.

٢٤٣- **نهاية إسرائيل والصهيونية** لعبد الحميد واكر، الدار المصرية.

٢٤٤- **نهاية الإقدام في علم الكلام** للإمام الشهرستاني، حرره وصححه الفرد جيوم، ط مكتبة زهران، القاهرة.

٢٤٥- **النهاية في غريب الحديث والأثر** لابن الأثير، ط عيسى البابي الحلبي.

٢٤٦- **نهاية اليهود** لأبي الفداء محمد عزت محمد عارف، مؤسسة بدران للطباعة والنشر، القاهرة، ١٤١٠هـ.

٢٤٧- **هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى** للإمام ابن القيم الجوزية، دار الريان للتراث.

٢٤٨- **هداية المرشدين** للشيخ علي محفوظ، ط دار النصر للطباعة، نشر دار الاعتصام.

٢٤٩- **هذا هو الإسلام** لمحمد عبد القادر العماوي، دار الفكر الحديث، القاهرة، ط الثالثة ١٩٧٣م.

٢٥٠- **هذا هو الإسلام** مطابع وزارة الأوقاف، الإدارة العامة لبحوث الدعوة.

٢٥١- **هذا هو الطريق** للدكتور عبد الرحمن عميرة، ط الأولى، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٢٥٢- **الوحي المحمدي** للأستاذ محمد رشيد رضا، ط شركة الطباعة الفنية المتحدة، الناشر مكتبة القاهرة، ط السادسة سنة ١٣٨هـ - ١٩١٦م.

٢٥٣- **وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى** للشيخ أبي الحسن عبدالله السمهودي، مطبعة الآداب والمؤيد، سنة ١٣٢٦هـ.

٢٥٤- **يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء** لعبدالله بن حمد الشبانة، دار الهدى الرياض، ط الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٢٥٥- **اليهودية** للدكتور أحمد شلبي، مكتبة النهضة، ط السابعة، ١٩٨٤م.

٢٥٦- **اليهود في موكب التاريخ** للدكتور صابر عبدالرحمن طعيمة، دار الثقافة العربية للطباعة، ط الأولى.

٢٥٧- **اليهودية واليهود** للدكتور علي عبدالواحد وافي، دار الهنا للطباعة، نشر مكتبة غريب.

فهـــرس الموضوعـــات

الموضـــــوع	الصفحة
المقدمة	٧
التمهيد	١٣
أولاً : معنى الأسلوب	١٣
ثانيًا : معنى الدعوة في اللغة والاصطلاح	١٤
ثالثًا : التعريف بأهل الكتاب	١٧
أولاً : اليهود	١٧
أ - الأسماء التي أطلقت على اليهود	١٧
ب- اليهود في بلاد العرب	٢١
ثانيًا : التعريف بالنصارى	٢٢
أ - الأسماء التي أطلقت على النصارى	٢٢
ب- وصول المسيحية بلاد العرب	٢٥
الباب الأول : دعوة القرآن الكريم أهل الكتاب إلى التوحيد	٢٧
الفصل الأول : تنبيه أهل الكتاب إلى أن الدعوة إلى التوحيد دعـــوة الأنبياء جميعًا	٣١
أولاً : إجمال القرآن الكريم لدعوة الرسل إلى التوحيد	٣٢
ثانيًا : تفصيل القرآن الكريم لدعوة الرسل إلى التوحيد	٣٦
١- دعوة نوح عليه السلام	٣٧
٢- دعوة هود عليه السلام	٣٩
٣- دعوة صالح عليه السلام	٤٠

الموضـــــوع | الصفحة

٤- دعوة شعيب عليه السلام ٤١

٥- دعوة إبراهيم عليه السلام ٤٢

٦- دعوة يوسف عليه السلام ٤٤

٧- دعوة موسى عليه السلام ٤٥

٨ - دعوة إلياس عليه السلام ٤٧

٩- دعوة عيسى عليه السلام ٤٧

ثالثًا : وحدة النطق بالإسلام (الذي جاء بالتوحيد) ٤٩

١- ما جاء في شأن نوح عليه السلام ٥٠

٢- ما جاء في شأن إبراهيم عليه السلام ٥٠

٣- ما جاء في شأن يعقوب عليه السلام ٥٤

٤- ما جاء في شأن لوط عليه السلام ٥٤

٥- وفي شأن يوسف عليه السلام ٥٤

٦- وفي شأن سليمان عليه السلام ٥٥

٧- وفي شأن موسى عليه السلام ٥٥

٨- وجاء في شأن عيسى عليه السلام ٥٦

الفصل الثاني : الترغيب والترهيب في دعوتهم إلى التوحيد ٥٩

المبحث الأول : أسلوب الترغيب ٦١

أولاً : ترغيبهم عن طريق استثارة فطرهم وعقولهم........ ٦١

ثانيًا : دعوتهم إلى كلمة سواء ٦٨

ثالثًا : وعدهم - إن آمنوا بالله تعالى - بالأجر الكبير
ودخول الجنة ٧٠

رابعًا : مجادلتهم بالتي هي أحسن ٧٦

الموضـــــــــوع | الصفحة

خامسًا : مدح القرآن الكريم للمؤمنين من أهل
الكتاب ٨٢
المبحث الثاني : أسلوب الترهيب ٨٥
الفصل الثالث : دعوتهم إلى ترك العقائد الفاسدة ٨٩
المبحث الأول : دعوة القرآن الكريم اليهود إلى ترك العقائد
الفاسدة ٩٠
أولاً : موقفهم من عباد الأصنام وإنكار القرآن ذلك
عليهم ٩١
ثانيًا : موقف القرآن من عبادتهم العجل ٩٤
ثالثًا : ادعاؤهم بنوة العزير لله تعالى ١٠٤
رابعًا : قولهم نحن أبناء الله وأحباؤه ١٠٧
خامسًا : تطاولهم على الله – تعالى – وسوء أدبهم
معه ١١٣
المبحث الثاني : دعوة القرآن النصارى إلى ترك العقائد
الفاسدة ١١٩
أولاً : إبطال القرآن الكريم عقيدة التثليث ١٢٠
ثانيًا : إبطال قولهم بألوهية المسيح وبنوته لله تعالى ١٢٣
ثالثًا : عقيدة الصلب والفداء وإبطال القرآن لها ١٤٢
الباب الثاني : دعوة القرآن الكريم أهل الكتاب إلى الإيمان بالرسل
عليهم السلام ١٤٧
الفصل الأول : دعوة القرآن أهل الكتاب إلى الإيمان بالرسل
السابقين على محمد ﷺ ١٥١
أولاً : محاولة تصحيح اعتقاداتهم الباطلة ورد افتراءاتهم

الموضـــــــوع	الصفحة

على هؤلاء الرسل ١٥١
ثانيًا : تشنيع القرآن الكريم عليهم لتكذيبهم الأنبياء وقتلهم إياهم وغلوهم في بعضهم ١٦٣
الفصل الثاني : دعوة القرآن الكريم أهل الكتاب إلى الإيمان بخاتم الرسل. ١٧٣
المبحث الأول : إقامة القرآن الأدلة التي تدعوهم إلى الإيمان بمحمد ﷺ ١٧٥
أولاً : تنبيههم إلى وجود اسمه ونعته ﷺ في التوراة والإنجيل ١٧٥
ثانيًا : تنبيههم إلى أن محمداً ﷺ هو النبي الذي بَشَّر به عيسى عليه السلام ١٧٧
ثالثًا : تنبيههم إلى أن محمد ﷺ هو النبي الذي كانوا يستنصرون به على أعدائهم قبل بعثته ١٧٩
رابعًا : إخبارهم بأنهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم .. ١٨٢
خامسًا : إظهار النبي ﷺ لما يخفيه أهل الكتاب وعفوه عن كثير ١٨٤
سادسًا : تنبيههم إلى أن مجيئه كان على فترة من الرسل قطعًا لعذرهم ١٨٦
سابعًا : تنبيههم إلى أن محمداً ﷺ أميٌّ لا يقرأ ولا يكتب ١٨٨
ثامنًا : إعلامهم أن النبي ﷺ أخبر بالغيوب مع أنه لا يقرأ ولا يكتب ١٩١

الموضـــــــوع — الصفحة

تاسعًا : إقامة الحجة عليهم عن طريق شهادة بعض علمائهم ١٩٤
عاشرًا : إقامة الحجة عن طريق الاستشهاد بهم على وجوب الإيمان بالنبي ﷺ ١٩٨
حادي عشر : تذكيرهم بالعهد المؤكد الذي أخذه الله على النبيين للإيمان بالنبي ﷺ ونصرته ٢٠٠
ثاني عشــر : تنبيههم إلى عالمية دعوة النبي ﷺ ٢٠٢
ثالث عشر : إعلامهم بشهادة الله تعالى وملائكته بالنبوة لمحمد ﷺ ٢٠٦
المبحث الثاني : إخبار كتب أهل الكتاب بمحمد ﷺ وإقامة الأدلة على ذلك ٢٢٤
أولاً : إقامة الأدلة من التوراة ٢٣٠
ثانيًا : إقامة الأدلة من الإنجيل ٢٣٨
المبحث الثالث : موقف أهل الكتاب من دعوة القرآن لهم إلى الإيمان بمحمد ﷺ ٢٤٦
محاولات أهل الكتاب للقضاء على رسالة محمد ﷺ ٢٤٦
أولاها : كتمانهم صفة النبي ﷺ ٢٤٦
ثانيتها : طعنهم في نبوة النبي ﷺ ٢٤٨
ثالثتها : إصرارهم على عداوة الرسول ﷺ ٢٥٢
رابعتها : توجيه الأسئلة المتعنتة إلى النبي ﷺ ٢٥٣
خامستها : عداؤهم لجبريل عليه السلام ٢٥٥
سادستها : تحالفهم مع أعداء الرسول ﷺ ٢٥٨

الموضـــــــوع | الصفحة

سابعتها : إيذاء الرسول ﷺ ٢٥٩
ثامنتها : الغدر بالنبي ﷺ ٢٦٠
تاسعتها : عداؤهم لأتباع النبي ﷺ ٢٦٣
الباب الثالث : دعوة القرآن الكريم أهل الكتاب عن طريق تذكيرهم بنعم الله تعالى عليهم ٢٦٧
الفصل الأول : تذكير اليهود بنعم الله تعالى عليهم والغاية من ذلك ٢٧١
أولاً : نعمة تفضيلهم على العالمين ٢٧٣
ثانيًا : نعمة إنجائهم من عدوهم فرعون وقومه ٢٧٤
ثالثًا : نعمة بعثهم من بعد موتهم ٢٧٧
رابعًا : نعمة تمكينهم من دخول بيت المقدس ٢٧٨
خامسًا : ثلاث نعم خصهم الله بها دون غيرهم ٢٨١
موقف اليهود من هذه النعم
من عقوبات الله تعالى لليهود : ٢٩٢
أولاً : تمزيقهم وتسليط الله عليهم من يسومهم سوء العذاب ٢٩٣
ثانيًا : إفساد اليهود في الأرض مرتين وقضاء الله تعالى فيهم ٢٩٤
ثالثًا : وبسبب ظلمهم حرمت عليهم طيبات أحلت لهم ٢٩٤
رابعًا : مسخهم قردة وخنازير ٢٩٦
خامسًا : لعنهم على لسان أنبيائهم ٢٩٨
الفصل الثاني : تذكير النصارى بنعم الله تعالى عليهم والغاية منها ٣٠١

الموضـــــــوع | الصفحة

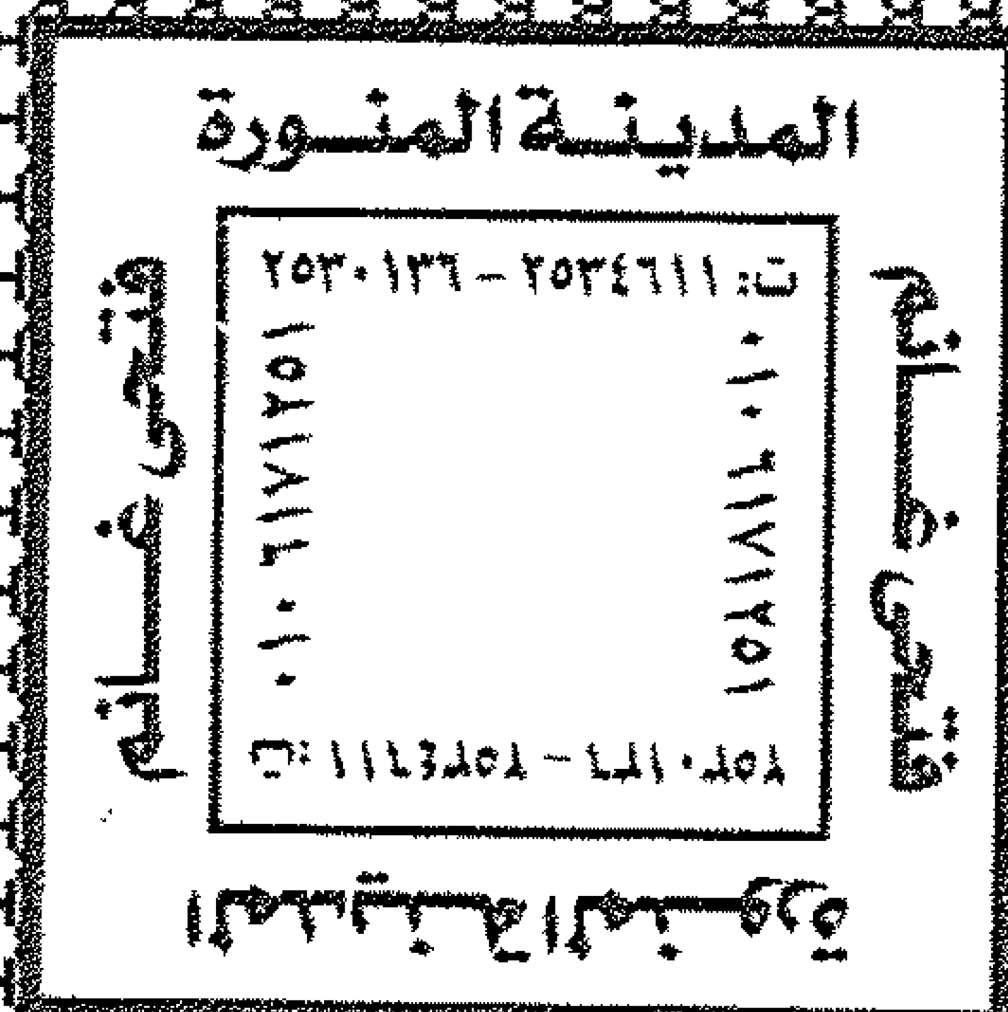
النعمة الأولى : اصطفاء الله تعالى لآل عمران على العالمين ٣٠١
النعمة الثانية : اصطفاء مريم على نساء العالمين ٣٠٣
النعمة الثالثة : منافحة القرآن الكريم عن مريم ودفاعه عنها ٣٠٦
النعمة الرابعة : نجاة نبيهم عيسى عليه السلام من القتل، وتأييده بالمعجزات ٣١٠
النعمة الخامسة : نزول المائدة عليهم من السماء ٣١٣
النعمة السادسة : نعمة إيتاء عيسى عليه السلام الإنجيل لهدايتهم ٣١٧
موقف النصارى من نعم الله تعالى عليهم ٣١٩
الفصل الثالث : إنصاف القرآن الكريم أهل الكتاب ودعوته إلى التسامح معهم ٣٢٧
أهم مظاهر إنصاف القرآن الكريم لأهل الكتاب ٣٢٨
أولاً : وصفه لهم في كثير من آياته بكونهم أهل كتاب ٣٢٨
ثانياً : عدالة القرآن في أحكامه عليهم ٣٣٠
ثالثًا : دعوة القرآن إلى مجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن ٣٣١
رابعًا : إباحة القرآن الكريم طعام أهل الكتاب وإجازة مناكحتهم ٣٣١
خامسًا : أخذ الجزية منهم دون المشركين ٣٣٤
سادسًا : التعامل معهم بمقتضى قاعدة (لهم ما لنا وعليهم ما علينا) ٣٣٧

الموضـــــوع الصفحة

الخاتمة ٣٤١
فهرس الآيات القرآنية ٣٤٥
فهرس الأحاديث النبوية ٣٧٨
المصادر والمراجع ٣٨١
فهرس الموضوعات ٣٩٣

* * *

الحرف لتجهيزات الطباعة - القاهرة - ✆ ٢٥٧٢٢١٥٨


المدينة المنورة
ت: ٢٥٣٤٦١١ - ٢٥٣٠١٣٦
فتحي غانم
٠١٠٠٦١٧١٢٥١

سلسلة الرسائل الجامعية "١١"

أسلوب القرآن الكريم في دعوة أهل الكتاب

الدكتور
عبد الرحمن محمد عبد الرحمن